



صفحة

١١٩٣

١١٩٣

١١٩٤

١٢٠٤

١٢٠٨

١٢١٧

١٢٢٢

١٢٢٥

١٢٣٠

١٢٣٢

١٢٣٣

١٢٣٦

١٢٣٧

١٢٣٨

١٢٣٩

١٢٤٠

١٢٤٣

١٢٤٦

١٢٤٨

١٢٤٩

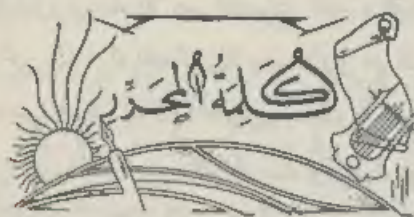
١٢٥١



شاعر الوطنية المصرية

محمد حافظ إبراهيم بك

(من ريشة الفنان المصري محمد حسن بدوي)



في الحادى والعشرين من يولية سنة ١٩٣٢ م . ودّع شاعر مصر الكبير محمد حافظ ابراهيم أنفاس الحياة الدنيا فذهب بذهابه أعلى صوت وطنى عرفته مصر من فوق منبر الشعر .

وقد أصدرت زميلتنا (السياسة) في ٢ سبتمبر من العام الماضى عدداً خاصاً به كما عُنيت الصحف والمجلات والجمعيات الأدبية في العالم العربى بدراسته وتأيينه أسابيع متوالية ، الى أن رُفِعَ العالم العربى بنعى شاعر العربية الأشهر أحمد شوقى بك في الرابع عشر من سبتمبر الماضى فباتت فجعة العربية مزدوجة بوفاة علمين من أشهر أعلام الشعر العربى في عصره الحديث ، واهتمت الصحافة العربية بأداء واجبها الادبى نحو ذكراهما . وقد أصدرت هذه المجلة عددها الخاص بذكرى شوقى في ديسمبر الفائت ورأت من أقدس الواجبات عليها إصدار هذا العدد الخاص بذكرى حافظ لمرور سنة على وفاته .

ولحن لا محبة التكرار كما لا نغنى بما عُنى غيرنا بتناوله من الدراسات السابقة فجعلنا كل مجهود هذا العدد جديدة خاصة بهذه المجلة ، وبذلنا جهدنا في الاختيار ونحلبنا عن مألوف الرثاء شعراً ونثرأ قانعين بالجديد المقيّد أو بالنقد الجدوى الممتع . وكيفما كان الحكم الفنى على شعر حافظ فلا يمكن لأية جمعية شعرية تحترم نفسها إلا أن تحفل بذكره — ذلك لأن حافظ يمثل حلقة قوية من حلقات الاتصال والتقدم في تاريخ الشعر المصرى بل في تاريخ الشعر العربى ، كما أنه كان اللسان النصيح لآمال مصر وآلامها في زمن تفشى فيه العى والجبن بل البكم بين الشعراء ، وحسبك من شاعر أن يكون لسان أمته المبين في مثل تلك الظروف ، وليس من الانصاف أن تكفى بوزن شاعر وزناً مطلقاً ولا تزنه وزناً نسبياً . ليس من الانصاف مثلاً أن نغنى ظهور البارودى في زمن تفشت فيه الأمية والروح العامية والضعف اللغوى ، وضاعت ملكة البيان الشعرى ، فظهر ذلك

الشاعر المتفوق التقليدي ليعيد للأدب الشعري مجده القديم وليتلمذ عليه حافظ وأنداده . وإذا كنا نحن الشعراء المحدثين لا يرضينا روح التقليد المضيّع للشخصية الفنية ، فهيات أن ننسى فضل أعلام المحافظين أمثال البارودي وشوقي وحافظ في استرجاع الثقة الأدبية لاستئناف سير القافلة بعد وقوفها . على هذا الأساس نكبر مجهودات الاعلام السابقين من شعرائنا وإن أصبحت في ذمة التاريخ وما لحاق في الغالب أن لا نكون لها أكثر من صفة أكاديمية لا أثر من الآثار الأدبية التاريخية .

كان حافظ فليسوفاً اجتماعياً وسياسياً بسليقته ، وكان خبيراً بالرجال بعيد النظر ، ولذلك كان موفقاً في أكثر من موقف كشاعر زعيم ، ولكن الطبيعة هيأته ليكون في الأكثر ترجيحاً لأتمته ، وقد أحسن التعبير عنها أيما أحسان ، وكان جريئاً كل الجراءة في تعبيره كلما أتبع له ذلك . وبعد هذا كان حافظ شاعر العروبة ، وكان لإخلاصه أثر بعيد في إحياء روح التآخي والتعاون بين أبنائها ، وعلى الأخص بين المصريين والسوريين .

وقد عيب على معظم الشعراء أنهم ينزعون إلى القديم وينظرون دائماً إلى الخلف ، ولكن حافظ برغم المحافظة التي قيد نفسه بها مضطراً ومختاراً كان في طبيعة من ندّدوا بذلك وهو القائل مخاطباً « الشعر » :

ضمت بين الشهي وبين الخيال	يا حكيم النفوس يا ابن المتقال
ضمت في الشرق بين قوم هجود	لم يفتقوا وأمة مكسال
قد أذالك بين أنس وكأس	وغرام بطيبة أو غزال
عشت ما بينهم مذلاً مضاعاً	وكذا كنت في العصور الخوال
آن يا شعر أن تفك قيوذاً	قيدتنا بها دعاء المبحال
فارفعوا هذه السكائم عنا	ودعونا نضم ربح الشمال

والقائل أيضاً :

ملأنا طباق الأرض وجداً ولوعة	بهند ودعد والرباب وبوزع
وملأت بنات الشعر منا موافقاً	بسقط اللوى والرقتين وللمع
نغيرت الدنيا وقد كان أهلها	يرون ممتون العيس ألين مضجع

وكان يريد العلم عيراً وأينقاً متى يبعها الأبحاف في اليد تظلم
فأصبح لا يرضى البخار مطبقة ولا السلك في تياره المتدفق
ولحن كما غنى الأوائل لم نزل نفنى بأرماع ويبض وأدرع
عرفنا مدى الشئ القديم فهل مدى لشيء جديد حاضر النفع ممتع ؟
وشعره مرآة صادقة لمجتمعه ، ونهزة تحفزهم الى الأمام ، ونور وجهه الى
طريق المستقبل المأمون :

فصائده هي للأدب مفخرة سارت مسير الهدى في كل مضطرب
وما يزال دوى من وقائعها في مسمع الدهر للاجلال والرهب
في كل بيت شواظ النار مزرعة لئلا يغيب
وكل غضبة صدق منه بالغر فصل الخطاب وآيات من الخطاب
مرددة ذاتها بإيمان كأن بها مجامع الوحي عن ماض من الحقب

وقد كان حافظ في كل شعره يعمل للتقدم ، فكان له أثره في النهضة الحاضرة
وحق في أمداحه « للدولة العلية » لم يكن مدفوعاً الى ذلك بحب الاستبداد وهو
الذي كرهه منذ نشأته ، ولا بحب الرغد والجاه فقد سدت الأبواب في وجهه ،
ولا بمراعاة الاعتبار الرسمية إذ لم يكن بالموظف حينذاك ولم يكن له شأن بالقصر ،
ولكنه كان مدفوعاً بروح السيامى الذى يرى تقع أمته مرتبطاً بمظمة تركيا
الاسلامية ، وكذلك كانت وجهة نظر المغفور له مصطفى كامل وسواه من الساسة
المصريين في ذلك العهد الى أن ظهر أحمد لطفى السيد بك وحزب الأمة بالسياسة
المصرية البحتة . فلئن جرى حافظ بيئته فما كان ذلك الا في الاحساس العام ولم
تكن مجارة الضرير ، ولئن جرى المتقدمين أحياناً في أساليبه فذلك من تأثير
محفوظه الكثير ومن تأثير تعاليم أستاذه البارودى الذى أراد أولاً أن يستعيد
أزهى عصور الشعر العربى .

ومما عيب على معظم شعراء العربية حتى المعاصرين منهم عنايتهم بالموسيقى
اللفظية لا أكثر ولا أقل ، ولكن حافظاً ضمن شعره الكثير من علل المجتمع
ومارآه من العلاج لها بروح المرشد الأمين حتى لُقّب بالشاعر الاجتماعى ، فلا
نكون متصفين إذا اعتبرنا ذلك النقد في غير تحديد منطبقاً عليه . وإذا طبقناه

لمعذ عليه حافظ
سبع للشخصية
وقى وحافظ في
لا أساس نكبر
سبع وما لها في
ديبة التاريخية.
بالرجال بعيد
الكن الطبيعة
بما احسان ،
حافظ شاعر
ن بين أبنائها ،

لرون دائماً الى
مختاراً كان

المحال
مكسار
غزال
در الخوال
المحال
الشمال !

وبوزع
ن وللمع
ن مضجع

عليه فأنما ذلك لأن حافظاً كانت له طبيعة شعرية عرفها جلساؤه في مرجلته البديمة ولصكته أفسدها بمطاوعته المتعذلقين وبحرصه على إرضاء القُدامى من الأزهريين وغير الأزهريين (على نحو ما فعل المرحوم شوقي بك في أحيان) فكانت النتيجة أنه صار غالباً الشاعر النحّات المتمسك بدل أن يكون الشاعر الحر المطبوع، وحبس في نفسه أو ضاع في مجالسه وفي مبادله خير شعره العاطفي الوجداني لأن التقاليد كما قدمنا كانت تأتي عليه تدوين الشعر المرجل المطبوع، وطالب الشهرة مضطر عادة إلى مراعاة التقاليد، وما كان لحافظ كما لم يكن لشوقي إغفال هذا الاعتبار.

ومعرفتنا بحافظ أكثر من ربع قرن أنعمتنا بصحة فطرته الشاعرة التي زكت في بيئة الامام محمد عبيده بقدر ما أصبحت أسيرة لتقاليد الصناعة واللغة. فكان حافظ إذا أفلت من ذلك الأمر يجيء لنا مرة بالمتناز المعجب، وأخرى بالمتبذل الذي لا يعلو فوق مستوى مقالة صحفية منظومة، وما ذلك إلا لأنه تارة يعبر عن نفسه أصدق تعبير أو يُدفع دقاً بأحاساس أمته إلى ذلك من حيث يدرى أو لا يدرى، ومرة أخرى يشعر بمنزلته من الشعب فينظم بعقله الواعي وحده لارضاء الجمهور فيبتعد بذلك عن الشعر الفنى ولا يُنصف سمعته الأدبية.

لم يكن حافظ إذن بالرجل الرجمي وإن كان محافظاً في حدوده، ولئن كان ممن نظروا إلى الشعر كلون من ألوان الغناء ومن آثروا اللفظ على المعنى متناسياً أن الشعر روح وتصور أي اندماج كوني في الجمال والحياة قبل كل اعتبار آخر، فقد جاء شعره صوتاً للنهضة الوطنية وأحياناً دليلاً لها، فلا يصح إذن أن يقال عن شعر حافظ إنه صيغة أخرى من السجع ومن فنون الترف والترهل الذهني، وإن المقصود إليه من شعره مجرد الإيقاع واللهو اللفظي الذي يخرج من دائرة الشعر الرفيع إلى دائرة الموسيقى المألوفة كما هو نظم الكثيرين. لقد جمع حافظ بين المتناقضات فرضخ للبيئة اللغوية المحافظة التي اتصل بها في كثير وثار عليها أحياناً، فكان يذهب من النقيض إلى النقيض، ولو أنه اكتفى بالتضلع اللغوي ثم أطلق نفسه على سجيها لجاءت حرية تعبيره مفسحة منظمة لا اضطراب فيها ولا تبدل، وهو الاضطراب والتبدل اللذان يتعرض لهما السجين الذي يظفر بحريته ثائراً بعد حبس طويل ولكن ليعود إلى ذلك الحبس ثانية، فهي حرية غير مأمونة وتكيفها وتناجها على منالها. إن حافظاً شاعر حاضر للبديهة سريع التأثر (impressionist) ولكنه أقمد

طبيعته بالصناعة بدل إطلاقها على سجيته ، وفلول المدرسة القديمة التي أساءت اليه وإلى الشعر العربي بتوجيهه إلى ناحية النظم الذي لا ينسجم وطبيعته ما تزال تحاول الضغط على المدرسة الحديثة لتنهج ذلك النهج العقيم في حين أن لكل شاعر فطرته وطريقته التي لن يجنى خيراً ما بتجاهلها ومعارضتها . ونحن لا ندرى ما إذا استفاد الشعرُ العصريُّ من إقلال حافظ الصناعي وهو المكثّر بطبيعته ، أو من مقاومة فطرته السمحة السهلة . وبقيننا أنه لو لا ذلك لكان إنتاج حافظ لا يقل عن إنتاج شوقي ، ولكان شعره مطبوعاً بطابع مصري جميل ، ولجاء جامعاً للكثير من صور الحياة المصرية طائفةً ووصفاً ، قاربخاً ووعظاً ، ولتنوعت مظاهره ، وربما كان قد اكتسح المسرح المصري أيضاً .

ولا يسع المؤرخ الأدبي الذي يترجم لحافظ أن يغفل المناقشة الشاذة التي كانت بين حافظ وشوقي ، ثم مرتّ عدواها إلى شعراء آخرين ، ثم تشكلت بصورة حرب بين المحافظين والمجددين من الشعراء . ولم يكن مبعث كل ذلك سوى التهاافت على اكتساب الجمهور في حين أن الجمهور لا يتعدو الموج الصاعدة الهابط الذي لا يستقر ولا يؤمن جانبه على حدّ تعبير أستاذنا مطران ، وقد كانت لمطران مواقف عديدة محمودة للتوفيق ما بين المرحومين شوقي وحافظ . فالتهاافت على نيل رضا الجمهور أو النزول بالشعر إلى مستوى الجمهور كان ضرراً بليغاً للشعر ولا علام الشعراء الراحلين أنفسهم : فقد أقص من منزلة الشعر الفنية ، ودعا إلى حروب شخصية عجيبة ، كما خلق جواً مدهشاً من الغرور لا يزال نرى تأثيره في تهافت الشعراء والكتاب على أما كن الصدارة من هذه المجلة وغير هامة أن صفحاتها في منزلة واحدة ، ومن غرور المبتدئين الذين يتعالمون عن كلمة تنقيح أو إرشاد أو تهذيب من أساتذتهم الشيوخ ويتهافتون على ألقاب المديح السخيف . وهذه روح مريضة "قاومناها كل المقاومة وإن رضخت لها بمض المجلات الأدبية مضطرة لأسبابها الخاصة . نعم لا يجوز التفاضل عن هذه الحقيقة بل يجب أن يستفيد من دروسها المصلحون من أبناء هذا الجيل الذين يهتمهم القسامي بالشعر العربي بمنزلة شعرائه .

• • •

وبعد ، فنحن نهدى إلى روح حافظ الشاعرة الوطنية الحبيبة المبعجلة هذا العدد للتذكاري من (أبولو) ومثمت الصراحة التي تمسكها حافظ منا ومن سوانا طول

في مرجحاته
القُدَامَى
في أحايين
الشاعر الحرّ
والعاطفيّ
المطبوع ،
لكن لشوقي

لكن زكت في
فكان حافظ
يتنزل الذي
مبّر عن نفسه
أو لا يدري ،
بأن الجمهور

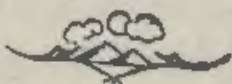
لكن كان ممن
سبياً أن الشعر
فقد جاء
عن شعر
وإن المقصود
الرفيع إلى
المتناقضات
كان يذهب
على سجيته
الاضطراب
ويل ولكن
مناها .
لكنه أفسد

حياته. وقد وقع اختيارنا على صورة فنية للذكرى لم يسبق نشرها وهي للأديب الفنان
المصرى الشهير شعبان زكى وهي تمثل دار الإمام الشيخ محمد عبدة في حالتها الراحنة
— تلك الدار العزيزة التي قال عنها حافظ :

فيا منزلاً في عين شمسٍ أظلّنى وأرغمَ حُصادي وغمَّ عُدائي

والتي كثيراً ما كانت موثله ومهبط وحيه . رأينا أن ننشرها في هذا العدد التذكارى
لأنها الصق بحياة حافظ من كل ماعداها من المعالم المصرية ، ولأنها مظهر الذكرى
الحزينة الذى لا يجب أن يخفى عن الشعب المصرى . وقد تأثر الرسّامُ الفنّان بمظهر
سقف الساقية المائل فتضيله كبيت العنكبوت المكبر رمزاً للاغفال ودليلاً على مبلغ
اهمال الدولة والشعب لآثار العظماء ، وشاء الرسّام أن يصوّر الدار تحت تأثير غروب
الشمس في لحظة أبدت الفارق الشنيع بين حاضر عافٍ وماضٍ كانت فيه الدارُ
مطلّح الاشرار النفاقى والدينى في مصر .

إن اسم حافظ لن يُنسى في تاريخ الشعر العربى ، وأمّا الشعر العربى ذاته فإن
يصدعه ممت حافظ ولا غير حافظ كما يؤمّ السّدايون ، فإنّ موت العظيم يُلمب
تلاميذه وأنواده بالشعور بالمسئولية والاندفاع الى الانجاب السامى . والواقع أنّ
الشعر العربى يخطو الآن خطوات فسيحة نحو الكمال الفنى المنشود ، وهو
ما يعترف به كلّ نافذ مطلع يقارن بين الآثار الجديدة النابضة بالحياة في
الشعر العربى وبين الجديد من الشعر العالمى في الاقطار الأخرى . وأمّا الذين
لا يزالون يبعثون في القوافى والأوزان ، وفي تفضيل اللفظ على المعنى ، وفي أمثال
هذا الهراء ، فمعدودون إذا توانوا عن الاطلاع على الأدبيات العالمية فلم ينصفوا
مجهود مواطنيهم ، وهم على أىّ حال من رفقة الكسل الجليل والأحكام الطائشة .
ولعلّ روح حافظ تغتبط في عليائها بهذا التسامى الذى يتدرّج اليه الشعر العربى تدريجاً
حينئذ فتقبل من محبّيها هذا الحنان والولاء والاجلال الذى تنبض به الصفحات
التالية من أقلام الشعراء والنقاد .



حافظ إبراهيم

﴿ في الميزان ﴾

الصلة بين النفس والنفس

من القسوة الأدبية البالغة ، ومن الخطأ الفاضح في معرض التحليل والنقد ، أن تقصر عملنا على الأثر الفني للأديب أو الشاعر ، وأن نقطع أو نحاول قطع الصلة القائمة بين هذا الأثر وصاحبه ، ونحن نشعر في نفوسنا بقوة هذه الصلة ، ونعرف ما لها من نفوذ وسيطرة في حياتنا الأدبية التي نقول غير ملومين إنها واقعة بأسرها تحت هذه السيطرة وذلك النفوذ .

نحن نقول إن الشعر فيض النفس ، ووحى الوجدان ، فعلمنا إذاً أن نضم إلى أدب الشاعر نفسه ووجدانه حين نريد أن نتعرف منزله من الناحية الفنية ، وأن نضع له صورة صحيحة ، ومنالاً صادقاً .

للشاعر ككل فرد من الناس نفسه ووجدانه ، ومن الظلم أن ترى العاصفة تُلقي الحجارة على ينبوع المتدفق ثم تهمة بالجلود إذا احتبس ماؤه ، أو ترميه بالحق والسفاهة إذا تدافعت قواه فكان منتهى ما يستطيعه أن يقذف ببعض هذا الماء من خلال الحجارة فيتطاير رشاشاً أهوج لا يأخذ نظاماً ، ولا يستقيم في مسيل .

ذلك مسئّل الشاعر المقتدر تكتنف نفسه أنواعُ الموم وضروبُ الآلام فتعطل قواها المعنوية ، أو تُلقي الحجب والاستار على أشعتها فأمّا أن تحتبس هذه الأشعة احتباساً تاماً فيكون السكوت ، وإمّا أن يندفع منها قَبَسٌ ضعيف يترقق كالدمعة الحائرة في منافذ ملتوية ، ويذهب أعشى يتعسف ، فلا هو على هدى في ذاته ، ولا الناس يهتدون به .

وإنك لتتجنّى وتذهب شططاً حين تنكر على المصباح أنه مختنق النور أو ضئيلة ، وتأبى إلا أن يكون كما تريد وتفتح إشراقاً وبهجة ، وأنت ترى زجاجته قائمة في غشاء من سواد .

ديب الفنان
عالتها الراحنة

عُداتي

مد التذكري
ظهر الذكري
الفنان يظهر
ليلاً على مبلغ
تأثير غروب
ت فيه الدار

ربي ذاته فان
عظيم يُلمب
والواقع أن
شود ، وهو
بالحياة في
وأما الذين
، وقع أمثال
فلم ينصفوا
كام الطائفة .
لعرني تدرباً
به الصفحات

حافظ في نفسه وفنه

حافظ إبراهيم شاعر كامل العدة ، تامّ الاداة ، أخذ نفسه بأدب الفحول من مبرّزى الشعراء ، وراضها عليه ، فلحق بديوانهم ، وأخذ مكانه بين أعيانهم ، انه لكما أصفه لك ، ولكن لا تطمع أن يطربك وهو محزون ، ولا أن يرضيك وهو ساخط ، كلا - لا تطمع أن تتلقى من فم حافظ تلك النغمات الشبيهة ، والتغاريذ العذبة ، الا حين تصفو نفسه ، وينعم باله وخاطره ، هو شاعر كبير النفس ، طامع الهمة ، يرى من حقه أن ينتخى الناس والمراتب ، ويعيش على مناكب الايام وأعناق الحوادث ، إلى أن يقع في منزلته ، ويخلص الى مكانه .

تعبَ حافظ في هذا السبيل ، وتعبت معه أطماعه النائرة ، فهو قد ظنّ أن له مكاناً في ظلال العرش المصرى الذى اتجهت اليه آماله ، فهو يتحفز للوثوب ، فأخذ يضرب على قيثارته عسى أن يسمع صاحب العرش فيصفى اليه ، ويحب أن يراه ويصطنعه ، ولكن قيثارة أخرى يحملها شاعر القصر كانت تشغل سمع الامير وقلبه ، فلم يجد حافظ منفذاً لنفسه ، وعلم أن لا مكان له ولا لغيره في تلك الظلال ، واليك بعض ما توسل به الى هذا المطلب ، وأرافه من عصارة ذهنه في ذلك السبيل .

قال حافظ إبراهيم من قصيدة في عيد جلوس العباس عام ١٩٠١ :

ماذا ادخرت لهذا العيد من أدب ؟ فقد عهدت لك ربّ السبق والقلب
هذا هو العيد قد لاحت مطالعه وكلنا بين مشتاق ومرقب
يا من تنافس في أوصافه كلّى تنافس العرب الابداد في النسب
لم يُبق (أحمد) من قول أحاوله في مدح ذاتك ، فأعذرنى ولا تعب
مشيئة الله في العباس قد سبقت الى الجدود ، ومن يأتى على السبق
يا من توهم أن الشعر أعذبه في الذوق أكذب ، أذريت بالأدب
هدب القريض قريض بات يعصمه ذكر (ابن توفيق) وعن لغوي من كذّاب
ليس لنا أن نقول إن حافظاً أراد أن يخدع شوق بتقريظه في هذه القطعة لينتفع به
أولاً من كيد وهو يريد أن يخترق الطريق الى العرش ، فهو إنما جرى على طريقة ذوى النبل

والشرف من جبهة الشعراء والادباء في التنويه بفضل الاكفاء والمتقدمين
من اعلام الفن ، وجهاً بذه الصنعة ، وتلك سجية أعرفها في حافظ ، وأذكرها له
من فضائله الماثورة ، ولك فيما يلي دليل واضح يرشدك إلى الحق ، وبذلك على
الصواب .

قال من قصيدة أخرى في عيد الجلوس :

إليّة أطمئني ما أطمئني به على حمّة اللوائى ، أينما تاهوا
أنى أرى عجباً يدعو إلى عجب الدهر أضمره ، والعبء أفساه
هل ذاك ما وعد الرحمن صفوته روض ، وحر ، وولدان ، وأمواه ؟
أم الحديقة ذات الوتر قد جليبت فى منظر يستعيد الطرف صرّاه
أرى المصاييح فيها وهى مشرقة كأنها النور والومى حباه
أو إنما هى ألفاظ مدبجة وكل لفظ تجلّى فيه معناه
أرى عليها قلوب القوم حائجة كالطير لاح له ورد فوافاه
أرى أريكة عباس تحف بها وقاية الله ، والاقبال ، والجاه
قل للإلى جعلوا للشعر جائزة فيم الخلاف ؟ ألم يرشدهم الله ؟
إنى فتحت لها صدرأ تليق به إن لم تحلوه ، فالرحمن خلاه
لم أخش من أحد فى الشعر يغلبنى إلا فـئى ما له فى السبق إلاه
ذاك الذى حكمت فينا براعته وأكرم الله والعباس منواه
الدليل على محاحنة النفس وكرم السجية أكثر وضوحاً فى هذه القطعة منه
فى القطعة الأولى ، حافظ يحكم لشوقى على نفسه ، وهو مجال المباراة ، ومعرض
المسابقة ، وليس هذا مما يسهل على كل نفس ، وله من قصيدة أخرى فى عيد الفطر :
مطالع سمـــــــــــــد ، أم مطالع أقار تجلّت بهذا العيد ، أم تلك أشعاري ؟
إلى مددّ العباس وجهت مدحتى بهنثقة شوقية النجم معطـــــــــــــار
لك أن تقول بعد هذا ، إن حافظاً أحسن أسراً غير رأيه فى شاعر القصر ،
وجعله يتحلل مما تقيّد به ، ولك فوق هذا أن تضيف إلى همومه الكثيرة مأ
جديداً ، أو أكثر من هم ، عداوة شاعر القصر ، ووهرة الطريق إلى العرش ،

الفحول من
أعيانهم ،
أن يرضيك
، والتغارب
نفس ، طامح
مناكب الأيام

قد ظن أن له
للقوب ،
ويجب أن
لسمع الأمير
غيره فى تلك
عصاة ذه

بقـ والعليـ
ومرتقبـ
فى التفسير
فى ولا تعبـ
على العـ
ريت بالادبـ
من كذبـ
لمعة لينفع به
قذوى النبل

وتضائل رجائه الذي كان يدفع به في هذا السبيل ، وكلّ هذا مما تستفيده من قوله في قصيدة أخرى :

مُطَفٌّ بِالْأَرْيَكةِ ذاتِ العِزِّ والشانِ واقضِ المُناسِكةَ عن قاصِرٍ وعن دانٍ
يا عَيْدُ لَيْتَ الَّذِي أَوْلَاكَ نِعْمَتَهُ بقربِ (صاحبِ مصرٍ) كان أولاني
صُنِفْتُ القَرِيضَ ، فما غادرتِ لؤلؤة في تاجِ كسرى ، ولا في عقدِ بُورانٍ
شكاً مِمَّانُ ، وضحَّ الغائِصونَ به على اللآلِي ، وضحَّ الحاسِدُ الشانِ
كَمِ رامِ شَأوِي ، فلم يدركِ سوى صَدَفٍ ساعَتُ فيه لِنِظامِ ووِزانٍ
هابوا سَحَكوتِي ، ولولاهُ لما نطقوا ولا جرتِ خيلُهم شوطاً بِمِيدانٍ
اليومِ أنشدُهم شعراً يَعيدُ لهم عهدَ النِواصِي أو أيامَ حِسانٍ
أزفُ فيه إلى العِباسِ غانِيةً عَفِيفَةُ الخَدَرِ ، من آياتِ عَدنانٍ
من الأوائسِ ، جَلَّاهُ بِراعٍ فَتَى صانِ القَرِيحَةِ ، صاحِبِ غَيْرِ نِشوانٍ
ما ضاقِ أَصغَرُهُ عن مَدحِ سَيِّدِهِ ولا استعانَ بِمدحِ الرّاحِ والبِانِ
ولا استهلَّ بِذِكرِ الغَيْدِ مَدحتَهُ في موطنِ بِجَلالِ المَلِكِ رِيانٍ

جملة شديدة ، وغارة شعواء على شاعر القصر ، ما كان لحافظ بعدها أن يطمع في الاتصال بصاحب العرش ، وما له ولصاحب العرش ، وقد قذف بأماله من حلق ، وردّ عليه كلّ عروس من شعره في ررّ طالق ، بعد أن زفّها إليه تحمل كل ما جمع تاج كسرى وعقد بوران من لآكاه غالية ، وبعد أن شكاه محرّمان وغوّاصه لطول ما ارتكض في بواحيه ، وتقلّب في جوابه ، يتصبّد الدرر يهديها إلى العباس في شعره ويرضع بها تاحه ، فيزيد في جلاله ويضاعف سنا ملكه ، واشراق عصره ؟

إنها لصدمة عنيفة لنفس حافظ ، ولأدبه وقتّه ، ولكن لا بدّ للنفس الكبيرة من أن تطلب حقها ، وتلتبس مكانها ، ولا بدّ للادب وفنّ الادب من نهضة بعد نهضة ، وانبعاث بعد أخرى .

فوق عرش الامارة عصر ، عرش الخلافة العظمى في فروق ، ووراء هذا المجال الضيق الذي عثرت فيه آمال حافظ وهوت صريعة ، مجال أوسع يجدر به أن يتخذ له أدبه وقتّه . ولنفسه ومطامعه . وهكذا انصرف حافظ إلى هذا المجال ، وأقبل على

أمير المؤمنين ، السلطان عبد الحيد ، يتفتى بدمعه ، ويذكر له والخلفاء
من آل عثمان فصلهم العظيم في إقامة ذلك البناء الاسلامي الضخم الذي رفعوه على
شعر سيوفهم ، وتمهدوه بدماء أبطالهم ورجال دولتهم .
قال شاعرنا الكبير من قصيدة في عيد تأسيس الدولة العلية :

بقد مكن الرحمن في الارض دولة لعثمان ، لا تغفو ولا تنسب
بها ، فظنتها الدراري منازل لبدر الدجى تبنى ، وللمد تنسب
وقام رجال بالامامة بعده فزادوا على ذلك البناء وطبوا
وردوا على الاسلام عهد شبابهم ومدوا له جاهاً يهاب ويُرهب
سوداً على البسفور تحمي عريتها وترعى نيام الشرق ، والغرب يرقب
وقال من قصيدة أخرى في عيد الجلوس السلطاني :

بمن جلال العيد والقوم هيئ بفلحني آى العلى كيف نكتب
نجت على عرش الجلال ، وتاجه يهش ، وأعواد السرير ترحب
وكم حاولوا في الارض إطفاء نوره واطفاء نور الشمس من ذلك قرب
ومنها في وصف الجيش العثماني :

بداني شغوص الموت حتى كائناً له بين أطفار المنية مطلب
اداء في يوم الوغى ، مال منكب من الارض والاطواد ، وانها لمنكب
له من رهوس الشمس في البر مركب ومن ثائر الامواج في البحر مركب
لم يزل حافظ مالياً من حاسب الخلافة ، وضاع شعره فيها كما ضاع من قبل في
الامارة ، وقيل في بعض الاباء إن اليد التي أبعدته عن هذه لم تدعه ينعم بامله
الحديد ، فسدت عليه السبيل بعد ان عمل بعض الاصدقاء والاصار لتمهيد ، وبعد
ن أوشك الشاعر العائر الجد أن يظفر محاجته ، ويقع على أمينة .

اشتدت الحركة الوطنية في مصر على يد الزعيم الوطني الاول (مصطفى كامل)
أوصار الشعر من عناصرها ، فغامر حافظ فيها يتوحد الى الشعب ويناصر زعماءه ،
ويروعه انه مفق من هذا الطريق الى ما ينتفيه من نباهة ذكر وسمة حال ،
فظم القصائد الحماسية الملتزمة ، وجال في ميدان الجهاد الوطني جولات واسعة

نفسيه من

دع وعس دان

كان أولاني

عقد بوران

اسد الثاني

وورن

وطاً بميدان

م حسان

آيات عدنان

غير نشوان

راح والبان

ملك ريان

ما أن يطمع

له من حالي ،

عمل كل ما

ن وغواصه

العباس في

عصره

س الكبيرة

نهضة بعد

هذا المجال

ان يتخذ

، وأقبل على

النطاق مترامية المدى ، وقد نجح من الناحية الأدبية مجاحاً كبيراً في هذا المسلك الذي لم يكن من المستطاع لشاعر القصر أن يزاحه فيه ، أوبصره عنه ، ولم يقصر حافظ شعره في هذا الدور على السياسة وحدها ، ولكنه تبسّط في أدبه فتناول الاخلاق والعادات ، وشؤون الحياة العامة وأحداثها في الامة ، فلقبوه بشاعر النيل وبالشاعر الاجتماعي .

وهذه أمثلة مما نظمها في هذه الوجوه والمناحي نجدتلك أنه لم يُعَدَّ لصغار الامور ، وأنه مسوق بفطرته وشعوره الى مواطن الجد في القول ، ومساوئ المر والشرق في الادب ، فهو بهذا الوصف شاعر الامة والبلاد ، وشاعر الزمن والمخلود .

لست في هذا بعشيم ، وما أدعى انه استطاع أن يعصم نفسه وأدبه عما لا يسى لئله من زلة الرأي ، ونهاقت المسطق ، فإن له لقصيدتين من الشعر الشارد ، احدهما في رثاء الملكة فيكتوريا ، والثانية في تنويع ادوارد السابع وقد احترز في الاولى ولم يتحفظ في الثانية ، فقال :

لا تعجبين الملك عزّ جانبه لولا التعاون لم تنظر له آثرا
ما نل ربك عرشاً بات بحرسه عدلٌ ، ولا مدّ في سلطان من غدا
(ادوارد) دمت ، ودام الملك في رغد ودام جندك في الآفاق منتصرا
هم يذكرونك إن عدتوا وعدوهم ونحن نذكر إن عدتوا لنا (مهمرا)
كأنما أنت تجري في طريقه عدلاً ، وحلماً ، وإيقاماً بمن أثرا

وان له لقصيدتين أخريين في وداع (كرومر) أخطأ فيها القصد ، والتوى به السبيل في أولاهما التواء يسوء كل محب له ، ومطلع هذه القصيدة :

فتي الشعر، هذا موطن الصدق والهدى فلا تكذب التاريخ ، إن كنت مفشدا ومنها :

منطري أياديك التي قد أفضتها علينا ، فلسنا أمة تجحد اليدا
أمتاً ، فلم يسلك بنا الخوف مسلماً ونحننا ، فلم يطرق لنا الدهر مرقدا
وكنّت رحيم القلب، نحى ضعيفنا وتدفع عنا حادث الدهر إن عدا
قال شاعرنا الكريم بعد هذا :

ولولا أمي في دنشواي ، ولوعة
ورميك شعبا بالنعصب غافلا
لكننا أمي يوم الوداع لأننا
الهم فاعفر لحافظ ، انها ليست من دأبه ، ولا من عقيدته .

أمثلة من شعره في السياسة وشؤون الحياة

قال من قصيدته (ماذا أصبت من الاسفار والنصب) :

متى أرى النيل لا تحلو موارد
لغير مصرتهب لله ، مصرتهب ؟
فقد غدت مصر في حال اذا ذكرت
جادت جفوني لها بالؤلؤ الرطب
كأنني عند ذكرى ما ألم بها
قرم ترد بين الموت والحرب
اذا نطقت فقاغ السجن متكني
وان سكت ، فان النفس لم تطير
أيشكي الفقر قاديننا ورائحنا
ولحن نغنى على أرض من الذهب ؟
والقوم في مصر كالاسفنج ، قد نطقت
بالماء ، لم يتركوا ضرا لمحتلب
يا آل عثمان ، ما هذا الجمال لنا
ولحن في الله اخوان وفي الكسب ؟
تركتمونا لا قوام لمخالفة
في الدين والفضل والاخلاق والادب

آية بارعة من إنجيل الشعر السياسي أرسلها الشاعر الكبير تحت صماء مصر ،
اسم مصر ، وفي سبيل مصر ، يشكو فيها تألب الحوادث عليها ، وتشاغل الاعوان
والانصار عنها ، وهو حين يذكر السجن ويتخوف أن يقذف به الى قاعه إن هو
كشف عن ذات نفسه كل الكشف ، وقال كل ما يريد أن يقول ، انما يصف
لك خطب الحرية ومضامها ، وشقاء النفس الشاعرة وعذابها ، وهذه صورة أخرى
من صور الحياة السياسية التي تصدق لوصفها ، وعمد الى تصويرها . ومن شعره في
هذا الباب قوله من قصيدة :

سعت الى أن كدت أنتعل الدما
وعدت وما عقيبت الا التندما
لحنا الله عهد القاسطين الذي به
تهدم من بغيانا ما تهدما
إذا شئت أن تلقى السعادة بينهم
فلا تك مصرى ، ولا تك مسلما

وقوله في حادثة دنشواي من قصيدة طويلة :

أيها القائمون بالامر فينا هل نسيتم ولاءنا والودادا ؟
 إنما نحن والحمام سواها لم تغادر أطواقنا الا جيادا
 أحسنوا القتل إن ضننتم بمعفو أنفوساً أصبتم ، أم جداد ؟
 لبت شعري أتلك محكمة الله نيش عادت أم عهد نيرون عاداد ؟
 وقوله من قصيدة أخرى في هذه الحادثة وحه الخطاب فيها الى ممثل الدولة
 الانكليزية في مصر لدى عودته إليها :

ماذا أقول ، وأنت أصدق ناقل عفا ، ولكن للسياسة تكذب ؟
 إن ضاق صدر النبل عما هاله يوم الحمام ، فإن صدرك أرحب
 رفقا (عميدة الدولتين) بأمة ضاق الرجال بها ، وضاق المذهب
 إن أرحقوا صيادكم ، فلمعلم ولقوت ، لا للمسلمين ، تمصّبوا
 ولربما ضنّ الفقير بقوته وسغا بمهجتو على من يفضب
 في (دنشواي) وانت عفا غائب لعب (القضاة) بناء وعرف المهر
 نكبوا ، وأفقرت المنازل بعدم لو كنت حاضر أمرهم ، لم ينكبوا

لا تظن حافظاً يرسل هذا البيت وهو غافل عما ترى أنت فيه معنى التزيه للممثل
 الانكليزي ، والارتفاع به عن مواطن الظلم ، ومواضع الجور والصف ، إنه ليعلم
 أن كل ما حدث في دنشواي من كبار الحوادث وعظام الامور ، إنما كان بمشيئة
 الممثل ورأيه ، وإنما هو يغالط ويتهم ، ونحن بمبيل الشعر السياسي ، وقد مضى
 حكم شاعرنا الكبير على السياسة في قوله (ولكن السياسة تكذب ..) . قال
 بعد هذا :

جلدوا ، ولو منيتهم لتعلقوا بحبال من شرتقوا ، ولم يتبّجوا
 شتقوا ، ولو منحو الخياري لأهلوا بلغى صياط الجالدين ، ورحبوا
 فاجعل شعارك رحمة ومودة إن القلوب مع للودّه نكسب
 أنظر إلى هذا البيت ، ألا ترى فيه مصداق ما قلته لك عن غرض الشاعر ووجهه

إذ يقول (لو كنت حاضر أمرهم لم ينكبوا) ؟ إنه ينصح للممثل الانكليزي أن يكون رحيماً ، ويوصيه أن يتودد الى هذه الأمة بكفّ الاذى ، وأحدها بسياسة أخرى غير سياسة العصا ، قال الشاعر يخاطبه :

وإذا مُثِّلْتَ عن الكنانة ، قل لهم هي أمة تلهو ، وشعبٌ يلعبُ
وله من قصيدة يخاطب (روزفلت) حين قدم إلى مصر وألقى فيها خطبته السياسية الماثورة :

يا خطيب (الدنيا الجديدة) شَفِّفْ سمع مصر بقولك الماثور
واخبر الناس كيف سُدَّتْ على النّاس سر وجّتهم بمعجزات الدهور
وملكتم أعنة الريح والماء وودستم على رقاب العصور
قفّ وعدّدْ ما أثر العلم ، واذكر نعم الله ذكر عبد شكور
وبدا ما ذكرت أنعمه الكبّر رى فلا تنسّ نعمة الدستور
يا نصير الضعيف ما لك تُطرى حُطّة القوم بعد ذاك الكبير ؟
لم تُطيقوا جوارهم ، بل أقمتم في حماكم من دونهم ألف سُور
ليت شعري أكنت تدعو اليهم يوم كانوا على تخوم الشُّفور ؟
يوم كانوا قدنى معين (نُبُيُور... ك) وداء مُستحكماً في الصدور
يوم نادى (واشنجتون) قلباً هُ من الغيل كلّ لبثِ هصور
ووثبتم إلى الحياض ووثباً وتغنمتم عنكم ثراب القبور
يا نصير الضعيف حَبِّبْ اليهم هجر مصر تفز بأجر كبير

لا يريد ان نستأثر بشعر حافظ فيما نكتب عنه ، فإن لاصدقائه الكرام ومحابته المؤلفين من كتاب هذا العدد المختص له حقّاً كبيراً فيه وفي شعره ، وحسبنا من شعره السيامي ما أثبتناه له ، فهو يُمثّله لك شاعراً محباً لبلاده ، حفيّاً بأمتّه ، يشكو ، فلا ترتاب في أن مصر هي الشاكية ، ويرجو فلا تأخذك شبهة في موضع هذا الرجاء من نفسها ، ومحلّه من فؤادها . ان في كلّ بيت من هذا المثال المقتضب لجُرْحاً دامياً من جراح مصر السياسية ، وصرخة عالية من صرخاتها العنيفة المتوالية ، وابل لك ترى بين هذين شيئاً آخر يندفع في روعة شديدة ، وينور في

حرارة بالغة ، ذلك هو الأمل ، أمل مصر المحزنة ، أملها الحائر المضطرب نارة .
والخزين نارة أخرى . ومن شعر حافظ في شؤون الحياة المصرية قوله من قصيدة
يدهم بها رأى (قاسم أمين) في الحجاب :

رجائي في قومي ضعيفٌ كأنه جنانٌ وريرٌ . سودته متاصبة
أقاسمُ إنَّ القوم ماتت قلوبهم ولم يفهموا في السفر ما أنت كارتة
وقوله من قصيدة في حريق ميت ضمير :

أبها الرافلون في خلل الوش في مجرون للذبول افتخار
إنَّ فوق العراء قوماً جياحاً يتوارون ذلةً وانكساراً
قد شهدنا بالأمس في مصرُ عرساً ملأ العين والفؤاد انبهاراً
سأل فيه التضار حتى حسبنا أن ذاك الغناء يجرى نضاراً
بات فيه المنعمون بليلاً أخجل الصبح حُسنه فتواري
يكتسون السرور طوراً ، وطوراً في يد الكأس يخلعون الوقا
ومعنا في (ميت ضمير) صياحاً ملأ البر ضجة والبحار
جل من قسم الحظوظ فهذا يتفنى ، وذلك يبكي الديار !

في القصيدة التي تجزى عنها بهذه القطعة البليغة وصف مؤلم للمصريين
يبحث الرحمة في أشد القلوب قسوة ، ويغري بالاحسان والبر أكثر النفوس تمرداً
على فضيلة المعروف وشريعة الخير ، ولم يكن حافظ في هذا كله وصفاً أو مصوراً
حسب ، كلا ، فأننا نرى نفسه الكريمة وروحه البارة ، ممثلين في هذه القصيدة
المؤثرة تمثيلاً ناطقاً ، ولقد عرفته رحمه الله لئلا القلب ، قوى العاطفة يقف على
السائل بين يديه ، فيقع عطاؤه في كفّه قبل أن تقع كلمته من بين شفثيه . ثم لا يفتن
بهذا ، ولكنه يبقى واجماً محزوناً من أجله فلا يكاد يعود الى الحديث الا إذا
حمل عليه . وهذه قطعة من قصيدة له ألقاها في مدرسة البنات في بور سعيد :

كم ذا يكابد حاشقٌ ويلاق في حب مصر كثيرة العشاق
لغنى عليك متى أراك طليقة يحمي بكريم حالك شعب راق ؟

فإذا رُزقتَ خليفة محمودة فقد اصطفاك مُقَدَّمُ الارراق
والعلم إن لم نكتفه شمائلُ تعلية كان مطبة الاخفاق
كم عالم قد العارم حبالاً لوقية وقطبة وفراق

بذكر فقيه السوء بعد هذا البيت ثم يقول فيه :

بشي وقد نصبت عليه عمامة كالبرج لكن قوق نل نفاق
ثم يستطرد فيقول :

وطيب قوم قد أحل لطفه ما لا يحيل شريعة الخلاق
وهو إذا وفي هذا الطيب حقه من الوصف كره على (مهندس النيل) فأغرقه
دماً وتقريماً ، ثم انقض على الاديب - أديب السوق - فأهانته ودلس أدبه وبيانه
وهذا بعض ما قال فيه :

في كفه قلم يجمع لعابه ممتاً وينفنه على الاوراق
برد الحقائق وهي بيض نضج قدسية ، علوية الاشراق
فيردّها سوداً ، على ججباتها من طلع التمويه ، ألف نطق
عريت عن الخلق المظهر نفسه خيائه ثقيل على الأعناق

بلغت الشاعر بعد هذا كله الى جبل الامهات في مصر ، وسائر بلاد الشرق
العربي ، والى ماله من الآثار القديمة في حياة الأمم الشرقية فيقول :

من في بترية النساء ، فانتها في الشرق علة ذلك الاخفاق
الأثم مدرسة ، إذا أعددتها أعددت قديماً طيب الاعراق
سار هذا البيت مسير المثل ، وهو من الحكم العمرانية الجليلة ، وقد ذهب
الشاعر في هذه القصيدة مذهب المتحفظ بين أنصار الحجاب ، ودعاة السفور ،
فقال :

ألا أقول دعوا النساء سوافراً بين الرجال ، يحلن في الاسواق
بذر جن حيث أردن ، لا من وأزع يحذرن رفبت ولا من واق
كلا ، ولا أدعوكم أن تُسرفوا في الحجب ، والتضييق ، والارهاق

فتوسطوا في الحالتين ، وأنصفوا ، فالتسّر في التقيّد والاطلاق
 ربّوا البنات على الفضيلة ، إنَّها في المتوفّقين لهنّ خيرٌ وثاق
 بهذه الابيات الحكيمة ، فصّل الشاعر العظيم حافظ ابراهيم في مشكلة
 (الحجاب والسّفور) على السّنن الأوضح ، والطريقة المنبّية . فمن حقّ هذا
 الحكم أن يكون دستوراً لحيلنا الحاضر وللأجيال المقبلة معاً في هذه القضية
 التي تشغل الشّعوب الشرقية اليوم .

قال شاعرنا العظيم من قصيدة في (رعاية الاطفال) :

لوفى بالزكاة من تجعّ ال... دنيا وأهوى على اقتناء المطامير
 ما شكا الجوع ممدّم ، أو تصدّى ركوب الشرور والآثام
 راكباً رأسه طريداً شريداً لا يبالي بشرعة أو ذم
 سائلاً عن وصية الله فيه آخذاً قوته بحدّ الحسام
 أنظر اليه كيف تناول الحياة العامة من أساسها ، وكيف برز في هذه القطعة
 من شعره رعيماً اشتراكياً كبيراً ، يجمع الفقراء حول لوائه ، ويؤخّض بهم في
 شجاعة وجراة على قصور الأغنياء ، يدعوهم إلى كتاب الله ويحاول أن يقنّهم
 الاسوار إلى حزائهم يستنقذ منها تلك الحقوق الصارخة المحبوسة عن ذويها
 وأوليائها .

أنظر اليه إماماً صالحاً ومعمّماً حكيماً يصف لك ما يشأ عن تعطيل حكم الزكاة
 من سحق الفقراء على الأغنياء وشوق العداوة بين الفريقين ، وأن ذلك ممّا يشير
 الشرور ويدفع إلى اقتراف الجرائم .

قال شاعرنا من قصيدة ربّانة ألّفها في احتفال الجامعة مطامير (حبّاكم
 الله أحيوا العلم والأدب) :

هذا هو الأثر الباقي فلا تقفوا عند الكلام إذا حاولتموا أدبا
 ودونكم مثلاً أو شصكت أضرتكم فيكم وفي مصر إن صدقاً وإن كدما
 محمت أن امرأ قد كان يألّفه كتب فعاث على الإصلاح واصطحا
 فرّ يوماً به والجوع ينهبه نهياً فلم يبق إلا الجلد والعصا

يسكى عليه وفي ميمناه أرغفة
فقال قوم وقد رفقوا لذى ألم
ما حطب دا الكلب؟ قال: الجوع يحطفه
قالوا وقد أنصروا الرغفان زاهية :
أحلمهم ، ودواعى الشج قد صرت
لذلك الحد لم تبلغ مودتنا
هذى دموى على الحدين جارية
لو قاتلها جائع من فرسخ وثبا
يسكى ودى ألم يستقبل العطب :
منى وينشب فيه الناب مختصبا
هذا الدواة فهل طالته فأتى ؟
بين الصديقين من فرط القلي حجب :
أما كنى أن يرانى اليوم ممتعبا ؟
حزناً ، وهذا فؤادى يرتى لها

يسوق حافظ الى قومه هذه القصة البديعة التى تصف الحنان السكاد ، وتمثل
الحب الغادر ، ليأخذ السميل على الذين يدعون حب مصر من أبنائها ، ويكثرون من
ورديد الاقاويل الزائفة فى هذا المعنى ، حتى اذا حانت ساعة العمل تركوا البلاد فى
عمرتها ، ووقفوا يتباكون حلف أنصارها ، أراد شاعرنا الموقر أن يأخذ السبيل على
هؤلاء ليساهموا بأموالهم فى إقامة أكبر دار للعلم والثقافة العصرية فى مصر ، وانظر
ماذا يقول بعد اداء قصته .

أقسمت بالله إن كانت مودتنا
أعيدكم أن تكونوا مثله ، فرى
إن تقرصوا الله فى أوطانكم ، فلکم
كصاحب الكلب ، ساء الامر منقلباً
مكم بكاء ، ولا تلقى لکم دأماً
أحر المجاهد ، طوبى لادى اكتنا

فى هذه الطائفة من مسطومات حافظ فى هذا الباب ما يمتنى عن الاسترسال ، ويبقى
بالمطلب المبتغى ، وقد ترامت بشاعرنا الكبير همته الادبية ، فتباعد مداه ، وتقاذفت
فايته ، ومن الاغراض التى تناولها ونظم فيها ، وهو يسير ممعاً ، ويذهب متدفقاً
فى تلك المطارح البعيدة والمنازع القصية : الشمس - غادة السابان - حرب
اليان - المارتينيك - فيكتور هوغو - زلزال ايطاليا - مير المؤمنين عمر بن
الخطاب - تولستوى - وقد أجاد حافظ فى كل هذه الابواب اجادة كبيرة ، تدل على
عبقريته وعلو منزلته . فن قوله فى مناجاة تولستوى بعد موته :

حياة الورى حرب وأنت تريدها
أبت سمة العمران الأ تناحراً
سلاماً ، وأسباب الكفاح كثير
وكدحاً ولو أن البقاء يعير

والاطلاق
من خير وثاق
اهيم فى مشكلة
فن حق هذا
هذه القضية

اقتناء الحطام
روبر والآفام
أو ذمام
سدا الحسام
فى هذه القطعة
يرزح بهم فى
ل أن يقصم
مة عن دوى

لميل حكم الزكاة
ذلك مما يثير

١ - (حيث كم

حاولتموا أدبا

دقاً وإن كذبا

إلاح واصطحبا

الجلد والعصبا

محاوُلُ دَفَعَ الشَّرَّ والشَّرُّ واقعٌ وتطلبُ محضَ الخيرِ وهو عسيرُ
ولولا امتزاجُ الشرِّ بالخيرِ لم يقم دليلٌ على أن الآلةَ قديرُ
ولم يبعث اللهُ النبيينَ للهدى ولم يتطَّلَعِ للعُمرِ أميرُ
ولم يعشقِ العلياءَ حُرٌّ، ولم يَسُدَّ كريمٌ، ولم يَوجُ الثراءُ فقيرُ
فكم في طريقِ الشرِّ خيرٌ ونعمةٌ وكم في طريقِ الطيباتِ ضرورُ

موقف تأمل

هذا هو حافظ إبراهيم، فهل ترى وراء كل هذا مزيداً لشاعر مصري يعيش في مصر؟ إن في مصر حياة زاهرة ولكن لغير الأدب المهذب، وودنيا ناضرة ولكن ليست للشاعر الحر، وهل تظن أن حافظاً يجوز له حيث يقول :

فأنت يا مصرُ دارُ الأديبِ ولا أنتِ بالبلدِ الطيبِ
أتراه متجنباً عليها أو ظالماً لها أو عدواً يضر لها البغض ويريد بها السوء، وهو الذي أذاب نفسه الكريمة شعراً في سبيل حبها ومن أجل حياتها؟ أليس هو الذي يقول :

لحنى عليك متى أراك طليقةً يحمى كريمٌ جمالكِ شعبٌ راقٍ
أترى أن تعرف لم يقول حافظ بعد هذا وغير هذا (فأنت يا مصر دار الأديب...)؟ هو وحده يتحدثك، وهذا جوابه :

عفى الدهرُ ولولا أنى أوثرُ الحنى عفتُ الأدبا
أنا لولا أن لي من أمتي خاذلاً، ما بت أشكو النوبا
ما أراك بحاجة إلى المزيد بعد هذا، ولكني أزودك قبل الفراغ من هذا الموقف لتظل ذاكرةً، قال حافظ من قصيدة :

سلامٌ على الدنيا سلامٌ مودعٍ رأى في ظلام القبر أنساً ومغنا
فما عصمتني من زمانى فضائلٍ ولكن رأيت الموت للحُرِّ أعصا
أخذ حافظ بنصيب من رتب الدولة، وأقيمت له حفلة تكريم كبرى، ثم

استعمل في دار الكتب وكل هذا عطالة تَزُرُّ وبائل مُصَرَّدٌ ، وليس من هذا شيء يرضى النفس المجيدة والعقل الكبير ، فرحمة الله عليك أيها الصديق .

نظرة في شعره

سلفنا لك أن حافظاً شاعرٌ حلَّ متمكن الشاعرية قليل الأنداد ، وقصصاً عليك من أمره ما فيه عظة لك بالغة ، فكن معنا في انصافه والناس المعدرة له إذا رأيته يهيم تارة أو ينهم بالشعر فيتعسف فيه تارة أخرى . وانك لتراه على هذه الحال في القصيدة الواحدة من شعره : تراه الشاعر العبقري الميسع في موضع منها والشاعر المتهاون المستهدف للقد في موضع آخر . أنظر إلى قوله :

ماذا ادَّخَرْتَ لهذا العبد من أدب ؟ فقد عهدت لك ربَّ السَّبقِ والفلسفِ

البيت بارع يجري على نسق جميل تلمس فيه قوَّة الدافع الوجداني وتسمع له حرصاً بعيد الأثر طويل الرنين . وانك لتراه مصقولاً ناعماً كثير الإيماض مُستطير البريق . ولكن أترى لو أنَّ حافظاً مُعنع النظر في هذا البيت أكان ينقل عما فيه من التخاذل ؟ انه ليعلم أن قوله (ادَّخَرْتَ) يفسد عليه غرضه وينأى به عن المنزلة التي أرادها لنفسه ، وهل يفتر الشاعر الفبَّاس إلى الادخار وهو الذي يسبق الأقران ويغلبهم ؟

أعجب من هذا البيت قوله في البيت الثاني من القصيدة :

تشدو وزهفُ بالاشعار مُرَّنجلاً وتُبهرُ القول بين السَّحر والمعجزة

فهو في البيت الاول شاعر مدَّخر لا يأخذ موقفه الا اذا استعده ، وهو في البيت الثاني حاضر البديهة متدفق الطبع ، يقول الشعر ارنجلاً ويا بعد ما بين الصورتين . أما قوله (زهف بالاشعار) فخطأ لغوي ، يقال أرهف الرجلُ السيفَ ورهفه اذا شحذه ورفق حده ، ومراد الشاعر أن يقول إنه يشدو بالاشعار ويرفق صوته في انشادها فخطأ ظاهر ، وقال :

وتصقلُ اللَّفَطُ في عيني ، فأحسبني أرى فرثاً سيوف الهدى في الكتب

أنت ترى البيت من الشعر الرنان وإنك لما أخذ بحال هذا التشبيه الذي يُريك رونق السيف وشاعته في المَشْوَفِ المُعْلَمِ من الكلام بولكسك في غير

وهو عسير
أمة قدير
أمير
الثراء فقير
أنت ضرور

يرى يعيش في
ماضرة ولكن

الطبيب
بها السوء ،
ليس هو

عبد راق
أديب ..

أدبا
وآبا
اغ من هذا

منها
صا
كبرى ، ثم

حاجة الى الاذن اذا قلت إن جملة (تصقل اللفظ في عيني) طاهرة الخلل والفساد
لأن مرجع الصور العظيمة الى الدهن — أو هو الذوق القوي — لا الى العين .
فما كان لها من مختلف الآثار فتم الموضع وهناك الحكم ، شأنها في ذلك شأن
الصور المموية ولا خلاف ، والعين والكتب في البيت — أو في هذا الباب كله —
يستويان حكماً لأن رونق الكلام واشراقه لا يكونان في الورق ، وأولى بهذا الوصف
أن يكون في حسن الخط وجمال الرسم لا يعدوهما ، ومن عبث المتنبي في هذا الباب
قوله :

وَمَا قُلْتُ مِنْ شِعْرِ تَكَادُ بِسُوءِهِ إِذَا كُنْتُ بَتَّ بَعْضُهُ مِنْ نُورِهَا الْخَبِيرِ
وأشد من هذا في معرض العبث أن يقول :

وَمَا أَنَا وَخَيْدِي قُلْتُ دُ الشَّعْرَ كُلَّهُ وَلَكِنْ لَشَعْرِي فَبِكَ مِنْ نَفْسِهِ شِعْرُ
قال شاعر قديم في حسن الخط :

يَا مَنْ إِذَا خَطَّ الْكِتَابَ يَمِيزُهُ أَهْدَى الْيَنَابِ الْوَشْيَ مِنْ صَنَاعِهِ
والشطر الثاني لا بي تمام وأصله (أهدى اليها) . وقال التنوحي في هذا الباب :

وَكَاذِبُهُ لَيْسَ ————— لَمْ يَمْوُجْ رِخْلَاهُ حُبَّحٌ مُنِيرٌ
وبدائع ————— دَعِ الْقُلُوبَ بَ تَكَادُ مِنْ طَرَبٍ تَطِيرُ
ومنه قول كشاحم :

وَكَاذِبُ الْبَيَاضِ وَالثَّقَلُ السُّودُ دَعْبِيرٌ رَشَقَتُهُ فِي مَلَاءِ
وَكَاذِبُ السُّطُورِ وَالذَّهَبِ السَّاءُ طَمِيعٌ فِيهَا كَوَاكِبُ فِي مَلَاءِ
وأي شاعرنا من المعاني يصفها ويقول لنا ما هي ؟ أتراها اكتفى من وصفها
بقوله في البيت السابق « وتبرد القول بين الشعر والمعجب » ؟ كلا ! فما هذا من
الوصف الفني في شيء ، وإليك بعض ما قيل في وصف الكلام . قال أبو تمام في
الحسن بن وهب :

تَنْشَقُّ فِي ظِلْمِ الْمَعَانِي إِنْ دَجَتْ مِنْهُ تَبَاشِيرُ الْكَلَامِ الْمَشْرِقِ
وقال البحتري :

وبديع كأنه الزهر الضا حاك في رونقه الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما يحق لمقه عوده على المستعبد
أما المتنبى فيقول :

إذا ما صافح الأصابع يوماً تبسّمت الضمائر والقلوب
لا زبدك على هذا الخسبك أن تعرف المذهب وترى تصرف القوم فيه وحسب
وإن البحترى قال « مشرق في جوانب النفس » لكان جود وأن النبون لكبير
بين « سمع البحترى » و « عين حافظ » .

قال حافظ في هذه القصيدة :

أني دعوت القوافي حين أشرق لي عيد الأمير قدّبت غرّة الطلب
غرّة كل شيء أوله ، يريد أن القوافي لبته مسرعة وهو مأخوذ من
قول ابن الرومي :

يا من تنافس في أوصائه كلي تنافس العرب الإجماع في النظم
وهو مأخوذ من قول أبي تمام :

نفاير الشعر فيه إذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتل
و في بيت أبي تمام من التهويل الشعرى ما ترى . وقال في قصيدته (باليلة
الهمنى ما أتته به) :

أني أرى تحبباً يدعو إلى عجب الدهر أضمره والميد أفساه
يقول هذا البيت في وصف المشاهد التي رآها ليلة المهرجان فانظر كم بينه وبين
قول ابن الرومي في تهة بعيد السروز :

لم يبق للأرض من سر تكامه إلا وقد أظهرته بعد إخفاء
قال حافظ يصف حديقة الأزيكية في قصيدته هذه :

أم الحديقة ذات الوش قد جليت في منظر يستعيد الطرف مرآه
المظر والمرأى واحد ، وقد أراد شاعرنا أن يقول أن الحديقة برزت في منظر
أبني يعمرى العين بأمان المظر فوضع (مرآه) موضع (رؤيته) فاحطاً وقال :

أرى المصاييح فيها وهي مُشرقة كأنها النور والوسم حَبَاهُ
تشبيه معكوس لأن المصاييح شد إشراقاً من الزهر . ولعل الصورة التشبيهية
هنا قائمة في اختلاف ألوان المصاييح ومحاكاة ألوان الارهار ، وهو ما لا يستفاد
من هذا البيت أو سواء من أبيات القصيدة ، واليك ما يقوله أبو الحسن النهامي
لتعرف مأخذ التشبيه :

وإذا تأملت الكواكب خلتها زهراً تفتّح ، أو عُيوناً حوَّلا
وانظر ما يقول ابن النبية :

والليلُ تجري الدردار في مجرته كالروض تطفو على نهر (أزاهره)
وأزاهره في البيت خطأ ، فالصواب ، زهر وأزهار وأزاهير — قال حافظ بعد
البيت المتقدم في صفة المصاييح :

أو إنما هي الفاظٌ مدبجة وكلُّ لفظٍ تجلّى فيه مضمناه
شبه شاعراً المصاييح في البيت السابق بالأزهار ، ثم عاد فشبهها في هذا البيت
بالالفاظ المدبجة ومعانيها فلم يتجاوز ما قدمناه لك من بيان وإيضاح ، فانت ترى
الاتصال ظاهراً في البيتين بل نحن نزيدك فنذكر لك قول المتنبي :

كان المعاني في فصاحة لفظها مجومّ الثريا أو حلائقك الرُّهر
قال حافظ :

أرى (سمو خديونا) وقد بسطت بالعدل والعدل بمناه ويسراه
رحم الله شاعرنا الفحل اني لأظنه تردد كثيراً في (سمو خديونا) هذه وما
أبت أن تفارقه وطن لها نفسه وأدخلها بيته كارهاً ثم ذهب يردد قول جرير :

إنّ البغيض له منازل عندنا ليست كمنزلة المحب المكرم
وبعد ، فبيت حافظ صورة من قول البحري :

وليّ البلاد فكان عدلاً شامعاً ينفي الظلام ونائلاً موهوباً
وللقوم مذهب معروف في هذا الباب يقع فيه قول الخطيب :

يداك خليج البحر ، احدهما دم يفيض ، وفي الأخرى عطاة وائل
وقول مسلم بن الوليد :

وما مر يوم قط الا جرت به على الناس من كفيك ثؤمى وأنتم
وقوله :

فاد على كسب المحامد راح في راحته منية وثور
وقول ابن هاني الاندلسي :

ولدهر سيجل من حياق ومن ردى ولكته من بين كفيك ينهي
قال حافظ :

ارى أريكة عباس تحف بها وقاية الله والاقبال والجاه
يقال حفة وحف حولة وحمة بالشئ بقوله (تحف بها) خطأ لا يسوغ.
وفي القرآن الكريم (حافين من حول العرش وحفها بنخل) وقال البحري :
يحفون مرحو آ كان سيونه سيوح الهراق غزرهاو وفورها
ويقول جرير :-

ونسو الوليد من الوليد بمنزل كاليد حف بواضحات الانجم
ومن قول الاخطل في الحر :

لما ردا آن نسج العنكوت وقد حمت بما حر من طين ومن فار
وقد وقع ابن هاني الاندلسي فيما وقع فيه حافظ من الخطأ . فقال في القائد
حور :

يحف به القواد والامر امره ويقدمه رأيي الخلافة اجمع
ومما نسب الى عنزة وهو بعيد :

حقت بهن متاصيل وفوايل ومقت بهن ذوايل ونواج
ولعل هذا وأمثاله منشأ الخطأ في قول حافظ - قال في (جائزة الشعر) :

بني فتحت لها صدرا سليلي به إن لم تحلوها فالرحن خلاه

كانت الجائزة الاولى في هذه المسابقة نوطاً ذهبياً وهي التي عنها حافظ
وقد حُكم بها لقصيدته هذه . يقول إنه فتح لها صدره وفتح الصدر هنا لامعى له
فهي لا توضع داخل الصدر ولا تعلق على ظاهره فيحل الشاعر ما يليه من الازرار

وعبط ما عليه من النياب ، وهو لو فعل ذلك لبقى صدره مُقفلًا فالتعبير إذا ما مئى
بعض ما تشك في أن شاعرنا الكبير تَرَخَّصَ فيه لِيُبدَأَ عِبَ الحكمين ويشغلهم
بقصيدته .

قال في عيد تأسيس الدولة العلية يذكر خلفاء آل عثمان :

وقام رجالٌ بالامامة بعده فزادوا على ذاك البناء وطنبوا
وقال جرير :

ان الوليدَ خليفةً خليفة رَقَعَ البناء على البناء الاعظم
قال شاعرنا من قصيدة أخرى يصف شجاعة الجيش العثماني وشدة مخاطرته :
يُدَانِي شَحْوَصَ الْمَوْتِ حَتَّى كَأَنَّمَا لَهُ بَيْنَ أَظْفَارِ الْمَيْتِ مُقْلَبُ
الوصف في المنزلة العليا من الدراعة ، ولكنه ليس بالجديد ، فهو قد تقب
في صُورٍ شَتَّى من الشعر القديم ، وما يزيد لك إلا أن تنفقه في الأدب ، فإليك
طائفة من هذه الصُور ، قال أبو تمام :

مُحْتَرِّسِينَ إِلَى الْحَتُوفِ ، كَأَنَّمَا بَيْنَ الْحَتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ
وقال المتنبي :

وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى ، وَهُوَ نَائِمُ
وقال ابن هاني :

وَلَقَدْ تَكُونُ لَكَ الْأُسْنَةُ مُضْجَعًا حَتَّى كَأَنَّكَ عَنْ حِمَامِكَ غَافِلُ
وهذا ابن معنوق يقول :

وَحُفَّتْ إِلَيْهَا الْحَنَفَ حَتَّى كَأَنَّنِي أَقْتَنُّ أُخْصَاءَ الْمَنِيَةِ عَنْ مِرْ
قال حافظ :

مَلَكَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ فَجٍّ وَأُجَةٍ فَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَهْرَبُ
ويقول ابن هاني :

أَيْنَ الْمَفَرِّ وَلَا مَفَرٍ لِهَارِبِ وَلَكَ الْبَسِيطَانِ : الثَّرَى وَالْمَاءُ
قال حافظ :

تَفَادَقَهُمْ أَبَدِي اللَّيَالِي كَمَا تَهَمُّ بِهَا مَمْلُوكٌ لِلنَّاسِ فِي الْقَوْلِ يُضْرَبُ
 وَقَالَ أَبُو نَعَامٍ :
 تَنَفَّى عَلَى جَوَلَةِ الْأَيَّامِ مِنْ كُنْفَتِي رَمَنَوِي وَاسِيرُ فِي الْأَفَاقِ مِنْ مَمْلُوكِ
 وَقَدْ أَبْرَزَ الْمُتَنَبِّي هَذَا الْمَعْنَى فِي صُورَةٍ أُخْرَى فَقَالَ :
 يُحْبِلُ لِي نَبْ الْبِلَادِ مَسَامِيحُ وَأُنْتَى فِيهَا مَا تَقُولُ الْمَوَازِلُ
 وَمِنْ قَوْلِ أَبِي نَعَامٍ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ :
 كَانَ لَهُ دَيْنَانَا عَلَى كُلِّ مَشْرِيقٍ مِنْ الْأَرْضِ أَوْ ثَارًا لَدَى كُلِّ مَغْرِبٍ
 قَالَ حَافِظٌ مِنْ قَصِيدَتِهِ (مَاذَا أَصَبْتُ مِنَ الْأَسْفَارِ وَالنَّعَبِ ؟) :
 إِنِّي احْتَسِبْتُ شَبَابًا رَيْتُ أُنْفِقُهُ وَعَزَمْتُ شَاةَ الدُّنْيَا وَلَمْ تَشِيرْ
 وَيَقُولُ الْحَفَرِيُّ :
 مَحِيسُوا الزَّمَانَ الْقَرُطَ إِلَّا أَنَّهُ هَرَمَ الزَّمَانُ وَعِزُّهُمْ لَمْ يَهْرَمَ
 وَيَقُولُ أَبُو نَعَامٍ (شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَشِيرْ) . وَقَالَ حَافِظٌ مِنْ
 هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :
 مَتَى أَرَى النَّيْلَ لَا يَحُلُو مَوَارِدُهُ أَفِيرُ مُرْتَبِعٍ فَوْ مُرْتَبِعٍ ؟
 وَيَقُولُ أَبُو نَعَامٍ فِي الْمَعْتَصِمِ .
 نَدِيرُ مُنْتَصِمٍ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٍ لِلَّهِ مُرْتَبِعٍ فِي اللَّهِ مُرْتَبِعٍ
 قَالَ حَافِظٌ :
 وَكَمْ لَبَسْتُ الدَّخَى وَالتَّرَبُّ نَاعِصَةٌ وَاللَّيْلُ أَهْدَمُ مِنْ جَائِشِي لَدَى الشُّوَبِ
 أَكْتَرَبُ أَمَّ مِنْ التَّرَابِ زَعَمَ حَافِظُ أَنَّه حَمَّعُ فَانْتَهَ حَطَا وَلُبْسُ الدُّخَى أَوْ
 النَّيْلُ مِمَّا كَثُرَ تَدَاوُلُهُ عَلَى أَلْسِنَةِ الشُّعْرَاءِ . قَالَ حَاتِمُ الطَّائِي :
 وَلَيْلٌ بِهِمْ قَدْ تَمَرَّبَلَتْ هَوْلُهُ إِذَا اللَّيْلُ بِالْمَكْنَسِ الضَّعِيفِ يَجْهَلُهَا
 وَقَالَ الْعَتَّابِيُّ :
 مَحَبَّتُ لَهُ ذَيْلُ السَّرَى وَهُوَ لَا بَسَّ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى مَعَ صَوْدِ الْكَوَاكِبِ
 إِذَا ادَّرَعَ اللَّيْلُ الْجَبَلِ وَكَانَتْ بَقِيَّةُ هِنْدِي حُطَامَ الْمَضَارِبِ

ويقول ابن الرومي :

لَبِيتُ دُجَاهَ الْجُونِ نَمَّ هَتَكَتْهَا يَوْجَنَاءُ يَسْمِيهَا غَوِيْرُ وَشَدَقَمُ

ومن شعر البديع الحمداي (عَلَيَّْ أَنْ أَلْبَسَ الظَّلْمَاءَ وَالْيَلَابِيَا) ويقول غيره

(وَيَلْبَسُ مِنْ ظُلْمَائِهَا نَوْبَ نَاكِلٍ) فامتا قول شاعرنا (والليل اهد من جاشي لدى

النوب) فأخوذ من قول أبي طالب الرقي :

وَلَقَدْ ذَكَرْنَاكَ وَالظَّلَامُ كَانَهُ يَوْمُ السَّوَى وَفَوَادُ مِنْ لَمْ يَعْشِقُ

قال حافظ من قصيدته (طَفُّ بِالْأَرِيكَ) :

شَكَكَ عُمَانُ وَضَجَّ الْفَائِصُونَ بِوِ عَلَى اللَّائِي وَضَجَّ الْجَائِدُ الشَّائِي

كم رام شأوي فلم يدرك سوى صَدَدٍ سَمِعْتُ فِيهِ لَطْفًا وَوَرَّابِ

ومحمشل البيهقي في قول السري الموصلی :

وَالشَّعْرُ بِحَرْمٍ حُزْتُ أَنْفَسَ دُرُورِ وَتَنَاقَسَ الشُّعْرَاءُ فِي حَصْبَائِهِ

وقال من قصيدته في تنويع الملك ادوارد :

يُصَرِّفُ الْأَمْرَ مِنْ مِصْرَ إِلَى عَدْنِ فَاهْدِ فَالْكَابِ حَتَّى يَعْثُرَ الْجُرُورُ

ويقول المتنبي في كادور :

يُدَبِّرُ الْمَلِكُ مِنْ مِصْرَ إِلَى عَدْنِ إِلَى الْعِرَاقِ فَارْضِ الرُّومِ فَالْوَبِ

وقال :

سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كَدْتُ أَنْتَعِلُ الدِّمَا وَعُدْتُ وَمَا أَعْقَبْتُ إِلَّا التَّسَدُّمَا

وقال ازهر بن هلال التميمي يصف حواده :

أَمَاتِكَ مَا وَلَّيْتُ حَتَّى تَبَدَّدَتْ رَجَالِي وَحَتَّى لَمْ أَجِدْ مُتَقَدِّمَا

وحَتَّى رَأَيْتُ الْوَرْدَ يَدْمَى لِبَاسَهُ وَقَدْ هَاجَهُ الْإِبْطَالُ (فَانْتَعِلُ الدِّمَا)

وقال ابن هاني في خيل المعز :

لَهُ الْمُقْرَبَاتُ الْجُرْدُ (يُنْعِلُهَا دِمَا) إِذَا فَرَعَتْ كَهَامَ السُّكَاءِ السَّابِكِ

ومعنى البيت كله مأخوذ من قول الشاعر :

وما زلتُ أقطعُ عرض البلاد من المشرقين إلى المغربين
وأدّرعُ الخوف تحت الدّجى وأستعصبُ الدّمر والفرقدين
وأندوى وأشرُ ثوبَ الموم إلى أن رجعتُ يخفّئُ حين
وقال :

نكبوا وأفقرت المنازلُ بدمهم لو كُنت حاضر أمرهم لم يتركبوا
وهو من قول المهمل في كليب :
وتكلموا في شأنٍ مكلّ عظيمة لو كنت شاهد أمرهم لم ينبسوا
قال في قصيدة (روزفلت) :

وأخبر الناس كيف مُدتم على النّاس وجثتم بمعجزاتِ الدهور
أخبر من الأفعال الرّباعية وحكمه حين يكون فعل امر ثبات حركة الهمز في
أوله فيقول (أخبر) ، وعندنا ألا رُحصة في قواعد اللغة فلا يشفع في مثل هذا
الخطأ البيّن أن يكون البيت مُستقيم الوزن . قال حافظ بعد هذا البيت :
وملكتم أعنة الرّيح والملا ه ودُسْتُمْ على رقابِ المصور
يقال داسَ أرجلَ والشئ لاداسَ عليه فالفعل مُتَعَدٌّ بنفسه والخطأ في
البيت واضح ، وقوله (الدهور) في البيت الأول و (المصور) في الذي يليه من
أشنع عيوب القافية . ومن قوله في هذه القصيدة :

قف وعدّد مآثر العلم واذكّر نعم الله ذكّر عبدي شكور
في مادة عدّدَ عدّدَ شبهات لغويّة لم تفصل المعاجم في أمرها وقد اختلف في
تفسير قوله تعالى (الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ) فقالوا جعله عدّةً للدهر وقالوا
غير ذلك واليك طائفة من أقوالهم .
قال الخازن : وَعَدَّدَهُ أي أحصاه من العدد ، وقيل هو من العدد ،
استعدّه وجعله ذخيرةً ونحوه .

وقال البيضاوي : جعله عدّةً للنوارل ، أو عدّةً مرةً بعد أخرى ، ويؤيده
أنّه قرئَ وَعَدَّدَهُ على فك الادغام .
وقال الألويسي : عدّه مرةً بعد أخرى حبّاً له ، وشغفاً به وقيل جعله

قريرٌ وشَدَقَمٌ
(أ) ويقول غيره
من جاشي لدى

من لم يَمُنْ

أبيدُ الثاني
م وَوَرَأَفْ

في حصّائه

سُبرَ الجُرُورِ

رُومٍ فالوُب

الأُ التَّدُّمُ

يد مُتَقَدِّمًا

فانتعل الدما

كأف السناك

أصنافاً وأنواعاً ، وقال غير واحد ، أى جعله عُدَّةً ومُدَّحراً لوائب الدهر
ومصائبه ، وقُرِّيَ وعُدَّةً أى قومه الذين ينصرونه .

وقال الطبري : عُدَّةٌ أحمى عُدَّةٌ .

وقال الفخر الرازي : فيه وجوه ، أحدها أنه مأخوذ من العُدَّة ، وهي
الذخيرة ، وثانيها عُدَّةٌ أى أحصاء ، وجاء التشديد لكثرة المعدود كما يقال
(فلان يُعَدُّ فضائل فلان) وثالثها عُدَّةٌ أى كثرة ، وفراً بمعصم وعُدَّةٌ
بالتخفيف .

أمّا الرمضري شيخ اللغويين فيقول : عُدَّةٌ جعله عُدَّةً لحوادث الدهر ،
وقُرِّيَ وعُدَّةٌ بالتخفيف من قولك له عُدَّةٌ وعُدَّةٌ ، وقيل وعُدَّةٌ بمعنى
وعُدَّةٌ على فك الادغام ، نحو ضننوا .

هذه أقوال المفسرين ، أمّا معاجم اللغة فتقول : عُدَّةُ المال تمديدٌ جعله
عُدَّةً للدهر ، قال الاخفش : ومنه قوله تعالى (جمع مالاً وعُدَّةً) ويقال
جعلها ذا عُدَّة ، وعُدَّةُ الميت عُدَّةٌ مناقبه .

يعوزنا بعد كل هذا أن نستشهد بالشعر من أقوال النقات ، ولا يحضرا الآن
من الشواهد سوى قول أبي تمام :

وقائع أصلُ النصر فيها وقُرْعُهُ إذا عُدَّةُ الأحسانِ أولم يُعَدِّدْ
وقول الشريف الرضي في تهنئة أخيه الشريف المرتضى بمولودة .

فَوَيْلٌ لِمَنْ عُدَّةً جَلَّتْ بِجَوْهَرَةٍ غُرَّةً مِنْ قَرَرٍ بِالْجِدْرِ مَسْعُودِ
مَا عُدَّةَتْ مِنْكَ إِلَّا نَظْمَةٌ سَلَكَتْ إِلَى الْأَمَانِ طَرِيقَ الْمَسَاءِ فِي الْعُودِ
يدل سياق الكلام في بيت أبي تمام على أنه يريد الاحصاء ، أمّا الشريف
الرضي فيذهب الى معنى آخر ، والمعول في كل هذا على العرب ، فالشبهة ما تزال
قائمة ونحن نتجاوز بيت حافظ الى قوله :

ليت شعري أكننت قدعو اليهم يوم كانوا على تخوم الثغور ؟
اختلف علماء اللغة في كلمة (تخوم) فقال بن السكيت إنه مع أبا عمرو يقول
المفرد تخوم بالفتح والجمع تخم كصبور وصبر .

وقال القراء ، إنما هي تخوم ، وأحدها تخم وتخم ، وقد أخذ حافظ بهذا

القول كما أخذ به أبو تمام من قبل فقال :

حَسَنُ السَّدى سَطَّة المَعَالى إِذَا نَزَلَ البَغِيلُ عَلَى الشُّخُومِ

قال حافظ من قصيدته في كتاب قام أمين :

رَجَائِي فِي قَوْمِي ضَعِيفٌ كَأَنَّهُ جَسَائِي وَزِيرُ مَوَدَّتِهِ مَتَائِصُهُ

يجرى الشاعر في هذا البيت على نسق الظاهر الحرمي إذ يقول :

وَلَيْلٌ كَوَجْهِ البَرْقَعِيدِي ظُلْمَةٌ وَبَرْدٌ أَغَانِيهِ ، وَطُولٌ قُرُونِهِ

قَطَعْتُ دِيَابِجِيو بنومٍ مُشْرِدٍ كَعَقْلِ سُلَيْجَانِ بْنِ فُهَيْدٍ وَدِينِهِ

بَنَى أَوَّلَقِي فِيهِ التَّفَاتُ كَأَنَّهُ أَبُو جَابِرٍ فِي خَبَطِهِ وَجُنُونِهِ

إِلَى أَنْ بَدَأَ وَجْهُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ سَنَا وَجْهَ قُرَاشٍ وَضَوْءُ جَبِينِهِ

وقال في حريق ميت غمر :

جَلُّ مَنْ قَسَمَ المَحْظُوظَ فِهَذَا يَتَغَنَّى ، وَذَلِكَ يَبْكِي الدِّيَارَ

وهو ينظر إلى قول الشاعر :

سَبْحَانَ مَنْ قَسَمَ المَحْظُوظَ ظَ فلا عِتَابَ ، وَلَا مَلَامَةَ

قال حافظ من قصيدة أنفذها من السودان إلى الأستاذ الشيخ محمد عبده :

فَنَادَيْتُ بِاسْمِ الشَّيْخِ وَالتَّيْظُ جَهْرُهُ يُذِيبُ دِمَاعَ العُصْبِ والعَقْلُ ذَاهِلُهُ

فَصَرْتُ كَأَنِّي بَيْنَ رَوْضٍ وَمَنْهَلٍ تَدْبُ الصَّبَا فِيهِ وَتَشْدُو البَلَابِلُ

وهو صورة محرفة من قول الشاعر :

وَلَيْلٌ وَصَلْنَا بَيْنَ قُطْرَيْهِ بِالسَّرَى وَقَدْ جَدَّ شَوْقٌ مُطَرِّمٌ فِي وَصَالِكِ

أَرَبَّتْ عَلَيْنَا مَنْ مِنْ دَجَاهُ حَنَادِسُ أَعْدَنَ الطَّرِيقَ السَّجَّ وَغَرَّ المَسَالِكِ

فَنَادَيْتُ يَا أَمَمَاءَ بِأَمْسِكِ فَانْجَلَتْ وَأَسْفَرَ مِنْهَا كُلُّ أَسْوَدٍ حَالِكِ

وفي هذه القصيدة يقول شاعرنا :

قُلْتُ إِذَا شَاءَ الأَمَامُ فَأَوْبَتِي قَرِيبٌ ، وَرَبِي بِالسَّعَادَةِ أَهْلٌ

وَلَا فَنِي قَافٍ رُؤْيَا لَمْ أَزَلْ بِقِيدِ النَّوَى حَتَّى تَقُولَ الفَوَائِلُ

البيت الأول من قول الشاعر :

عليك سلام لا زيادة بيننا ولا وصل إلا أن يشاء ابن مسعر
والثاني من قول المعري :

مالي غدوت كقاصد رؤى قُبِيَّتْ في الدهر لم يُقدِّرْ له إحراؤها
وقد نبه شارح الجزء الأول من ديوانه على المأخذ الثاني ولكن هذا النيبه
لا يشفع له ، ورؤى هذا هو رؤىة بن العجاج التميمي من أكبر الرجازين وأقدرهم ،
وقاه قاف أرجوزته التي يقول في مطلعها :
وقاتم الاعماق خاوي المحترق مضيق الاعلام لماع الظفق
وقال من قصيدة أخرى يمدح بها الاستاذ :

طلعت لها باليمن من خير مطلع فكنت لها في المور قدح بن مقبل
الصمير في (لها) مائد على الأمة ، وكان الوجه أن يقول (طلعت عليها) ومن
الشواهد على ذلك قولهم (طلع البدر عليها) و (طلعت عليها بالردى أنا والفجر)
طلعوا على مروان يوم لقائهم من كل أزوع بالقنا دغاس
وفي قدح بن مقبل يقول الصفي الحلبي :

وما زلت فيهم مثل قدح بن مقبل يسبعين أمسى فائزاً غير حائر
وقال حافظ :

رأيتك والأبصار حولك خُشِعْ فقلت أبو حفص سبرديك أم على
وقال البحتري :

بأزوع من طي كأن قبيصة يزرك على الشيخين زبد وحام
وقال غيره :

وقد يستعاب المرء عن عظم شأنه ومن تحت بردين المغيرة أو عمرو
وقال فيه من قصيدة أخرى :

كأن فؤادي إبرة قد تمطست بحبك ، أني حوت عنك تعطف
تخطي قوله (تمطست) إذ لا رأي لنا فيها بعد أن تواضع كتائبنا على
هذا النحو من الرطانة ، وحسبنا أن نذكر لك شيئاً مما قيل في هذا المعنى . قال
الصفي الحلبي :

أَنَا هَذِهِ الْقُلُوبُ حَدِيدٌ وَلَدِيدُ الْإِلْفَاطِ مَقْنَطِيرٌ
وَقَالَ آخِرُ :

وَقَفَ الْهَوَىٰ بِي حَيْثُ أَنْتَ فليس لي
وَقَالَ حَافِظُ :

لِكُلِّ يَوْمٍ فِي رِضَى اللَّهِ مَوْفِقٌ وَفِي سَاحَةِ الْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ مَوْفِقٌ
وَفِي الْمَوْفِقِ الْأَوَّلِ مَا يَفْنَى عَنْ هَذِهِ الزِّيَادَةِ ، وَقَالَ :

كَأَنَّ بِرَاعِي فِي مَدِيحِكَ سَاجِدٌ مَدَامَعُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَذَرِفُ
وَقَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي الْقَلَمِ :

وَذِي خُضُوعٍ رَاكِعٍ سَاجِدٍ وَدَمْعُهُ مِنْ جَفْنِهِ تَجَارِدُ
مُؤَاطِبِ الْخَمْسِ لِأَوْقَاتِهَا
وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

خَاشِعٌ فِي بَدَنِهِ يَلْتَمِسُ قِرْطَا
وَقَوْلُ عَمْرٍو بْنِ أَحْمَدَ الْأَصْمَهَانِيِّ :

أُخْرَسُ بِنُسْبِكَ إِطْرَافُهُ عَنْ كُلِّ مَا شِئْتُ مِنَ الْأَمْرِ
يُنْجِدُنِي عَلَى قِرْطَاسٍ دَمْعَةٌ يُجِدُنِي بِهَا السَّرَّ ، وَمَا يَدْرِي
كَمَا شَقِي أَخْفَى هَوَاهُ ، وَقَدْ نَمَتْ عَلَيْهِ عَبْرَةٌ تُجْرِي
وَقَالَ حَافِظُ فِي الْأَمْتَاذِ مِنْ قَصِيدَةٍ أُخْرَى :

قَالُوا صَدَقْتَ ، فَكَانَ الصَّدَقَ مَا قَالُوا مَا كُلُّ مُسْتَنْبِرٍ لِلْقَوْلِ قَوْلُ
وَقَالَ صَفِيُّ الدِّينِ :

وَمَا كُلُّ مَنْ هَزَّ الْحَسَامَ بِضَارِبٍ وَلَا كُلُّ مَنْ أَجْرَى الْيِرَاعَ بِكَائِبٍ
وَقَالَ فِيهِ :

لِي كُلِّ حَوْلِ لَبِيتِ الْجَاهِ مُنْتَجِعٌ كَمَا تُقَدُّ لَبِيتِ اللَّهِ أَرْحَالُ
الْمُنْتَجِعُ الْمَكَانَ يُقْصَدُ ، وَالشَّيْءُ يُطْلَبُ ، وَبَيْتُ الْجَاهِ فِي قَوْلِ حَافِظٍ هُوَ الْمَكَانُ
فَالْغُلُّ فِي الْبَيْتِ مَلْمُوسٌ ، وَجَمْعُ رَحْلٍ عَلَى أَرْحَالٍ خَطَأٌ ، وَالصَّوَابُ رِخَالٌ وَأَرْحُلٌ .

قال يصف مدحته :

تَفْتَحُ الحُدُ عنها ، حين أسمعها منك القبول ، وفيها نورُ القل
وقال المتنبي :

قَطَفَ الرجالُ القولَ وَفَتَّ سَبَائِرَ وَقَطَفْتَ أَنْتَ القولَ لَمَّا نَوَّرَا
قال حافظ في الشيخ من قصيدة أخرى :

ما أَجْزَلَ اللهُ دُخْرِي قبل رُؤْيَتِهِ ولا انتفعتُ بِإِعْطَائِهِ ونوحيد
وقال ابن هاني في المعز :

لولاكَ لم يكنَ التَّفَكُّرُ واعظاً والعقلُ رُشْداً ، والقياسُ دليلاً
ولم تكنَ سَبَبَ النِّجَافِ لاهلها لم يُعْنِ إِيْلافُ العبادِ فتيلها
قال شاعرنا في رثاء الشيخ :

لقد كُنْتُ أَحْشَى عَادِي الموتِ قبلَهُ فأصبحتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
وقال النابغة الذبياني :

فإنْ تَحْيَ لا مُدَالَ حَيَاتِي وإنْ تَمُتْ فَا فِي حَيَاتِي بَعْدَ مَوْتِكَ حَالُ
وقال البحري في غلامه نسيم :

أَعْظَمَ الرُّؤْيَا أَنْ تُقَدَّمَ قَبْلِي وَمِنْ الغَيْبِ أَنْ تُؤَخَّرَ بَعْدِي
ولصق الدين الحلبي في المعنى :

مَابَقَائِي مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ الْإِ كَبَقَاءِ الرِّيَاضِ بَعْدَ السَّحَابِ
قال حافظ يتغزل من قصيدة في الشاعر العظيم محمود سامي البارودي :

تَيَمَّمْتُمَا وَاللَّيْلُ فِي غَيْرِ زِيَّةٍ وحاسدها في الأفق يُغْرِي بِي الْعِدَى
لا نريد الاستقصاء في النقد وسرد المآخذ ، ولنا بمختاورين قول المتنبي :

أزورهم ، وسوادُ الليل يشفع لي وثنتي ، وآسيبُ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي
قال :

وقال كبيرُ القوم قد ساءَ فالتُّنا قانا نرى حتفاً بحتفٍ تَقَلَّدَا

فيس لنا الّا اتقلد سبيله وإلاّ أعلّ السيف منّا وأوردّا
يقال تتقلد السيف لا تتقلد به ، والمعنى أنه كان متقلداً سيفاً وأنه كان
كالسيف في مضائه وحدته ، وهو مأخوذ من قول الشاعر :
مَنْ تَهْزُرُ بَنَى فَطَنَ تَجِدُهُمْ سُبُوقاً ، فِي عَوَاتِقِهِمْ سُبُوفُ
وقوله أعلّ وأورد في البيت الثاني متافر ، والسبيل أن يقال أعلّ وأنهل .
قال الشاعر :

تَحْرُمُ وَتَغْشَاهَا الْعِصَى ، وَحَوْلَهَا أَقْطِيعُ أَسْهَامٍ تُعَلُّ وَتُنْهَلُ
وقال البحري :

بِأَدَارٍ لَا رَالَتْ رُبَالِكُ مَحْجُودَةٍ مِنْ كُلِّ غَاوِيَةٍ تُعَلُّ وَتُنْهَلُ
قال ، يعني (فتاة الخدر) :

وترجو رجاء اللص ، لو أسبل الدُّجَى على البدر ستراً حالك اللون أسوداً
ولو أنهم قدّوا غدائر شعرها فأكوا له منها تقاباً إذا بدا
قوله (وترجو رجاء اللص) من التعابير النابية في مثل هذا المقام ، وقوله
(غدائر شعرها) من التراكيب العاسدة ، وهل كانت الغدائر شيئاً آخر غير
الشعر ؟ والمعنى في البيتين مطروق . ومه قول ابن هاني في البيت الثاني :
يَمُرُّ عَلَى الْحَسَنَاءِ أَنْ أَطَأَ الْقَنَا وَأَعْرَفَ فِي ذَيْلِ الْخَيْسِ الْعَرَمِ
تَوَدُّ لَوْ أَنَّ الْأَيْلَ لَفَّ بِشَعْرَهَا لِيَسْتَرْ أَوْضَاحَ الْجَوَادِ الْمَوْمِ
قال :

إذا ذكروا منه التسيب رأيتنا وداعى الهوى منّا أقام وأقعدا
، وإن ذكروا منه الحاس حسبتنا ترى الصّارم الخضوب خدّاً موروذا
يصف حافظ شعر البارودي في هذين البيتين ، وفي البيت الاول من سوء
التركيب ما لا يخفى على الناقد البصير ، فأنت ترى إن كلمة (منّا) وما وراءها صورة
ناطقة من تصور العجز عن أداء المعنى واصابة الغرض على وجه مقبول ، ونسق سائغ ،
وقوله (أقام وأقعد) من الكلمات التي أفرط الشعراء في استعمالها ونجافوا بها عن
مواطن الرفق ، ومواقع الاناة ، وإنى لمقتصدك في إيراد الشواهد . قال بعضهم :

(وأقام قلبي في الفرام وأقمدا).

وقال الشريف الرضي في البرق :

كلما أنجده عُلُوِّي السَّنا قام بالقلب اشتياقي وقعدة
وقال :

وانَّ قوامَ الدين قد عبَّ بحرُهُ وعيداً أقام الخالعين ، وأقمدا
وقال المتنبي :

أبدى العداة بك الشرور كأنهم قرحوا ، وعندهم المقيم المقمدا
أما قوله (الحاس) في البيت الثاني خطأ لغوي ، والصواب الحاسة ، ومعنى البيتين
يتمثل في قول السري الموصلی :

حدَّ يطيرُ شرارُهُ ومُكاهةً تستعطفُ الأحبابَ للأحبابِ
وفي عجز البيت معنى مُقْنَع من قول عنتره :

قوددتُ تقبيلَ السُّيوفِ لآلتها لمعت كبادقِ غرلِ المتبسمِ
يقول حافظ إن الحاسة في شعر البارودي تدفع بالمرء إلى غمرات القتال فإذا به من
شدة الشوق إليها ، وفرط الشغف بها ، يري السيف المخصب بالدم في صورة الخد
المورّد اشراقاً وحساً - يقول حافظ هذا : فاذا ترى أنت ؟ ألا ترى الرجل
مُقْبلاً على السيف يُقبِّله ؟ هذا ما أراده الشاعر ، وهو معنى قول عنتره :

كم وقفَ لك ، والأبطال طائرةً والحربُ تضربُ صديداً بصديداً
تقول لنفس ، إن جاشت إليك بها : هذا بجائك موددي فيه أو يديدي
في البيت الأول صورة من قول مسلم بن الوليد :

يَلتقي الميَّنة في أمثال عُدَّتْها كالسَّيلِ يَندفُ حُلُوداً بمحمودِ
أما البيت الثاني فيقع فيه كثير من الصُّوَر ، وإبّ لذا كرون لك شيئاً
منها ، قال الشاعر يعني نفسه :

وقولي كـ _____ جشأت وجاشت مكانك محمدى أو تستريحى
وقال غيره : (لنا الصدرُ دونَ العالمين أو القبرُ)

ومما قيل في المعنى لشاعر قديم :

أقول له ، وقد حيا نكاس
أمينٌ حذركَ تُعَصِّرُ قال : كلا !
لها من مسك ريقه ختام
تمنى عُصِرَتْ مِنَ الْوَرْدِ الْمَدَامُ !

قال من قصيدته (غادة اليبان) :

هكذا الميكادُ قد عَلَّمَنَا
ملكٌ يكفبك منه أنه
أن نرى الاوطانَ أمّا وأبا
أهضن الشرقَ ، فهِزْ المغربا

وقال ابن هاني في المعتمد على الله :

ملكٌ يكفبك منه أنه وجد الدنيا ، فأعطى ما وجد

كلمة الختام

للتقد الفنى الصحيح سَنَ صَمَاءَ ، وأحكام مُسْتَبِدَّةَ ، أولُ واقِعٍ تحت
سلطانها القاهر شخصُ الناقِدِ وأدبُه ، وفكرُه وأرادتُه ، فهو أسير هذا السلطان
الذى يتحكّم بكلِّ قُوَّته في كلِّ نفس قوِيَّةِ الشعور بواجب الامانة ، شديدة
الايمان بحق النقد النزيه ، وقداصة العدل الادبى ، وليس لك في هذه القضية من
مرشد أمين كفلسك ، فانت حين تقرأ لاحد السُقَّاد شيئا لا تملك الا ان تضع
الناقد منذ الكلمة الاولى في المحلّ الاول من مكان النظر ، وموضع التأمل ، فهو
يتلقى الحكم في مساقط السطرات ، ومواقع الفكر والخواطر التى تستولى من
جبهتك على ما أثبت في كتابه من وجوه النقد وأساليبه ، وصوره وأوضاعه ، وليس
للمنقود من هذا الحكم الا أثرُه يخلص اليه من وراء الناقد كما يخلص اثر الكتابة
من الصحيفة العليا إلى التى تحتها بفعل (الورقة السارقة) . ومحمل القول في النقد
انه مُدَّةٌ من العلم والدوق ، في نصاب من العدل والامانة .

أعلم هذا حق العلم ، وأرجب أن يكون غيرى من أدبائنا وكتّابنا على علم صادق
به ، وما أريد أن أعيب أحداً ، ولكنى أؤثر أن يكون لنا نقاد مُدْرِيون
أصحاء العقول والأفلام ، وأهيب بالذين لا يملكون هذه الأداة أن يراعوا حرمة
الأدب ، وأن يكون لهم من نفوسهم زاجرٌ عن الاغارة على حرمة المقدس طابثين
مُعَرِّدين ، ولقد جهدت طولَ حياتي ألا أجعل لهذه المذبة الجارحة سبيلا إلى

يدى ، فلعلنى لا أراها وقد وضعت فيها مرة أخرى ، وعسى ألا أكون قد جرحت
نفسى بما كتبتة عن الصديق حافظ ، وما أدعى أنى وفيت النقد حقته ، فقد تجاوزت
عن كثير مما يقع فى هذا الباب ويدخل تحت حكمه .

وبعد ، فليس بمنصف من يظن أن هذه الأخطاء وما إليها فى شعر حافظ مما
يجرح أدبه ، ويضع من مقامه وقدره ، فقد وقع لكثيرين من حوّل الشعراء ،
ومهم : أبو تمام ، والبحتري ، ومسلم بن الوليد ، والمتنبي ، وابن هاني ،
وإن الرومى ، مثل ما وقع له من هذه الهنات ، فاعف عن أقدارهم ، ولا رجزهم
عن مراتبهم .

والشاعر إذا كثرت محفوظاته ، ازدحت للصّور التّفظية والمعنوية فى دمه
فاحتلط بعضها ببعض اختلاطاً يجعل الاحتراس من أشقّ الأمور وأصعبها ، فقد
يقع المعنى ، أو الشطر من البيت ، أو البيت كلّ ، من هذه المحفوظات فى شعره ،
وهو يظنّ من وحى شاعريته ، وفيض قريحته ، وقد يتبين ذلك ويعرفه بعد حين ،
وهذا ما نقوله عن ذلك القسم فى شعر حافظ ، فإما الأخطاء اللغوية فنشأ الكثير
مها شيوع هذا النوع من الخطأ فى الصحف والمجلات ، وفى الكتب التى لاسلطان
لأدب اللغة عليها .

وقد كان من شاعرنا الكبير أن نظم قصيدة رنانة فى (ذكرى شكبير) قال
فى مطلعها :

يُحْيِيكَ من أرض الكنانة شاعرٌ شغوفٌ بذكرى العبقريين مُعْرَمٌ

وحدث أن لقينته بعد نشرها فقال لى : أقرأت قصيدتى فى شكبير ؟ قلت :
نعم ، وابتسمت . فضحك رحمه الله وقال : وماذا نصنع يا أخى وقد ابتلانا الله بلغة
الصحف ؟ لقد أغرم كتابها بكلمة (شغوف) فهى لاتتأرق أفلامهم ، ولا تنجلي
من شفافها ، والصواب (مشغوف) كما نعلم ، لقد جعلت مكانها كلمة (ولوع)
وانتهى الأمر .

رحمك الله يا حافظ وأحسن اليك

أحمد محمد

مرثية مطران لحافظ

عظم الله فيك أجر الضاد وبنيها من حاضره أو باد
 راع آفاقها رعيك حتى لكان النقي بوق التنادي
 كل فطر فيه فتى عربى فيه عين شكرى وقلب صابر
 حدثت الهب الصدور التياما حيث دوى وقت في الاعضاد
 من معلم الاهرام جلال فيمو ن وألتي السواد فوق السواد
 وعلى بهجة المراجع في لجة ان أرمي معابة من جداد
 ليس بدعا أن يرمى الشام والاحز ان فيه نقض كل وساد
 ما تراه يقضى الصديق الذي بدأ بالفضل من حقوق الوداد

كيف حال الاخوان في مصر يا حيا فظ من وحشة لهذا البيمار ؟
 أين زين الندى منهم — وهم في الظفر ما هم — وأين أنس النادى ؟
 كل حقل شهدته كنت فيه قبلة السامعين والأشهاد
 يأخذون الحديث عنك كما يشف من يرتوى من الوداد
 فاذا ما تنادوا وتنادر ت فاعجب بورى تلك الرناد
 فطين تشرح الصدور وما تؤ ذى دعائها سوى الانكاد
 ربما كانت العظات الغوالي في شظايا ابتسامها الوداد

كيف حال وأنت ادرى بما خلقت لي من فجعة وسهاد ؟
 أسعدى ياهوائف الايك نوحى أنا في حاجة الى الإسماد
 أبتنى البث والشجا غص من صو في وحر الامى أجف مدادى

ومح أم اللغات عما دهاها في طريف التفخار بعد التلاو
 ذافت الشكل في بنوتها الامجاد بعد الابوة الامجاد

في رفاق ردوا على كل أصل من علانها نضارة الاعواد
نظم الله عهدهم وسقاهم ماسى الاولين صوب المهاد

• • •

لحبة فلما أتبع لمصر مثل مجموعهم من الافراد
أيقظوها من الرقاد وقد جا ز مداه أقصى مدى الرقاد
وأعادوا جاهلا في زهاء يترامى قديمه في المعاد
أين سام وأين صبرى وحفى ورفاق جاروهم في المهادى ؟
لحق اليوم حافظ بالجليين وما كان آخرأ في الطراد
معارف لم يُبادر أحد في الأخذ بالمنحجب والمستجاد
يُحكّم الصوغ في القلاد فابأ في صناع بمنلها في القلاد
ناثر تنفت اليراعة منه نشوة الحر في مجاجر شهاد
لم يكذ في مصايد اللؤلؤ الفا خرر يُبقى فريدة لاصطباد
في تراكيه وفي مفردات الله طر حارت نقاسة الحساد
كان في سمنه رقيب عليه يقطر من جهائد الشقاد
يقع الزين منه في موقع الزى نرواينبو فالثين نبوة سداد
فالمعانى تنبه بين المعانى بسى الحلى والابرار
والمبانى تعز بين المبانى يمتين الاسباب والاوناد

• • •

عد عن وصفك الأديب وقل ما شئت في الفاضل الوفى الجواد
من يعزى عنه المروءة أمت وبنوها الابرار غير عداد ؟
شبهة لا يطبق كلفتها غيسر أولى العزم والحق الجعاد
من يعزى عنه الوفاء وقد كا ن يرى تقضه من الإلحاد ؟
خلق ليس في الضعاف وما يحمل ل أعياه سوى الأجلاد

أو باد
لشادى
بصاد
الاعضاد
السواد
جواد
وساد
الوداد
سعاد ؟
البادى ؟
الاشهاد
الوراد
الزناد
الانكاد
الوقاد

وسهاد ؟
الإسعاد
مدادى
التلاد
الاجداد

لم يساورم به فينعم بالأ
من يمزى عنه الصراحة ؟
لم يستع في الضمير خلاف
ما فتوح الآراء والجن يطوب
من يمزى القصائد — علماء توخوا
ذي الأبادى من كل لون ، واغلا
لا ، ولم رجع فيه جانب آد
ن العزم فيها والفنم في الامداد
أن يرى الاعتدال في المناو
ها كطى الصالح في الاضداد
أو نوالا — عن مضعف القصائد
هن في المائزات بيض الأبادى ؟

من يمزى كنانة الله عن را
من عداها بسهم المصاد ؟
عن فتاها الشاكي السلاحين والماضيها في شواكل الاضداد ؟

انما حافظ فتاها ومنها
نشأته وأبدته روح
مد أن كان حاكياً وهو يشدو
وبها نغمة على الأنداد
عقري من روعها مستعد
جعلته الحركى بين الشوايد

نظم الشعر في الصبي نظم واع
لحين ناشى على استعداد
بأدى صوغه وفيه فنون
بارمات لا يتسقين لبأدى
ما تعاضى عليه عن عفوة طبع
رد طوعاً له بفضل أجهاد

غير أن القريض لم يك في مضطرب العيش مثنياً من زاد
أوجب الرزق فأتى حافظ يكندح في يثيق من الأجناد
موحشا في مجاهل الثوب والسودان بين الأفوار والانهاد
تتقضى أيامه في ارتياض وعلى أهبة لغير جلا
ولياليه في الخيام ليالى وسين رازح من الإجهاد

في الصميم الصميم من نفسه الحر " فم " مراوح " ومغاري
أي جيش يدربون لمصر وولاء التدريب فيه الاعادي ١٢
ولمن تملأ الفضاء وعيداً " عدد من حديد الرعاد ١٢
ذاك ما ظل فيه حيناً وحسب النفس شغلاً به عن الإغراد
غير بثث يثثه إن أتاه طائف من خيال المعتاد

للقادير في شئون الجماعات تصاريف راحات غواد
فتت الحيش والبواعث كثر فتنة لم تكن بدات امتداد
فاستطار الشواس واضطربت أحلام رزق العيون في القواد
راهم حافظ فعوقب في جلسة من عاقبه بالإبعاد
أخذوه بالظن من غير تحقيق وما آخذوا على افناد
فتولّى ، وما لمؤنفر العيش بعينه من ضياء هادي
والجديدان يضربان عليه كل رجب في مصر بالأمس
موقراً صدره لما يسيم في غير جناح من جقوة واضطهاد
عامل الثوب من كواكب الزهر ومن سيف الطويل النجاد
فهو في مصر والبهاد من الرقة في الحال غير ذلك البجاد
لغى البؤس ، والاديب من البؤس قديماً فيها على ميعاد
حائراً في مذاهب الكسب لا يفرق بين الإصدار والإيراد
عائفاً خطاً الجداة وفيه طبع حرر يهود لا طبع جادي
ولقد زاده شجى أن سوق العلم كانت في مصر سوق كساد
وسجايا الرجال رانت عليها لؤنة من قديم الاستعباد
فهم وادعوت لاهوت بالزينات والتشوهات والأعياد
عبر مر في جوانحه ما لاح منها مرّ النصال الحيداد

نائب آد
الامام
المناد
الانهاد
القصد
الايادي

لمصرا
الضداد

الانهاد
مستعد
الشوادي

مستعد
لبادي
اجتهاد

من زاد
الاجاد
والانجاد
جلاد
الاجهاد

فَتَقَنَى - اسْتَغْفِرُ الله - بَلْ نَاحَ نَوَاحًا يَذِيبُ قَلْبَ الْمَاجِدِ
بِاسْكِيَا شَجْوَهُ تَرْنُ قَوَافِسِهِ رَنِينَ النِّبَالِ فِي الْاَكْبَادِ
ذَاكَ وَالْقَوْلُ لَيْسَ يَمْدُو شَكَاةً لَوْ جَرَتْ أَدْمَعَا جَرَتْ بِجَسَادِ
وَعَتَابًا لَوْلَا الْبِرَاءَةُ مِنْهُ عَاجِلًا كَانَتْ سُبَّةَ الْآبَادِ

بَرِئْتُ مَصْرُ مِنْهُ بِالْحَقِّ لَمَّا نَشِطَتْ مِنْ حُدُودِهَا الْمَتَادِ
طَرَأَتْ حَالَةً تَبْقِظُ فِيهَا لِدَاعَاؤِ الْمُدَى ضَمِيرُ السَّوَادِ
فَإِذَا حَافِظُهُ وَقَدْ بَقِيَ مَا فِي نَفْسِهِ مِنْ جَهَامَةٍ وَارْتِدَادِ
وَبَدَا لِمَنْ الْجِلَالُ فِيهَا أَفْقُهُ وَاسِعُ الْمُدَى لَارْتِبَادِ
مَا نَجَلْنِي نَبُوغُهُ كَتَجَلَّبِيهِ وَقَدْ هَبَّ (مَصْطَفَى) لِلْجِهَادِ
يَوْمَ نَادَى الْفَتَى الْعَظِيمُ فَلَبَّى مِنْ نَبَا قَبْلِهِ بِصَوْتِ الْمَتَادِ
وَوَرَى ذَلِكَ الشُّعُورُ الَّذِي كَانَتْ كَيْفًا كَالنَّارِ تَحْتَ الرَّمَادِ
فَتَأْتِي بَعْدَ الْقَنُوطِ الدَّجُوحِي رَجُلًا لِلشَّاعِرِ الْمَجْرَادِ
مَسْ مِنْهُ السَّوَادُ فَانْبَجَسَتْ نَارُ وَنُورُ مِنْ طَى ذَاكَ السَّوَادِ

أَكْبَرَ الدَّهْرُ وَثْبَةً وَلَبَّثَهَا مَصْرُ مُفْتَسِكَةً مِنَ الْاَسْفَادِ
وَتَمَاءَ غَدَا هَزِيمًا قَالَتِي رُغْبَةً فِي مَرَابِضِ الْاَسَادِ
مَا الَّذِي أَخْرَجَ الشُّجَاعَةَ مِنْ حَيْثُ طَوَّيْتُهَا قُرُونُ الْاَسْتِبْدَادِ
وَجَلَا غُرَّةَ الصَّلَاحِ فَلَاحَتْ تَزْدَهَى مِنْ فَيَاهِبِ الْاَفْسَادِ
فَإِذَا أُمَّةٌ أَيْتُهُ ضَمِيمٌ مَا لَهَا غَيْرُ حَقِّهَا مِنْ عِتَادِ
نَهَضَتْ فَجَاءَةً مُتَنَافِحٌ فِي آ نِ عَدُوِّينَ أَسْرَفَا فِي الدَّدَادِ
أَجْنِبِيًّا أَلْقَى الْمَرَامِي حَتَّى تَقْلَعَ الرَّاسِيَاتِ فِي الْاَطْوَادِ
وَهَوَانًا كَأَنَّمَا طَبَعَ الشَّعْبَ عَلَيْهِ تَقَادُمُ الْاِخْلَادِ
حَلْبَةً يُعَذِّرُ الْمُقَصِّرُ فِيهَا وَاطْغَوَاتِيْمُ رَهْنِ تِلْكَ الْمَبَادِي
لَيْسَ تَغْيِيرُ مَا يَقُومُ بِسِرِّ كَيْفَ مَا عَوَّدُوهُ مِنْ اِمَادِ

غير ان الإيمان كان حليفاً لقلوب الطبيعة الانجاد
فاستعانوا به على ما ابتغوه ، غير باقين ، من بعيد المراد

لم يطل عهد مصر بالوثبة الاولى ودون الوصول حرط القتاد
فترأى فيها وثيق الاواخي ووهى الجزل من عرى الانجاد
آية اخفت فقيض اخرى اثر من عناية الله باد

فزعت دنشواي محمى حماماً من ملئين كالذئاب الاوادي
فتصدى للذود عنه جفاة من شيوخ بها ومن اولاد
حادث روع العميد - انجشاه وسلطانه وطيد العباد
لا ، ولكن عزة اخذته عن غرور بيأسه واحتداد
سقه جراً العبيد الساكيد على معتقهم الاجواد
مخلق بهم أشد قصاص حل بالآبقين والمراد
ساقها مثلة توهمها خيراً وكانت عليه شر نادر
ذاع في الشعب وصفها ففت آلامها في القلوب والاجساد
وكان المباط بحزرت في أجسادهم والحبال في الاجباد

أى عالي الجبين فى الروع قاضى ظالمهم بجأري الهداد
كان ترجيع حافظ نوح مو توره فدوى كالبيت بالايعاد
فى قوافر بهن تنطق لو أو تبت الطق الحن الاحقاد
علمت خافض الجناح لباعر كيف شأن الحمام والصياد

وعد الصابرون بالنفوز وعداً حققته انباؤم باطراد

انما الصبر في النفوس جين^١ يرهق^٢ الحاملات قبل الولاد^٣
 كيف يأتي به ارنجال^٤ ولم يا^٥ من ارنجال^٦ يوماً بقول^٧ مجاهد^٨
 خلق عز في الجماعات من^٩ فر^{١٠} طر^{١١} نكاليف^{١٢} وفي الآحاد^{١٣}
 طالما خان في النضال الجاه^{١٤} ير^{١٥} فالتقت^{١٦} لغاصب^{١٧} بالقياد^{١٨}

بعد وثب في إثر وثب^١ عنيف^٢ وارتداد في الشوط غب^٣ ارتداد^٤
 ساور^٥ الأمة التردد^٦ والتا^٧ ث^٨ عليها في السير وجه^٩ الرشاد^{١٠}
 وتبدى^{١١} الاحجام في صورة زلا^{١٢} ه^{١٣} جرت^{١٤} إقدام^{١٥} أهل^{١٦} الفساد^{١٧}
 بالدعيات^{١٨} والسمايات^{١٩} حاموا^{٢٠} حولها^{٢١} للسموم^{٢٢} أو للرواد^{٢٣}
 لا تسل^{٢٤} يومذاك عن جاذ^{٢٥} القا^{٢٦} دق^{٢٧} في ملتقى^{٢٨} الخطوب^{٢٩} الشداد^{٣٠}
 كلما ازدادت^{٣١} الصعاب^{٣٢} أبوا^{٣٣} إلا^{٣٤} كفاحاً^{٣٥} وعزمهم^{٣٦} في ازدياد^{٣٧}
 يبذلون^{٣٨} القوي^{٣٩} وفوق^{٤٠} القوي^{٤١} غير^{٤٢} مبالين^{٤٣} انها^{٤٤} لنفاد^{٤٥}
 والزعيم^{٤٦} الأبر^{٤٧} أطيبهم^{٤٨} نفساً^{٤٩} من^{٥٠} النفس^{٥١} في صراع^{٥٢} العوادي^{٥٣}
 يثن^{٥٤} الشعب^{٥٥} هل^{٥٦} ينجيه^{٥٧} إلا^{٥٨} حدث^{٥٩} من^{٦٠} خوارق^{٦١} المعتاد^{٦٢}
 مصطفى^{٦٣} مصطفى^{٦٤} بحسبك^{٦٥} إن^{٦٦} يذ^{٦٧} كثر^{٦٨} فداء^{٦٩} أن^{٧٠} كنت^{٧١} أول^{٧٢} فاد^{٧٣}
 مصطفى^{٧٤} مصطفى^{٧٥} ليهنك^{٧٦} أن^{٧٧} أحييت^{٧٨} قوماً^{٧٩} بذلك^{٨٠} الاستشهاد^{٨١}
 دب^{٨٢} فيهم^{٨٣} روح^{٨٤} جديد^{٨٥} له^{٨٦} ما^{٨٧} بعمه^{٨٨} في^{٨٩} القلوب^{٩٠} والاخلاد^{٩١}
 تنقضي^{٩٢} الحادثات^{٩٣} بعدك^{٩٤} والره^{٩٥} وح^{٩٦} مقيم^{٩٧} فيهم^{٩٨} على^{٩٩} الآبار^{١٠٠}
 كاد^{١٠١} يوم^{١٠٢} شبت^{١٠٣} فيه^{١٠٤} يريهم^{١٠٥} لمة^{١٠٦} من^{١٠٧} جلال^{١٠٨} يوم^{١٠٩} المعاد^{١١٠}
 صدروا^{١١١} عنه^{١١٢} بالتعارف^{١١٣} فيما^{١١٤} بينهم^{١١٥} وهو^{١١٦} قوة^{١١٧} الاعداد^{١١٨}
 واستشفوا^{١١٩} لبأسهم^{١٢٠} فيه^{١٢١} مرآ^{١٢٢} حكم^{١٢٣} نحاس^{١٢٤} أن^{١٢٥} يدركوه^{١٢٦} المعادي^{١٢٧}

...

هذه مصر^١ الفتية^٢ هبت^٣ في صفوف^٤ فتية^٥ للتيار^٦
 رجل^٧ مات^٨ خلفاً^٩ منه^{١٠} جيلاً^{١١} رابطة^{١٢} الجاش^{١٣} غير^{١٤} سهل^{١٥} المقاد^{١٦}

إن دعاهُ الحفاظ أقبل غلما نٌ سراعٌ من القرى والبهادى
أحدنوا فى البلاد عهدَ الحجاج فى تقاضى حقوقها وعناد

* * *

عهدٌ بثَّ من أنفسٍ تلتظى بعدَ طول الخمود والاحقاد
تخذت عبقرية الشعر فيه ملأً للعروج والإصعاد
أبلفت حافظاً من الخطأ أوجاً زاد منه العلياء كل مراد
من رأى الشاعر المفعوة يوماً وحواليه أمة فى احتشاد
موفياً من منصة القول يرون باتشادٍ ولحظه فى انتقاد
واسع المنكبين منفرج الحقة وبين يخطو خطاهُ كالتهادى
باسماً أو مقطباً عن صبيح بارز العارضين فوق الهادى
عزٌّ منه العذار إلا تفارق خففاً فى الوجنتين بداد
ينشد الحفل قاتلاً كلُّ لبَّ ببديع الإيماء والانشار
وبشعر لا يطرف الجفن فيه صادرٍ عن حبيبة واعتقاد
من رأى حافظاً نذيراً بشيراً جائلاً صائلاً بغير انتقاد
غرداً كالهازدِ آناً وآناً حرداً كالخفصم ذى الازباد
ينبر النبرة العزوف فما تـ مع إلا أصدأوها فى الوادى
وكان الأثير يحمل منها صكبرية تهز كل فؤاد
فهى عزٌّ للأزجيى المفادى وهى ذلٌّ للغائس المتفادى
وهى خفقُ اللواء بمجدوه من إقـ باطله إلى المجد حاد
ذاك أن الروح المرذدة فيها روح شعب والصوت صوت بلاد

* * *

أيها الراحل الذى ملأ العمى بآفاره الرغاب والخياد
عجزتني قبل التمام القوافى والقوافى تضن بالامداد

فَدَكَ مِنْهَا بَيَانُ مَغْفِرَةِ وَاِهْ
بِتُ قَرِيبَا هَإِنِ ذِكْرَاكِ فِينَا
ذُو قُصُورَا بِهَا عَنِ التَّعْدَايِ
أَجْدَرُ الذِّكْرَاتِ بِالْإِخْلَافِ
فَلَيْلِ مَطَرِهِ



حاف _____ ظ

فی وائی مطران

— 1 —

بين الشعراء والنقاد اليوم معركة حادة عتيقة غير حارمة ، تجاوزت الانقسام والفن وعدت على الخلق ، وخرجت من هذه الدائرة السامية دائرة التهذيب والانتقاد إلى نوع من المهاترة يضر الشعر والفن ويفسد الصلة بين الأدباء جميعاً : فكل فريق مسمى الظن بصاحبه يتهمه بالمحيز والتقصير . هؤلاء النقاد لا يكادون يعرفون للشعراء كفاية أو جهداً ، ويقولون ليس عندنا شعراء يستطيعون الاضطلاع عما تمثله النهضة الأدبية المعاصرة ويسدون فراغ هؤلاء الذين أدركهم الموت وكانوا أبراراً سابقين .

وأما الشعراء فلا يبالون بهذا كله ، فهؤلاء السقاة جاحدون وهم أعجز عن تقدير الشعر ، وتذوق جماله . واستبطن دخاله وأسراره ، وقد خرجوا من ذلك بقاعدة عدوها أو حبيبها جديدة : هي ألا ينقد الشاعر إلا شاعر .

على أنك إذا نظرت إلى رأى الشعراء بعضهم في بعض رأيت شراً مستطيراً ، واختلافاً كبيراً ، وسوء ظن يربى على ما بين الشعراء والنقاد . فالمسألة في الحقيقة ليست مسألة شعراء ونقاد وإنما هي مسألة طبيعية ، ونتيجة لازمة لاختلاف الأدواق والشخصيات ، واختلاف طرائق النظر والتفكير ، ثم هي بعد ذلك مسألة هذه الصلات الاجتماعية والخاصة التي تصل بين الناس جميعاً ، وتعرض روابطهم إلى الاستقامة أو الاضطراب . فإذا نحن حددنا هذه الشخصيات ونزعنا إلى الاستقلال فقد يكون حددنا أكثر إذا وُجِّه هذا الخلاف إلى الشعر وخدمته دون هذا التنازع والمهاترة .

وما نقد الشاعر صاحبه وعرفانه ذلك فهي مسألة قديمة عرفها السابقون وحاولوا
صرف السحابة والغويين والعلماء الخلف عن نقد الشعر ، وقالوا لا يعرف الشعر الا
من دفع به الى مضايقه ، فالتاقد في الاصل نصف شاعر بل ويجب أن يكون نصفه
شاعراً ونصفه الآخر عالماً . فالشاعر وحده يحتمل إلى دوفه ومذهبه الفني وفي هذا جور
واعتساف . والعالم وحده يحتمل إلى الافكار والمذاهب العلمية فيفسد النفس وجماله .
وليسكن الناقد يجمع بين الذوق الفني الجميل والمقياس العمى المتديد ، وبلا ثم
بين هذين المعصرين ويكون مهتماً أحكامه التفسيرية او الابتكارية الخالقة .
وكل ما يعينى اليوم من هذا الصراع أنه دليل الحياة والشعور بالحاجة الى نهضة
لم تصل الشعر الى أقصى درجاته فهي محاولة تضع الاسس وترسم السبيل الى
مستقبل وطيد زاهر .

— ٢ —

ومع ذلك فأحب أن أقرب من جماعة الشعراء ، ولكنك قرب لا يفيد شيئاً ،
أحب أن أعرض عليهم صورة من نقد شاعر لشاعر ، بل من نقد شاعر زعيم ، نقد
مطران لحافظ ، ولا يظن هؤلاء الشعراء أن هذا فناء في مذهبهم واعتراف بتفاضله .
كلا ، فليس مطران عدو شاعر من هذا النوع الذى يشيع بين شعراء العربية
قديماً وحديثاً . وإنما هو طراز جديد في الشعر العربى ، هو شاعر العقل والشعور
جيداً ، ولما نجد هذا النوع بين السابقين وإن حاول بعض المعاصرين أن يكونه .
مطران فما أرى عالم وأديب معاً ، وهو إذن ناقد ، وإذا كان لا بد من الافصاح
فيجب أن نلاحظ أن هذا الثالث المقدس — الذى جمع بين حافظ وشوقي ومطران
على زعامة الشعر الحديث — ليس متحدة المزاج والطبيعة وإن تجانس في الدرجة
والنسابة . فهم شعراء كبار يتفقون في ذلك ولكنهم يتمايزون بعد ذلك في كل
شيء أو في أغلب الأشياء ، فإذا كان لحافظ مرعة البديهة وحلاوة النفس ،
وصفاء العبارة وترديد آمال مصر وآلامها ، فإن لشوقي راعة الفناء وقوة
الاسلوب ، وحسن التصوير ، وإن لمطران صحة الفكرة . ووحدانية القصيدة ،
وصدق النظرة ، والثقافة الشاملة وسماحة الطبع وسمو الأخلاق ، ومعنى هذا للمرة
الثانية أن مطران ليس شاعراً فقط أو هو شاعر من هذا الطراز المنقذ ، هو عالم
وأديب : صياغة بديعة ، وشعور صادق ، وخيال ، خيال عام ، وأفكار سديدة .
فإذا التمس عند حافظ وشوقي الجمال الفني فالتمس عند مطران والنفس معه اللذة

التعداد
بالاخلاق
مطران

ت الانصاف
مذنب والابتكار
فكل فريق
مرفون للشعراء
مع بما تمتزجه
وكانوا أبراراً

أعجز عن تقدير
ذلك بقاعدة

مستطيراً ،
الحقيقة ليست
تلاف الأذواق
مسألة هذه
روابطهم الى
الاستقلال
ته دون هذا

المقلية ، وغذاء الفكر والعاطفة أو غذاء النفس جماء . مطران هو الخطوة الموقفة السابقة أمام شكرى وأبى شادى والمقاد والمآزنى وأضراهم من شعراء الثقافة الحديثة .

أليس مطران شاعراً فذاً في بابہ ؟ ألسنت أنا محققاً في اعتبار مرثيته دراسة نقدية زميله فوق أنها قطعة شعرية باكية ؟

الحق ان هذه المرثية مظهر صادق لرأى مطران في حافظ فهي تاريخه أو ترجمته ، ومظهر صادق لشعور مطران نحو حافظ فهي تمثل عاطفة الشاعر نحو الشاعر ، وهي عاطفة مزدوجة فيها حزن الصداقة الشخصية ، وحزن الربطة الأدبية ، . فكيف أرتخ مطران زميله ؟

— ٣ —

لدارسى الشعر مذاهب ثلاثة مشهورة . ومن العجيب أن مطران يلم بها جميعاً في قصيدته ويوفق في ذلك توفيقاً بارعاً ، نعم هو توفيق بارع يجمع بين هذا التقرير العلمى الصحيح ، وهذا التصوير الفنى المؤثر الجميل .

فهذا المذهب التاريخى الذى يمد الشعر مرآة الحياة الاجتماعية ، ولا بد لفهم الشعر من فهم هذه الحياة ، ومذهب السير ذلك الذى يعد الشعر مرآة حياة الشاعر ، ولا بد إذاً من درس سيرة الشاعر حتى يفهم شعره فهماً صحيحاً ، ثم هذا المذهب الفنى الخالص الذى يقف عند النصوص الشعرية ويتبين حواصها الفنية شارحاً معللاً . ولكل مذهب أنصاره ومحاسنه ، وهى كلها في رأى مطران — وأنا أوافقه على ذلك — لازمة لفهم الشعر ونقده نقداً منصفاً سديداً ، وقد فعل . نعم فعل وراى . كما قلت لك — حرارة العاطفة وبراعة التصوير .

ولست الآن أدرس مطران حتى أفهمه وشخصيته ، ولكنى أدرس حافظاً في رأى مطران ، فلا أمر في طريق وليعذرني القراء إذا عرضت لمطران فيما مضى أو فيما يلى فذلك لاني أحبيت أن أشركه مع النقاد أو أضمه حيث يجب أن يوضع في استواء تفكيره وإكتمال نواحيه ، وذلك لاني قد اتفق معه في الآراء عن حافظ وقد أخالفه . فهو إذاً صيرى وزميلي في هذه الدراسة ، بل هو أساسها كما علمت . وقد عرض لي أن أذهب هذا المذهب المدرسى فأرتب القصيدة ترتيباً علمياً ، أبداً بهذه القطع التي تدرس المعصر ، وأثنى بسيرة الشاعر ، ثم بقنه ...

ولكى اعتبرت ذلك هدواً على أسلوب مطران فاحتفظت به ووقفت عند استعراض أنواب المراثية وتمجيد ما يعنى من الملاحظات .

أما مطلع القصيدة فعاطفة عامة تنظم حزن الشرق العربى لوفاة حافظ وتمثل الرابطة القويّة ، وهو مطلع لا يواريه فى صدق العاطفة إلا مطلع رثاء مطران لشوقي على فرق بين عاطفة الأخوة هناك وعمومها هنا ، فتلك عاطفة حادة مأكبة ، وهذه عاطفة جليلة حريّة ، حافظ له هذه الميراث الأدبية فى بلاد الشرق العربى التى فقدته ماتمها جميعاً . ثم يرى شخصية حافظ المسكينة المحبوبة تأتلف حولها القلوب وتترى فى أفا كية حافظ مصرة النفس . ومرارة النقد ، وحال من الموعظة ، ولكن مطران أشد الناس حرّاً لفقد صديقه ، واللغة ذهبت بموته بعد أصحابه السابقين الذين يتنار منهم بحسن اختيار الألفاظ وصوغ العبارات وحسن التأليف ومراعاة مقتضى الحال .

حافظ وفى كرمه دو مروعة وصراحة ، مخلص لأمنه :

بعد أن كان حاكباً وهو يشدو جعلته المحكى بين الشوايد

لأ حافظ يمرن على قرض الشعر معتمداً على الطبع والمرأة جميعاً ، يوفق أحياناً ويخفق حيناً ، ولكن الشعر لا يقوت صاحبه فإذا انحرف بين الحدود فى السودان يصبق قيود العسكرية الصورية التى يدرب مصر فيها أطاها ، وينفس عن نفسه بالقرير ، ولكن فتنة ثور فى الجيش ويبعد حافظ على أثرها من السودان . ونضيق به سبل العيش ويشمله البؤس ويحترق بين فقر مدقع وعرة نفس عزيزة فيبكي ويكون شعره باكياً حزيناً يصور نفسه المتألمة :

باكياً شجوه ترن فواقبه رنين السال فى الأكباد

ثم تكون الحركة الوطنية زمامة مصطفى كامل . وإذا بنهضة تكافح عدوين : أحب محب ، وداحل هو ذلك الهوان الذى طال مداه على البلاد فصار كالطبع الذى يصعب انتزاعه ، والذى يستلزم من الزعماء صبراً ودهاء وبراعة وإيماناً وطبداً . وكانت حوادث دنشواى وعسف الانجليز وازدراؤهم بالمصريين ، فكان حافظ لسان مصر الغاضبة الحاققة ، وحافظ مونتور لنفسه وللمصر معه .

وكرثت فى تلك الايام السعايات وكثر المارقون ، ولكن الخالصاء بزعامه مصطفى

خطوة الموقف
شعراء الثقافة

داسة نقدية

بجته أو ترجمته ،
الشاعر ، وهى
... فكيف

يلم بها جميعاً
مع بين هذا

ولابد لفهم
الحياة الشاعر ،
هذا المذهب
شارحاً ممللاً .
أنا أوافق على
نعم فعل وراة

أدرس حافظاً
ن فيما مضى أو
أن يوضع فى
الآراء عن
أساسها كما
قصيدة تريبياً
، ثم بفنه ...

صبروا وصابروا وبثوا في الأمة روح التألف والتعارف ، وامتدت آثاره إلى اليوم ،
فكان حافظ شاعر مصر الناهضة .

— ٤ —

أرأيت أن مطران استطاع أن يورخ عصر حافظ وأن يلم بسيرة حافظ ، وأن
يدرس فن حافظ فيجمع بذلك بين هذه المذاهب الدراسية الثلاث ؟

نعم استطاع أن يبين أهم الحوادث السياسية والاجتماعية الاولى التي أثرت في شعر
حافظ وانشأته ولا سيما شعره في الشباب والرجولة ، ثم صور لنا حياة حافظ وبؤسه ،
ومزاحه وخلقه وطريقة تكويبه الشعرى . ثم هذه الاطوار الشعرية التي امتاز بها
شاعر مصر الكبير ناشئاً ، وشاكياً ، و مترجماً روح مصر ونهضتها الاولى ، وأخيراً
هذا الرثاء الحار الجميل .

وأنا لا أحب أن أزيد على ذلك شيئاً ، إلا أن هناك أموراً ثلاثة يجب الوقوف
عندها :

فأولها أن مطران لم يتناول جميع الحوادث التي تتصل بشعر حافظ ، ولم يذكر
كل الرجال الذين اتصلوا به وبشعره كالشيخ محمد عبده والشيخ أبي خنيفة وغيرهما .
ولا بأس في ذلك فإنا كان الشعر بحال الاستقصاء الشديد والإفاد وذهب جماله ،
وحسب الشاعر الإلمام والاعناء وكفى .

وثانيها أن مطران لم يستكمل حياة صاحبه واعتد بالثقافة ، وفي رأي أن ليس
هذا عدراً كافياً ولا سيما لدى مطران فيستطيع تغيير الثقافة ويستطيع تكرار
الثقافة . . ويستطيع غير هذا . . ولكن هل أستطيع أن أورد ذلك إلى أسباب أخرى
سوى ما ذكر ؟ أليكون السبب أن مطران لم يشأ التورط في هذه الفترة الأخيرة
التي تضطرب حولها السياسة الحاضرة والتي قد يكون أكثرها سراً مكتوماً ؟ مهما
يكن من الأمر فعذر مطران هنا ضعيف .

وثالثها أمر يتعلق بنفس مطران نفسه ، والحق أنه من عجيب : فيه كما قلت لك
شخصية علمية أدبية مزودة لم تتوافر لغير مطران بهذه السعة والقوة والجمال ،
وأرجو أن أفرغ لدرس مطران نفسه في فرصة أخرى .
رحم الله حافظاً ومد في عمر مطران ما

أحمد الشايب

حافظ ابراهيم

ناحية من أثره في الأدب

حقاً لقد جلّت مصيبة مصر في حافظ أديباً وكاتباً وشاعراً ، ومحاضراً ومفاهياً
ومنادراً . وحافظ في هذا كله حقيق من مؤرخي الأدب العربي بأن يعقدوا له
الأبواب ، ويسبقوا الفصول . ولست أسوق هذه الكلمة القصيرة لأدل على موضعه
في الأدب العربي ، وأثره بمنظومه ومنوره فيه . فذلك شيء قد فرغ منه ،
أو هو شيء لمّا يثن بعد الحديث فيه ، على ما يظهر . أما أنه قد فرغ منه فذلك
بأن أديباً أو متأديباً في العالم العربي لا يجمل حظ حافظ من هذا أو يقدره حق قدره .
وأما أنه لم يثن بعد ، فلقد تظاهر صدر من صفوة العلماء والشعراء والكتاب نثي أن
يدونوا في حافظ ضحاح الكتب يحصون فيها شعره . ويستقرؤون نثره ، ويطلبون
المأثور من كله ، وكل طريف من بدائنه في مناقلاته ومصادراته ، وكلها حلو طريف ،
وبعد أن شمر القوم في هذا واجتمعوا له وجعل يستحث بعضهم بعضاً فيه ، طاف
بهم أوبنا على الصحيح (فما أبرؤ نفسي) طائف من السكون والفتور ، والجود والركود ،
فما عدت تسمع من أحدهم فيه حساً .

وأكبر الظن أن السبب في هذا يرجع الى السياسة ، فأخواننا من السياسة في
شغل لقد صرفهم عن كثير . حتى عن الوفاء بما اجتمعوا له واستحمسوا من خدمة
الأدب العربي في ذكر حافظ ابراهيم !

وبعد ، فأنما أسوق هذه الكلمة القصيرة لأدل على ناحية واحدة مما أجدي
به على الأدب العربي هذا الشاعر العظيم :

رُزِقَ حافظ ، رحمه الله ، الى الطبع وإدراك الملكة ، خللاً ثلاثاً لا تستوى
لكثير : سلامة الفوق ورهافة الحس . والثانية قوة الحافظة . والثالثة نفاقة اللسان .

وكان حافظ رجلاً يهره حسن الصياغة ، يأخذ فيه جمال التعبير ، فما يسقط في
فراغه في فنون الشعر والنثر ، على لفظ شريف أو صيغة ناصحة مشرقة ، كل بهاؤها
وترفرق ماؤها ، الاتهاقت نفسه عليها وراح يلتهمها التهاماً ، وهي آخذة منه مأخذ
أهل الأصوات في أدق الآذان .

ولقد قلت لك إن حافظاً كان قوى الحافظة ، ولقد بلغ من هذا موضعاً عجيباً .

نارده إلى اليوم،

حافظ ، وأن

أثره في شعر
حافظ ونثسه ،
التي امتاز بها
ولي ، وأخيراً

سبب الوقوف

، ولم يذكر
لونه وغيرها .
هب حاله ،

في أن ليس
يسع تكرار
أسباب أخرى
رة الأخيرة
تتوما ؟ مها

كما قلت لك
ة والجمال ،

الكتاب

ولو قد كان حافظ فيمن لم يدرك أيامهم ، فلم نشهدهم ونلابسهم لأحلتنا ما يروى عنه في هذا على ما يتردد به القصاص ، وسرفون في المبالغة فيه طلباً للافلاق والاعراب . ولقد كان ، رحمه الله ، يتناول الصحيفة فيها القصيدة لشاعر كبير ، أو المقالة لكتاب مبرز ، فإذا عيناه تجمزان فيها جمراً حتى يأتى على غايتها . ثم يطرح الصحيفة ، حتى ما تشك في أنه إنما كان يطلب نماذج من بعض أقطارها ليعجل عليها للحكم السريع النظر ، فما يروعه بعد أيام ، بل بعد شهور ، بل بعد سنين طوال ، إلا أن تبعث المناسبات ذكر هذه القصيدة أو هذا المقال ، فإذا حافظ يروى ، يظهر الغيب ، أنظر ما فيه أو أحقه بالزراية لبلوغه الغاية من الفسولة والاسفاف !

على أنني شهدت أن حافظاً لم يكن يعلق محافظته مما يقرأ إلا ما يستجيد ويستلمح ، وأحياناً ما يستخف ويستقبح إذا كان لبعض من بكرهم ويرتصد لتشميرهم والزراية عليهم .

والعجب أن الشائع في الاعتقاد أن من كان سريع الحفظ كان سريع النسيان فإذا صحت هذه القضية فقد حق أن يستثنى عليها هذا حافظ إبراهيم !

وقبل أن أتحول عن هذا الموضوع من الحديث أقول إن حافظاً قبض إلى رحمة ربه وليس في داره من الكتب إلا ثلاثة أجزاء أو أربعة من الأغاني (طبعة بولاق القديمة) وكتاباً أو اثنين في الفرنسية ، وأثارة من الأقاصيص (الروايات) العصرية المترجمة إلى العربية ولهجة أدنى إلى العامية ، فلقد كلف دهره بقراءة هذه الأقاصيص حتى إذا غادر داره دسها في (جيبه) ليقرأها كلما تهيأ له ذلك .

وتسألني : كيف أنه على كثرة محصولة ووفرة محفوظه من بارع الشعر ورائع النثر لا يجمع من الكتب إلا ما أحصيت ؟ فأجيبك بأنه لم يدع ديواناً لشاعر متقدم إلا قرأه ، وكذلك قرأ كثيراً من كتب أعلام البيان : على أنه ما فرغ من قراءة ديوان شعر أو كتاب محمول فيه ألوان اللغات إلا خلاه ودفعه عنه باهداء أو طرحه مطرحة حيث كان تغنياً بما أصاب منه وشكته حافظته العاتية . ولقد أذكر أنه من نحو اثنتي عشرة سنة دفع إلى كتاب (المكافأة) لأحمد بن يوسف الكاتب المصري ، واستعثنى على قراءته وتقليب الذهن فيه تروياً من ناصح بلاغته ، فقرأت الكتاب مرة بعد مرة ، وتعلقت بحافظتي منه كلمات وصيغ سرعان ما تحاذل أكثرها ونساقط عنها مستقط البقلة الذابلة . ثم إذا صاحبتنا بعد السنين التوالى يفتظمه المجلس ،

فيروي القصة من الكتاب برمتها كما جرى بها قلم الكاتب ما تكاد تنشر عليه منها كلمة، وخاصة ما أشرق لفظه، وتبهجت ديباجته. وما شاء الله كان!

ولقد زعمتُ لك أن حافظاً كان نطقاً ذرب اللسان، وكان إلى هذا رجلاً يألف ويؤلف فكان يطاب مجلسه المتأديون، وكان هو عظيم التفقد لمجالس الاسمار كثير الاملايح عليها فلا تراه قط الاحباشاً بلسانه في المجالس. يتقبل في خفة وطرف، بين جد القول وهزله. وهو أثناء هذا وهذا ينوع بفيض بالأدب فيضاً، وبأبني لا أن يدفع في حديثه بأحلى ما وقع له من رائع الصنيع.

دعك مما أفاد حافظ نفسه في هذا الباب. في شعره ونثره جميعاً، وما أحدى به على من قرأوه شاعراً ومن قرأوه كاتباً، فذلك مما يخرج عن حدود هذا الحديث. وإما الذي أريد أن أقوله إن حافظاً رحمه الله. كان محلة ادبية حية متحركة يُفتنى فصيح العربية حيث كان، ويصالح المتأديين أخطاءه البيانية ما وقعت له. وكثير من الشعراء لقد كانوا يعرضون عليه قصائدهم قبل أن يطلعوا بها على الناس فيثبت لهم المتجمل. ويقوى المتخذل. ويرفع المسف، ويدكي الخابي. فحافظ من هذه الناحية كان قوة قوية في إشاعة فصيح العربية وإطهار المتأديين على كرائم المحفوظات من ألوان بلاعاتها. فكان أثره واضحاً فيما نشهد اليوم من إشراف الديباجة، وتلاحم النسيج، وفجولة الكلام. ولا يذهب عنك بعد هذا أن حافظاً قد استظهر صدرأ صالحاً من الصنيع والتعبيرات الجميلة أدت في صفاء وسلامة كثيراً من متغير المعاني التي جاءت بها الحضارة الحديثة.

وقبل أن أختم هذا الحديث اذكر عن حافظ خلة من خلاله إنصافاً للحق واثباتاً لصحيح التاريخ: ذلك بأنه مما اعلم الله به عاينه أنه كان قليل الصبر على النظر في كتب العلم والاجتماع في حفظ قواعده والمطالوة في تفهم قضاياها واستخراج مسائله. علوم اللغة وغيرها عنده في هذا بمنزلة سواء، بل لم يكن له صبر على مراجعة معاجم اللغة فيما ينغم عليه من مفرداتها، ولعل الامر إذا شكرته في بعض هذا تقدم إلى غيره به فرجع إليه بما اصاب. أوكد أن حافظاً قد نوى وليس في داره معجم واحد من معاجم اللغة. ولكن لقد تهيأت للرجل فرصة لم تنهياً لكثير. فقد عاش من أول شباب السن إلى غاية العمر اعلام العلم واللغة والأدب في عصره، وداخلهم ولا بسهم وحضر بمجالسهم وحاضرهم ونادهم وأخذ عنهم. فانسقت له بهذا مجموعة

قيمة من علوم اللسان وسواها من قضايا الدين وعلوم الحياة وناهيك بمن طوى العمر كما في مصاحبة الشيخ محمد عبده والأشباح حمزة فتح الله، وارايم إليازجي، ومحمد المهدي، وحفي بك ناصف، وسامي باشا البارودي، وسماعيل باشا صبري، وسعد باشا رغول، وأخيه فتحي باشا، وأحمد حشمت باشا، وإبراهيم بك المويلحي، وولده محمد بك، وعمه عبد السلام باشا، وإبراهيم بك اللقاني، والشيخ علي يوسف، وأستاذنا أحمد لطفي السيد بك، وعبد الحميد بدوي باشا، وأحمد بك أمين، والمرحوم عبد الحميد باشا مصطفى، وأستاذنا العظيم الشيخ أحمد بك إبراهيم، وأصدقائنا الدكتورين هيكمل وطه حسين والأستاذ الجليل خليل مطران وغيرهم، وسواء من كل من يجري في أبواب العلم والأدب على عرق كريم، حتى وهو ضابط في السودان، لقد لازم أسنادنا العلامة المرحوم الشيخ الخضري بك، وراجعته كثيراً، وتروى عنه في قوانين اللغة كثيراً، ولعله كذلك قد اتصل هناك بأستاذنا العلامة الشيخ عبد الوهاب الحار وأخذ عنه وذلك مما لا أتيتنه إلى الآن.

ولعله قد تعاضدك بأدب الرأي ما زعمت في بعض هذ الكلام من أن بما انعم الله به على حافظ رقة الصبر على الأكباب على كتب العلم، وفيها علوم اللسان ولعله لو قد فعل لما كان منه كل حافظ إبراهيم.

حافظ إنما طلب العلم في أصنى موارده، وحصله من أكرم مساجده. وانت خير بأن العلماء إذا أقبلوا في أعمارهم على مداكرة العلم، تخيروا الله والمصالح، واصطفوا من مسائله ما جلّ معناه وقويت أسبابه، وخاصة ما اتصل منها بوسائل الحياة، وأطرحوا ما لا غناء فيه مما يكظ الذهن ولا يكاد يجدي في تطبيق قضاياها الكثيرة، وقواعده الوفيرة في دنيا ولا في دين. وحافظ كان رجلاً متسرع الذكاء، صافي الذهب، جوهرى الطبع، قوى الحافظة، كما أسلفت عليك، فأصاب مع هذامن صحبة من ذكرت من أولئك العلماء، وطول مذاكرتهم ومراجعتهم من الفوائد العلمية في شتى العلوم ما لا يكاد يدركه الحساب.

وإن تعجب فمجب اننى ارى ان عدم إكباب حافظ على مراجعة معاجم اللغة قد أجدى عليه في صنفته كثيراً! ذلك بأنه — وأرجو ان يعي هذا الناشئون في الادب بوجه خاص — ذلك بأنه ليس كل كلمة فى المعجم تصلح للاستعمال دائماً فى المعنى الذى وجهها عليه، فان الكامة قد تصلح فى هذا المقام ولا تصلح لذلك،

وقد تنسق لهذه الصيغة ونحلو وترق، إذ هي تنسز على تلك وتسنصب.
لهذا أثر حافظ أو شاء له القدر ألا يأخذ مفردات اللغة إلا من أكرم مناجمها، وألا
يطالعها إلا وهي في عقود نظامها، فيما حصل من رائع الشعر، وما استظهر من
فاتن النثر، فمرف في شعره ونثره كليهما، كيف يضع كل كلمة في موضعها، وكيف
يضم الجنس إلى جنسه، ويضيف الشكل إلى شكله. ومهما اختلف القعدة في شعر
حافظ وفي شاعريته فانهم لم يفتروا قط في أنه كان أمهر الصاغة في هذا الزمان.

وخلة أخرى تتصل بهذا المعنى، وهي أن بعض الشعراء إذا أعوزتهم القافية
فزعوا إلى المعاجم حتى إذا سقطوا عليها استكروها على النظم فخرجت في
الغالب، غريبة شامسة، أو قلقة نائية. أما حافظ فقد سلم من هذا، وإليك ما تكاد
تطالع صدر بيته حتى تراك قد أطلت من نفسك على القافية.

هذه ناحية من جدوى حافظ إبراهيم على اللغة والأدب. أسأل الله تعالى أن
يرحه الرحمة الواسعة، وأن يعوض الأدب العربي عنه خير العوض.
عبد العزيز البشري

حافظ إبراهيم

بين ظرفه ومجونه

وماذا أقول عن حافظ إبراهيم، وأي جانب من جوابه أتناول بالنقد
والبحث والتمحيص؟

إنما أود أن أمر في هذه المجالة على ناحية مع بواحيه البارزة الممتازة التي اتبع
لي أنساء انصالي به ردحاً من الزمن أن أتبينها وأعجب بها: تلك هي روحه الفكاهة
الطروبة، بل نفسه المرححة الضاحكة. بل قلبه العامر بالظرف والايثان مما كان يبدو في
نظر بعض الناس استهتاراً وقلة اكتراث.

أتحدث في هذه السكامة القصيرة عن ظرف حافظ، ومجون حافظ، وخفة حافظ،
وكرم أخلاق حافظ، بل سعة نفسه إلى أبعد مدى وأقصى حد.

في المعركة و
يهدى، وحفي
غلول، وأخيه
بك، وعمه
أحمد لطفى
الحيد باشا
ردين هيكل
ي في أبواب
م استاذنا
قوانين اللغة
هاب النجار

نما انعم الله
ولعله لو قد

وانت خير
، واصطفوا
مثل الحياة،
الكثيرة،
كاه، صاف
ع هدام
من الفوائد

عاجم اللغة
الناشئون
ستعمال دائماً
لمح لذلك،

كان حافظ في أخلاقه ومزاجه وروحه ونفسه وسخائه وشجاعته ومنطقه وحديثه بل في كل حركاته وسكناته وسائر مزاياه أديباً كل الأديب .

وإني لأذكره في جلسته في « دار اللواء » وقد التفت من حوله الصحفيون والأدباء والمتادبون وداروا حوله في شبه حلقة وحافظ لا ينقطع « الجرسون » عن التردد على مجلسه ذهاباً وجيئة فإذا ما انتهى مجلسه كان حسابه غير يسير .

وإني لأذكر صحفياً يُعتبر الآن من ذوى اليسار راهن حافظاً على أمر من الأمور فلما حصر حافظ الزهان أخرج من جيبه فدية رهانه ورقة مالية من فئة الحسين جنيناً ، وكان موقفاً عجيباً كاد يُجْبَسَل إلى « بعده » أنى لا أعيش في هذا العالم المادي العنيف !

وذكر أنى دعوتُ حافظاً إلى القناطر الخيرية حيث كنت أسكنها عام ١٩٢٣ إلى غذاء متواضع وقد جاء إليها في بعض أصدقائه كلهم يسر منه حالاً ووعراً ملاً ، وكانوا يركبون في دهاهم وعودتهم سيارة « تاكس » وقد دفع لسانقها مائة وخمسين قرشاً وهي تربو على تكاليف غذائى . فلما أظهرت له دهشتى أظهر لى دهشة أشد منها وعجب كيف أنى أود أن اعلمه الاقتصاد في آخر الزمن !

وإني لأعلم أنه جنى من آخر طبعة لكتابه « البؤساء » حوالى إلى جيبه أنفقها جميعها في نفس الشهر الذى استولى عليها فيه !

أليس عجيباً أن تتاح لحافظ فرص عدة للثراء ثم يموت دون أن يقتنى منزلاً يسكنه في حياته أو كفافاً من المال ينفع من بعده من ذوى قرابته ؟

وشهدت حافظاً في داره بخلوان في رمضان وقد استوى للاططار على مأثدته جمع من أصدقائه وألوان الطعام تغدو وتروح من كل شوى الطعام جيد الصنع ولكن في أطباق من الصاج ، والتمر الهندي يقدم في بواق من الصاج أيضاً .

وإني لأذكر في تلك الجلسة أديباً كبيراً وقد قال : « لا ينعص هذه الأكلة الشبهة إلا الثلج وهو لا يتكلف ملايم » فبادره حافظ : « فلنرض أنك في بيتك . »

وأذكر أنه سُئل عن صديق من أصدقائه الأفذاذ وكيف أن صديقه هذا يفضل الولايم والتردد على الموائد وهو والله الحمد في عبشة وارفة راضية بل كيف أن صديقه على ضعف صحته شديد النهم فقال : « إنه قضى أربع عشرة سنة يأكل (اردور) في الازهر ! »

وأذكر ان اصدقاءه أرادوا ان يعينوا معه ويأجوه فى ليلة من لىالى رمضان ويختروا مائدته وكانت مضرب المثل ومهبط الأدياء والعطاء فانقسموا فريقين وقد دخل فريق منهم فى ساعة الغروب فلم يكادوا ينتهون من إقطارهم حتى هاجمه الباقون، ومع ذلك فقد استطاع حافظ ان يستر موقفه وان يرد كيدهم ويدحض غلة من يحوسهم وان يقدم لهم الوفير من الطعام فى أصنافه التى كان يولع بها ويجيدها طاهيته الماهرة .

وخرج حافظ الى مقهى الجندى فى الاوبرا — وكان يتردد عليه أحياء من داره بالحيرة عصر كل يوم ، يدفع جرة للعربة كثر من ثلاثين قرشاً ذهاً وجيئة ليدخل نرجيلته هناك فى حوالى خمس دقائق ، ثم يدفع ثمنها لخدام القهوة ويقدمه أكثر من ثمنها نظير خدمته وينصرف — والتقى به إذ جلس فى ذلك المقهى أحد أصحاب الصحف الأسبوعية وقال له : « إنا كنت أتفقدك لأقترض منك حبيباً أنا فى أشد الحاجة اليه » فضحك حافظ وقال له : « عمرك اطول من عمرى ا »

بنى ابن أنسى له رحمه الله حبات رائحة فى دار المفطور له محمد عثمان اسمه باشا برهية من اتمال مركز صيا القمح ، فقد كان مجلسه فيه ندوة أدبية معدومة النظير ذكره وقد رأى شابين أحدهما وسيم الطلعة والآخر دميمها فقال من فوره للديم مشيراً لصاحبه الوسيم : « هكذا أساء الامهات الذين تدفع المهور الغالية لأمهاتهم ا » كما ان أنسى طرفة لأحد أدباى الافذاذ إداداره بقوله : « وعلى هذا القياس تكون المرحومة والدتك قد دفعت (دوتا) للمرحوم والدك ا »

ودعاه صديق له ليطبعه على مقبرة نناها لوالده فقال له حافظ : « كم كلفتم ؟ فقال الصديق : « مائة جنيه بالميت ا » فقال حافظ : « دى زخرة تبة ترد الروح ا »

وسمع حافظ أن امام العبد لا يفتأ يذكر أنه هو الذى حاق حافظاً فلما التقى امام حافظ دلف اليه فى شأن ماضى فقال حافظ : « والله يا مولاي كما حلفتى ا »

ورأى حافظ اماماً يكتب والقلم يتسقط منه المداد فقال « جفف عرقك يا امام ا » ورأى اماماً فى بذلة بيضاء وقيص أبيض وربطة عنق سوداء فقال له : « رد رب قيصك الا فرنجى ا »

وكان حافظ رحمه الله كثير التشكك فى صحته مشغولاً بها، بنوم فى نفسه الأمراض

عته ومنطقه

الصحفيون
سون « عن

على أمر من
ية من فئة
فى هذا العالم

عام ١٩٢٣
«ووبر مالا،
مائة وخمسين
دهشة أشد

جيبه أنفها

سى مرلا

مائدته حم
نوع ولكن

الأكلة
فى بيتك ا »

هذا يفضل
أن صديقه
(اردفر)

كلها، لا يسأل عن علة إلا سأل عن عوارضها ليرى أهى منطقية عليه أم بعيدة عنه، ثم يميل في النهاية إلى الأخذ بأنه مريض لمجرد تشخيصه في شعوره بعارض من عوارضها. وقد ينتهي بالأحاساس بها فيتداوى منها ويتحدث طول وقته عنها. التقي بطبيب من أصدقائه فبادره بشكواه من الأعور وأشار إلى أعلى ثغره الأيمن فردّه صديقه الطبيب بأن وهمه بعيد عن الواقع الذي يعترف به الطب لأن الأعور يكون في الجهة اليسرى فعارضه : « وانت مالك يا أخى بممكن يكون أعور يمين ! »

ولو حاولت أن أسرد كل نوادر حافظ لامتدّ بي الوقت فلا ترك المقام لغيري يتناول بقية جوانبه الممتازة وكلها بارزة، فقد كان حافظ رحمه الله رجلاً بكل معاني الرجولة، أديباً بكل معاني الأديب. وكان طيب القلب طامس النفس صالٍ الروح لا يحمل لأحد حقداً ولا يحاول السكيد لأحد.

وكان حافظ ينمى على أهل هذا الزمن وهذا البلد بوجه خاص ذلك القتال العنيف من أجل تلك الحياة القصيرة الزائلة، بل ذلك النضال القوي من أجل ذلك العيش التافه المحدود، وكان لا يرى المدل إلا وسيلة من وسائل العيش لا غاية من غايات الحياة.

وكان رحمه الله يعرف الشيء الكثير عن رجالات هذا البلد ماضيهم وحاضرهم فقد أدرك أكثرهم في صدر شبابه وبده صباه، وكانت صلته بالمرحوم الشيخ محمد عبده تمكنه من الاشراف من كتب على تصرفات كثير من الناس وحركاتهم وسكناتهم ومحاولاتهم، لهذا لم يكن يرى واحداً منهم بالعين الأخيرة الكبيرة بل كان ينظر لهم دائماً بالعين القديمة الصغيرة، يذكر عن كل واحد من البارزين حادثة أو موقفاً أو مناسبة ثم يعلق عليها بطريقة من طرقه أو فكاهته من فكاهاته وينتدر بذلك فكان حديثه لا يمل وكلامه لا يرغب عنه.

وكان حافظ يتبرم غيل طائفة كبيرة من جمهرة الناس هنا إلى المبالغة : فالعرب كل واحد منهم « شيخ عرب » أو « ابن العرب أنفسهم » علم ذلك عند الله والنوع لا يتسع إلا لواحد : فالدكتور على باشا إبراهيم جراح وكل من عداه « حمار » وسامى الشوا موسيقار وكل من عداه « حمار »، ومحمد عبد الوهاب « المطرب الوحيد » وإدنى فليس مطرب سواء، وهذا المهندس ليس في مصر غيره، وذلك

الكاتب أكتب الكتاب، إلى غير ذلك من المبالغات التى نواضع الناس على 'مها الاصل
المقبول والواقع المعقول

وكان حافظ يشكو من تدخل بعض المصريين فيما لا يعنيههم وانصرافهم عن
شئونهم للاعتساف على شئون غيره . ويبغى على مصر اشتغالها كلها بالسياسة
سواء فى ذلك صغيرها وكبيرها ، عالمها وحاهها ، دكتيها وأهلها ! وقد سمعته يقول
بن الحنجرى وهى سيدة المهلك تترك لعشرات من رجالها الاشتغال بإدارة دفة سياستها .
أما مصر فإن بها أربعة عشر مليون سياسى ! وكانت له رحمه الله نظرات نافذة فى
المواقف السياسية وفى المشتغلين بها ونبوءات تحقق منها الشيء الكثير .

وبالرغم من أن حافظاً قد تعرض لكثير من سخط الدهر وقسوة الزمن وشظف
العيش وحشونته إلا أن شيئاً من ذلك لم يؤثر فى خلقه ولا فى رؤيه فى غيره من
الخلق بل ولا فى الزمن والمعيش والحياة .

رحم الله حافظاً وعزى عنه أسرة الأدب وألهمهم السداد والتوفيق فى القيام
بمعنى ما لهذا الأديب القدر عليهم وعلى البلاد من حق ، وكفاء ما كان له فى الأدب
المصرى الوطنى من أثر

من العظيم

حافظ واللغة الفصيحة

كنت وعدت الصديق العزيز محم (أبولو) أن أكتب كلمة للعهد الخاص بذكرى
حافظ ، وأخذت أسوف ،ولى أعذار فى التسويف حتى كاد يومية يصرم ، وعدت
أفكر فى التحلل من ذلك الوعد ، فأتى على سفر . وفوق كاهلى واجبات لا بد من
المجازها .

ولكن ذكرى حافظ كانت تهيجنى فى كل لحظة ممثلة فى بينة الحرين :
مرضنا فما عادنا عائد ولا قيل أين الفتى الأملئ
ومر باليال أنى شغل عن شهود جنازته ، فى المروءة أن لا أشغل عن
شهود ذكره .

أم بعيدة عنه ،
يعارض من
وقته عنها .
على غفلة الأيمن
لأن الأعور
أعور عين !

المقام لغبرى
لا بكل معاني
النفس صافي

القتال العنيف
ذلك العيش
غاية من

يهم وحاصرهم
شيخ محمد عبده
هم وسكانهم
ل كان ينظر
أدزين حادثة
كاهاته ويتندر

لغة : فالمرب
الله والنويع
« حمار »
ب المطرب
غيره ، وذلك

وأنا أقف في موكب هذه الذكرى عند نقطة صغيرة : هي عمل حافظ في انهاء
اللغة الفصيحة .

١ - كان حافظ من المفتونين بأدب اللغة العامية وكان يحفظ كثيراً من
المواويل والأزجال ، وكان ينشد محفوظاته تلك في حماسة وإعجاب ، ولكن اتصاله
بالاستاذ الامام محمد عبده حوّلته الى قوة طاغية في ماصرة اللغة الفصيحة ، وصداقته
لوزير المصلح احمد حشمت باشا دفعته الى التفكير في رياضة تلامذة المدارس على فهم
لغة القرآن ، فأنشأ قصيدته المشهورة على لسان اللغة العربية :

أما البحر في أحشائه الدر كامن^١ فهل ساءلوا الغواص عن صدقاني

وأخذ يخلق المناسبات للسخرة من أقطاب الأدب الحديث الذين عجزوا عن
وصف ما جدد من المخترعات على حين استطاع المدوي ان يسبغ على ناقته انبغ
الصفات واشرف النعوت ، واليك قوله في مقدمة ترجمة البؤساء :

« تباركت اسمائك اللهم اأيدعي البعير ، وهو ذلك المركب انطش بهذه
الاسماء التي تضيق عنها بطون الكتب وهذه مراكب البحار والكهربياء لانسكاد
نجد لأسمائها مرادفاً في هذه اللغة ٢ ثا عسى ان تكون حالنا بجانب ذلك العربي
الذي يقول في وصف عيشه :

الابيضان أودا عظامي الماء والفت بلا إدام

وهو فوق راحلته ظالم على قنب يكاد يدمى عجانته تحت شمس تكاد تأكل
ظلها في مفازة .

تمشى الرياح بها حيرى موله^٣ حيرى تلوذ بأكناف الجلاميد

اذا أردته على ان يصف تلك الراحلة العجفاء ، وأردتها على ان نصف ونحن
نستطيب من صنوف الطعام ما يضيق به صدر الخوان ، وننبوا أربكة الأونمبيل^٤
تحت ذلك الظل الظليل . في مخارف ضفاف البيل ، على فراش وثير ، ومتكأ من
حرير ، بين نسيم عليل ، وماء سلسبيل ، ذلك المركب الذلول الذي لا تلحق به
صافيات الخيول ، فوقتنا أمامك موقف الحائر ، لا نعرف له اسماً يدل على مسماه ،
ولا مرادفاً في اللغة يؤدي معناه اأخذوا ايها القادرون على الاصلاح بيد اللغة ،
وانظروا كم ادخل فيها آباؤكم من كلمة فارسية . وهذا كتاب الله بين ايديكم يأذن لكم
بما ندعوكم اليه ، وهذا باب الاشتقاق وباب النحت لا يزالان بحمد الله مفتوحين لم

يصيبها ما أصاب باب الاجتهاد فادخلوا منها آمنين .

وحلاصة هذه الكامة أن تختلف اللغة عن وصف المخترعات الحديثة ليس من عيوبها ، وإنما العيب عيب الكسالى المعاصرين الذين لم يحدقوا من الألفاظ والتعابير ما حدق البدوي الضال في الصحراء . وسحرية حائط التي قذف بها الأدباء منذ عشرين عاماً لا يزال لها مكان : فبعدنا بحمد الله مئات من الأشباح الجبيلة ترمي اللغة بالصعف والتخلف ، كأن اللغة تخلق نفسها خلقاً ثم تتقدم طاشعة خاشعة لخدمة الأدباء معسكران القهوات !

٢ — ومن أجل ما قرأت لحائط رأيه في قوة الاصطلاح ، وهو رأى نشره في مقدمة كتاب الاقتصاد الذي اشترك في ترجمته مع الأستاذ الحليل خليل بك مطران . وهو يرى أن الاصطلاح ليس بأوهى قوة من القل ولا هو بدونه في مراتب الهيمنة على اللغات ، فإما من كلمة تنبت ولا من لفظة تذوى الا وللاصطلاح يد في حظها من الموت أو الحياة .

وكانت حياة حائط نفسها دعابة لقوة الاصطلاح ، وإن كما لاحظنا أنه كان يخالف بين قوله وقوله ، فكان في مجالسه من أوسع الناس صدرأ ، وأعرفهم بحرية الرأي ، فإذا نظم قصيدة أو أنشأ رسالة تكلف وتحدلق واستوحى المعاجم واغلق الباب في وجه الاصطلاح !

٣ — وإم خدمة قدمها حائط في حياته الى اللغة الفصيحة هو تمكنه من الأدب القديم ، فقد كان يشعر بحجوة محفوظه وتدويعه ان العرب أفصح الناس وأبلغ الناس ، وكان يتدفع في انشاد الشعر القديم تدفع الميل ، ثم يطوف بمحذوق الملح والفكاهات البدوية والحضرية ، فلا تنصرف الا وانت أشوق الى دراسة الأدب الفصيح الذي يمكن مثل هذا الحديث من ناصية اللبابة والطرف وحلاوة الحديث .

وبعد ، فهذا ما سمح به الخاطر المكدود ، ولنا عودة في الذكريات المقبلة ، فلن يكون هذا آخر العهد بشاعر مصر والنيل

نكي مبارك

صفحة مجهولة

من حياة حافظ

من أوليائه

في صيف سنة ١٣٠٥ هجرية كنت طالباً في الجامع الأحمدي بطنطا وقد سافرت في أيام العطلة إلى بلدنا القرشية ، ثم عدت في أواخر شعبان من تلك السنة إلى طنطا ، فإذا بأخواني وأصدقائي يلودون بفتى غض الأهاب جديد الشباب وقد أسرعوا بتقديمه اليه وتقديعه إلى باسم الأديب الشاعر « محمد حافظ إبراهيم » ولم نمر إلا عشية أو ضحاها حتى أحسست من نفسي ميلا إليه بجاذب من الأدب الذي كان نعمة نفسي حتى آل ذلك إلى غرام بأدبه وما يشتمل عليه من طرف ولطف ومحاضرة وبديهة مطاوعة ومعرفة خاطر وحضور نادرة .

وكان دأبنا في رمضان تلك السنة أن نصل المغرب والعشاء والتراويح معاً ثم نلبث في صوم تمتع ومطارحة للشعر ومذاكرة في نوادر الأدب وما كان يطفرف الحضور به مما يقف عليه من جيد القريض إلى أن يأتي وقت السحور . ثم نعود بعد السحور إلى ما كنا فيه إلى انبثاق الفجر فتؤديه ثم يخرج بفلس إلى خارج المدينة حتى نصل إلى قرب بلدة قعاقة ثم نعود وقد آذنت الشمس بالطلوع فيذهب كل واحد منا إلى بيته ثم نعود إلى مثل ذلك إذا جن الليل .

وكان الذين اعتادوا الخروج معنا إلى ما يخرج إليه :

- (١) محمد حافظ إبراهيم (٢) محمد حلمي الجيزي أفندي صدة الجيزة سابقاً
- (٣) السيد محمد إبراهيم صلاح الناحر بطنطا الآن (٤) الشيخ محمد إبراهيم البيومي من مدرسي الأزهر الآن (٥) كاتب هذه السطور عبد الوهاب النجار .

ظل هذا دأبنا مدة شهر رمضان وفي أواخره بصرنا ببشروش جميل الصورة في حديقة مدرسة القرير ، فتقدم واحد منا وطرق بحلقة الباب ليفزعه فكان المنظر جميلاً . فعاوننا ذلك العمل ثلاث ليال . ولكن جماعة القرير ظنوا تعم ذلك لافلاق راحتهم ، فلما كانت صبيحة آخر يوم من رمضان خرجنا من المسجد بفلس وأسرعنا الخطا حتى أتينا إلى مدرسة القرير والظلام لم يقوض خيامه ، وما أن تقدم واحدنا لتحريك حلقة الباب حتى هب جماعة من الفلاحين قد أكنهم جماعة القرير للقبض

علينا فعلقت حبائلهم محمد حافظ ابراهيم شاعر النيل ومحمد حلمي الجيزي أفندي.
أما أنا والشيخ محمد ابراهيم البيومي فاسلمنا أرجلنا للريح وطرنا مع الباري عليه
سواد ولما أمسى الطلب وقفنا ننتظر اخواننا الى ان فضحنا النهار ولم يبق للانتظار
فائدة فذهبتا بحسرة ما بعدها حسرة — وكان السيد محمد ابراهيم صلاح قد
تخلف عن الذهاب معنا في هذه المرة.

ولما كان هذا اليوم آخر أيام رمضان ذهبت إلى بلدنا لقضاء العيد هناك وقد
اتفقت مع السيد محمد ابراهيم صلاح والشيخ محمد ابراهيم البيومي على أن يكتبنا
إلى بما يتم من أمر حافظ ومحمد أفندي حلمي وأن يلحنا لي لحناً أعرفه، وذهبت وأنا
على آخر من الجرح — وفي اليوم الثاني من أيام العيد وافقتي تذكرة بوسنة من المرحوم
حافظ بك بما يتم :

وذلك انه لم يرتفع النهار حتى ذاع الخبر وأرسلت التلغرافات لتفصلية فرنسا .
وعلم كل من المرحومين بيازي أفندي مهندس تنظيم طنطا وهو خال حافظ والشيخ
محمود الجيزي شقيق حمي أفندي ، فذهبا إلى جماعة الفرير وكلامهم في هذا الشأن
فرضوا باطلاقهما (وكانوا قد سلموها إلى الضبطية) بشرط أن يعودا إلى المدرسة
ويستسمحا ، ففعلوا وانتهى الأمر باطلاقهما .

وبما حصل لحافظ في ذلك العهد أن خاله أغلظ له القول مرة في شأن من الشؤون
وزجره ، فكتب إلى خاله :

ثقلت عليك مؤونتي إلى أراها واهية
فأفرح قاني ذاهب متوجه في داهية

وكان كثيراً ما يشكو الدهر ويدب سوء حظه ويتبرم بأحداث الزمن وينمى
لويوافيه حمامه — فمن ذلك قوله :

عجبت لعمرى كيف مده فطالا وما أثرت فيه الهموم فزالا
وللموت ما لي قد أراه مباعداً وجل مرادى ان أوسد حالا
فللموت خير من حياة أرى بها ذليلاً ، وكنت السيد المفضلاً
ولقد أوردت عليه هذه الأبيات قبيل وفاته فتعجب أن يكون هذا الشعر
صادراً منه .

بطنطا وقد
ن تلك السنة
لشباب وقد
ابراهيم ، ولم
الأدب الذي
لطف محاضرة

أوج معاً ثم
ت يطف
ثم تعود بعد
فارج المدينة
فيذهب كل

الجيزة سابقاً
محمد ابراهيم
باب النجار .
الصورة في
سكان المنظر
ذلك لافلاق
س وأمرنا
م وأحدثنا
فرو لقيض

ومن آيات ذكائه أنه كان يسمع الفقيه في بيت خاله يقرأ سورة الكهف
أو سورة مريم أو سورة طه فيحفظ ما يقول ويؤديه كما يسمعه بالرواية التي قرأ
بها الفقيه !

وكان إذا وقف على بيت نادر أو شعر بارع يبادر إلى قبل أن يسمعه انساناً
آخر ويسمعي ما أعجبه ، وكان لا يُعجبه إلا كل مرقص مطرب .

ما نطق المحامي

كانت المحاكم الأهلية حديثة الوجود ، وليس للمحاماة قانون مسنون ، ولا توجد
شهادات حقوقية في طائفة المحامين ، ولم يكن نظام الامتحان قد امتدحت ، فكل ذي
قضية جاء بشخص وقال إني وكلته قبل منه .

وقد ضجر حافظ من فراغه ، فذهب إلى المرحوم الشيخ محمد الشيمي المحامي
بطنطا (بك فيما بعد) واشتغل عنده في مكتبه ، وكان يسافر إلى المحاكم الجزئية
القريبة من طنطا ويرافع في القضايا ويكسبها .

وبخلاف حصل بينه وبين محمد الشيمي بك ترك كتبه وترك له هذين البيتين :

جربابُ حطَى قد أفرغته طمعاً بياب أستاذنا الشيمي ولا عجا

فعاد لي وهو مملوء فقلت له : بما ؟ فقال : من الحشرات وأحرابا

فأسف المرحوم الشيمي بك لخروجه وحاول استرضائه وعودته إلى العمل معه
في مكتبه فلم يقبل .

انتقل بعد ذلك حافظ إبراهيم لبشتغل في مكتب محمد أبي شادي بك بطنطا فسكث
معه مدة كان فيها مغتبطاً كل الاغتباط ، وكان أبو شادي بك يرى نفسه قد عثر على كنز
ثمين فكانا يتنادران بالأدب ويتطارحان الأشعار إلى أن خرج حافظ من مكتبه إلى
مكتب عبد الكريم فهم أفندي المحامي فسكث فيه مدة من الزمن يشغل عنده .
وكان مكتب عبد الكريم فهم أفندي ومكتب إبراهيم الهلباوي بك متجاورين
ومحلها كان بالوكالة التي جعلت فيما بعد المعهد الاحمدى ، وكان كثيراً ما ينتقل إلى
مكتب إبراهيم الهلباوي بك الذي يسمونه بمحدثه وأده .

﴿ مراثية حافظ ﴾

لاستاذة وصديقه القديم محمد ابى شادى بك

كان المرحوم حافظ مولوداً فكان قليل الكتابة بل نادراً ، وكان لا يأنس إلى
تدوين شعره مكتفياً باملأته عن ذاكرته القوية ، ولذلك لمجد نادر خطه
نادرة وخاصة شعره . بيد أننا لمجد حافظاً بشدة عن هذه القاعدة في
مراثيته البليغة المؤثرة لاستاذة في المحاماة وصديقه وزميله في الأدب المرحوم
محمد ابى شادى بك . وإليك نصها الكامل كما كتبها ، وهى منال من وفائه الرائع :

عجبتُ أن جعلوا ميراثاً ذكراً
كأننا قد نسينا يوم متعاً
اذ كنت يا ابا شادى طويلاً
ذكر الراحل شقاً أنا شلوفاً
لأجزة السبل والوادي دسائنه
جمع لصولك موصول يذكراك
دعشتُ فينا نيمراً طاب مورده
أسمى سجايا الفتى أدنى سجاياك
فما كأدراك ، ببر ذكركم
أولى كريم ولا عقيب كعصياك

فضيلة الوتر العيون قد ثلاث
 أنحاء فتك شغلها عنه فضايا كما
 أبدت يد نادرة الحليمة الخ
 دكان سرهمك أني شئت فتأما
 أجهت ما فصلوه في تصايدهم
 متى لقد نظروا بالحد مشوا كما
 لم يبق لي قيد شبر صاحب دلم
 بفتح لي القود لا بعد ولا ذاك
 يا ندم من الكدر والنسيب كشفا
 ها انت والحد قد جادرت مولانا
 لو لم يكن لك رديا لك فمحرور
 سوى ركني لقد جهلت رديا كما
 هفت به

رحل بعد ذلك حافظ إبراهيم الى مصر ودخل المدرسة الحربية وكان دخوله منتهى ما يتمناه . وعقب ذلك رفعت دعوى على خاله محمد نيازي افندي بحكمة طنطا الاهلية وحكم عليه بسنتين . فمظم حافظ قصيدة للخبديوي المرحوم محمد توفيق باشا يستعطفه بها على خاله ، فوفعت قصيدته من نفس الخديوي موقعا حسداً فأصدر عفوه عن خاله وعينه مدرسا للامراء أحمد صيف الدين ومحمد ابراهيم وشويكار هاتم ، وبقي بعد مفارقتها عهد الدراسة يستولى على مرتبه الى وفاته .

وأما حافظ فقد تخرج من المدرسة الحربية سنة ١٣٠٩ هـ وتقلبت به الاحوال الى أن صار شاعر النيل غير مدافع . فرحمه الله رحمة واسعة وعوض مصر والعربية فيه خيراً ما

عبر الوهاب النجار

حافظ لسان عصره

أصبحت أجفل من الشعر وأفرق من الكلام فيه وأستجير منه بالهدر ، وأحسب ذلك لآثي مانيت أوم التعبير به زمناً فأخفقت ، وعدت أندم على ما أضعت فيه من جهد وعمر ، وأعجب للفرور الذي كان يزين لي الزهو به . واست أنكلف التواضع ، فإن هذا ما أنطوى عليه الآن من احساس ورأى ، وقد يتفق لي أحياناً أن تقع عيني على جزء من ديواني فأفتحه وأقلب صفحاته وأقرأ أبياتاً هنا وأخرى هناك ثم أطوى الكتاب وأرده الى حيث كان مدفوناً وليس بي الا الدهشة من أني كنت أعد هذا كلاماً يستحق النشر والاداعة . وكنت قديماً أنطاول على الشعراء وأنناول بالنقد واقسو في ذلك عليهم واعف ، بل لقد افتتحت — او على الأصح صكان مما افتتحت به — سيرتي في الكتابة بأن نقدت حافظاً رحمه الله في سلسلة مقالات كنت أعتر بها وأعتدها شيئاً ثميناً لجمعتها ونشرتها في كتاب بيع من نسخة للقليل ونكدس اكثرها عندي فبعته لبقال رومي — لعله أمي أيضاً — ليلف في ورقاته ما شاء من جبن وزيتون أو يفعل بها ما هو شر من ذلك . وقلت

وقد حصلت أنفاسي واستراح قلبي : هذا خيرٌ ، فما يستحق مثل هذا القدر إلا هذا المصير .

ولم يتغير رأيي في الشعر ولسكني صححت موقفي من حافظ ، فهو عندي لسان العصر الذي طاش فيه ، وصوت الشعب الذي انجبه . ولم يكن العصر يحتاج الى ارفع من هذه الطبقة ، ولا مكان الشعب يقدر ان يحسن روحه الا في مثل شعر حافظ . نعم طهرت المدرسة الحديثة في الشعر والأدب على العموم منذ أكثر من عشرين سنة ولسكنها لم تكن مدرسة شعبية ، فلم تستحوذ على الجمهور استحوذ حافظ عليه ، ولم تستول على هواه مثل استيلائه . ولم يتصل ما بين هذه المدرسة الجديدة وبين الشعب الا بعد أن أخذت دائرة الثقافة في الاتساع .

حافظ شاعر شعبي ، ولست أقصد الى الأرزاء به أو الغضب منه ، فأريد أكثر من أن أقول انه يصور روح الشعب الموحج الحزين المتحسد في شيء من الوجوم والدهشة والخيرة : الخيرة في امر نفسه . والخيرة في امر هذه المقادير التي لا تجري الا بالدواهي والأرزاء . وما قرأت شعراً لحافظ الا أحسست ذلك منه . واكبر ظي أن غيري من القراء مثل . وليس بالقليل ان يكون رجلٌ لسان أمة والماتف يحوى ضميرها وصر روحها ، مهما كان الرأي في قيمة الشعر من حيث هو شعر وبغض النظر عن بواعثه وعن الروح التي صدر عنها الشاعر والغاية التي اعتمدها وفصد اليها .

ابراهيم عبر القادر الخائفي

موكب الذكريات

أو

النأي الباكي . . .

(مهادة إلى روح المغفور له محمد حافظ ابراهيم شاعر الجمال والذكريات)

مالك اليوم واجماً يا خيال كيف لا ترممُ الدموع الغوالي ؟
سقطت فوق صفة الخلد دُرّاً وتهادت مضبئة كاللآل

هبطت: كل دمع كوكب نغم، عظيم الضياء، سامي الجلال
وبروح أفديك من ألم الوجع، حباتي، ومن ضئي وهزال

« »

وعجيب يا فتنتي أن تلوح نرة الدمع، وهو من قبس روي
كان خيراً — لو ترأفين بحال — حبسه، إنني كثير الجروح
أفلا تعلمين أن فؤادي منبع العشق والهوى والطموح؟
أوهل تُكرين أن دموعاً منك تُعري شفاف قلبي الطليح؟

« »

ولرب ابتسامة منك بالأمس أصوات يسمو للعبادة
وأحاطت روي بهالة حُسن طالما قد خصصتها بالعبادة
وفؤادي يا طالما عندها صاغ قصيداً مُضجداً فأجادة
صاغه من نسائم الفجر شعراً وسقاء وجدانه ووداده

« »

والذي يقتل الشعور اذكاري زمن الوصل إذ وقفت جوارى
والعيون الظلمة توحى مع الصمت كلاماً يهيج منه أوارى
والشفاه الرقاق تهفو على القرب لرشف حبيب واعتصار
ولهيبة من وجنتيك مضى لحة الليل... ياله من نادرا

« »

كيف أنسى النخيل في جانب الجدول طالمت تروم لمس السماء
ترسل اللحن، حينما تخطر الریح حزينا ومُشجياً كالرثاء
شربت من دماء قوم تولوا فاستطالت فروعها في الفضاء
وكذاك الحياة تُقنى لتعطى وعطاة الحيات باب الفناء

« »

كنت يا طالما أصوب طرفي في فضاء الوجود أنشد قهماً
لم أجد غير أننا في وجودي يذهل العالم البصير فيمعي
كل ما فيه ملغز، لست تدريه، ولو كنت قد نكتت علماً
بيد أننا هنا، نحاول بالشمس بياناً لكل لغز ممعني

« . »

وإذا ما التوى على الفهم شيء فابست الشعر صوبه يتهدى
إن بالشعر ينجلي كل غيب وبه تصبح الوهاد مهاداً
أرغن العيش، مظهر الروح، نجواه سداد لمن أراد السداد
رسم الكون كيفما شاء، لا يتبع رأياً، ولا يلين انقياداً

« . »

يا عزاء النفوس في ساعة اليأس، وساقى النفوس راح السرور
فم، تحدثت عن الفؤاد ورجع نفات الامى ولحن الجبور
لا تفرق بالله بين شجوني وسروري، فكل ذلك شعوري
ملهم الروح، فم أيا شعره واهتفأ أنت خدني، وناصحي، وأميري

« . »

ما الغرام الذي به تستغنى كل يوم في نثرنا والقصيد
أهو حب الجلال والعقل، أم هل هو حب الزنى وحب الخلود
الغرام الغرام نور من الروح، سبوح بروح طير شريد
سارب في مفاوق الكون يرتاد فضاء متزهاً من حدود

« . »

يذهل الناس طائراً، فإذا حط بقلب، أصابه فاعثلاً
هو نور، ولكنه حينما يطرق القلب سعيه في نارها القلب يصل
هو روح الحياة، يستمذب الخلق الأمان متى بدا وأهلاً

يخلق العلم والنويع وُفنى كل فن إذا طفى وتولى

« »

بافؤادى ، أعيد على غرامى وتحدث من شقوى وسقامى
بُتْ فى الشعر ما عرفت عن الغيد ، ولئى إذا رأيت ملامى
علم الله كم قصرت بيانى وفريضى على الهوى والنسامى
ولكم كنت أفتح الغيد بالشعر ، فاك كن يستغن كلامى

« »

كيف بالله يستعج جهول آية من بلاغة وبيادر
كيف بالله تفهم الشعر أو كيف تحب البيان هذى الفوائى
من برزق فى مفاصلة الناس ، وقد فُقم فى صنوف الدهان ...
ولقد كنت كيفما شئت دهرًا ذا مجون وخبرة بالحصان

« »

وسقى الله ذلك العهد ، قد كنت سعيدًا به وكنت طروبًا
حيث كنا نزعى الكواكب زهرًا ونرى فى السكون سحرًا عجيبًا
فمر الحُسن كل شىء فبتنا لحسب الخلة فى الحياة قريبًا
بارعى الله فى نرى (أجل) كوخًا صغيرًا لقيت فيه الحبيبا...

« »

ضرب الدهر بيننا ففدا الجسم حسيلا كدارس الاطلال
ونرى الشوق بالفؤاد ففنى باكى الشوق فى القوافى الطوال
وله العذرة... كيف ينسى التلاقى فى ضياء الهلال والعيش حال
والسكون المقيم أرخى سدولًا محجب الحب من أذى المدال

« »

والنسيم البليل من جانب الجدول ، يهفو بعانق الأرواحا
هب يذكى الغرام فى خافقنا ثم ينفض عن النفوس الجراحا

يدفع القلب لاهت الذفر للرشف ، فيحسو من العلى أقداها
والعناق العنيف كم جمع القلبين في سورة الغرام فناها

« . »

مَنْ يقول الغرام اثم وعار قل له أنت جاهل لست تدري
انظر الحب في الخائل يا غر ، غنيقاً ما بين زهر وزهر
وانظر الحب في الربى كم تبدى عاصف الشوق بين طير وطير
إنما آية الحيا هي الحب ، فن لم يحب طاش كصفر

« . »

رُبَّ حُسنٍ في الروض يقظ حسي وأهاج الكين من أفكارى
كم تمشى القلب صوبه يتغنى بنشيد ممت به أشعارى
حبذا وقفى مع الزهر في الروض ، أقول القصيد في الابتكار
والطيور الخفاف تطفر نشوى وسكاري ، وما انقشت من عقار

« . »

آو .. ما غرّرت الجمال بقلبي فدهاني وصرت منه الملقى ؟
أهو أنى شفته وجداني ودماي مراقبة ، فتجنى ؟
أهو أنى بكرت كالبلبل الصّداح في الروض ساجعاً أنفنى ؟
أهو أن الدموع منى حرّى صغتها في مديحه خير معنى .. ؟

« . »

وأنا شاعر الملاحمة مذ كانت ، وفي أى صورة تجلّى
أجتليها بخاطري وفؤادي وبفكري ، بما ترى العين ، أحلى
نظرة القلب بمدى نظرة العين ، وشتان بين عاليا وسفلى
رُبَّ أسمى العينين ينظر لشيء بقلب منور يتملّى ا

« . »

(روضة الشعر) كيف أزهرك اليوم ، وكيف الطيور في غديانك ؟
كيف حل (البحيرة) الضحلة الماء ، وكيف (النخيل) في جناتك ؟
كيف (دوحاتك) الواسق أسدلن شعوراً ، وكيف حال (مساتك) ؟
تخطى (الملك) في (البحيرة) جدلى ونشم العبير من زهراتك

• • •

نبعت الشجوة في الفؤاد بمجداف ادا صافح (البحيرة) رتل
وتغنى فينصت الطير في الدوح ، ويؤسى الغناء أرخم بلبل
رهرة الروض في الاصيل وفي المحر ، وربحانة الفؤاد المبلبل
مالما صفت في هواك قريصاً زاهياً كالورود ، بل هو أجل

• • •

وحبني إلى لقائك بدوي فؤادي دوى حيران جائر
يرسل الدمع والأنين هباء وإدا هم ، أقعدته المقادر
حزبه الأيام في ميعه العمر ، وقدته بالسيوف البوائر
حطمت كوح حبه ونفته عن فتاة الاحلام أحت الجادر

• • •

رب ، ماذا حياه قلبي فيشتي ويخمر الصدود والهجر يسقي ؟
ماوني الدهر عن هواه ، طرداه وشيكاً وسامه الخسف رقا
رب إني جئت من وثبة الدهر ، وإني أكاد أزهر عشقا
وترى عائد حبيبك يا قلبي مثنياً ، أم عاف حبيك حقاً

• • •

ونعال يا طير واسمع شكائي آخر الليل في خفوت وهمس
أرقب النجم في الدجى رقفاً كمؤادي إذا طغى بي يأمي
وأقول القريض فيه عزائي وبه راحة لقلبي وجي

أقدما

فناحا

تدري

وذهر

وطير

كصخر

سكاري

شعاري

لا بكار

ن عقار

مضى ؟

جنى ؟

سنى ؟

فى ..

تجلى

أحلى

سنى

سنى

سنى

وإذا عصتك الأُمى ، فلقوا في عند جاماتها شرابُ التأمي

« »

وإذا ما أردتَ نظمَ القوافي فليكنَ في المروج والأزهار
إنها — لو عقلت — أظهُرُ روحاً من ملاح ، غرامها كالقمار
وقلْ الشعرَ في جبال الأمازي وتوهم بحسن شمس النهار
حسنٌ كلُّ ما على الأرض من زهرٍ ومن أنهرٍ ومن أطيار

« »

ولماذا الأنينُ ؟ حطمتَ نفسك وعلامَ النحيبِ والعيشِ رهزٍ ؟
أتمدُّ الحياةَ خلواً من الخير ، وفي كلِّ ما ترى العينُ خيرٌ
لا تمحقرُ مستصغراً وضعيفاً ربما منه قد يُصيبك برٌ
رُبَّ كلبٍ أطمعته ، يمنع الضَّرَّ إذا ما أصاب بيتك ضرٌ

« »

وعزاه النفوس أن تُرسلَ الشحر ، إلى بارئِ الدُّنيا قربانا
يَعمرُ الروحَ عند مجواه نورٌ يُنعم القلبَ رحمةً وحنانا
وبشيع الهدوء في كلِّ فجٍّ وتُنمِّي قيثارتى الإيعانا
تَنشُدُ الخالدةَ الجلالةَ والحننَ نر ، فإن حُسنه قَبَّحتُ البيانا

مُخَنِّدُ الوكيل

حافظ كما عرفته

حافظ — ومن أسماء فقد كنَّاه — يظلمه من ينظر إليه شاعراً فقط ولم ينظر إليه
« رجالاً » كاملَ الرجولة . يملو عن قشور النثر إذا ما ذكر الأدب بشعره الفحل
في الشعر ونثره الفحل في النثر ، وبقوة بيانه وبلاغته لسانه وبعذوبة حديثه إذا حدث
وسعة ذاكرته إذا روى كأنما تلك الذاكرة الواسعة دواوين من الشعر ومؤلفات

جبة من روائع البلاغة والحكمة ومعجم عربي لا نقصان فيه ولا أخطاء .

أما إذا ذكر صفاء الذهن ورقة الخلق وسطة الكف والسماحة وصدق الود والوفاء وسداجة الحلم والقناعة والوفاء وكل ما عتد العرب في شعرهم وحكمهم وبلاغتهم من الفضائل فإن حافظاً — رحمه الله — كان الأول فيه والأخير أو بعد الأخير في ما يدم ويستنكر .

أما وطنيته الصادقة فلا يعادها الا دينه الحمدي المنير . فلك من حافظ ما شئت الا أن تنال من هاتين الخلتين دينه ووطنيته ، ولك أن تحيله عما شئت لما طبع عليه من سماحة الخلق وحسن الطوية الا عن هاتين العقيدتين اللتين تقيد به . وقد طبع على ألا يتقيد بشيء حتى التقاليد والنقل ومتابعة الناس بعضهم لبعض في ما يجمعون عليه اما بعد البحث والتروى واما بالتصديق والمنازمة بلا بحث ولا تدقيق . فالداس جميعاً معجبون بحضرة أوروبا وتقاليد الأوروبيين ، أما حافظ فانه طاف مدن أوروبا فلما عاد منها عاد ساحطاً على تلك المدن والتقاليد التي تحمل الناس سجدها ونحرمهم الحرية باسم الحرية في ما يسمونه أوطانها .

هكذا كان يقول لنا حافظ الذي كان يكره التقيد في ما تواطأ الناس على التقيد به سواء أكان في ما كانهم أم مسكنهم أم أفرادهم أم أديانهم أم محالهم أم مساكنهم أم معاملتهم ومع ذلك كان الشاعر المحل المقيد بالقافية والروي وكان السكاتب لميلع القيد المقيد بالسجع والعمارات الموجهة كأنها في أوراسيا قطع من الموسيقى عقاطعها ومصارعها .

حافظ يظلمه من ينظر اليه من ناحية واحدة ولم ينظر اليه رجلاً مارزاً كل البرور من كل ناحية من نواحي نفسه وخلقه . سواء اتفق ذلك مع حلقه وهيبته أم لم يتفق وسواء أكان مما ألفنا مدحه لا نطشاعاً عليه أم لم نألفه . وسواء اتفق الناس على عدده حساً مواتياً أم لم يتفقوا . حافظ كان شخصية بارزة وأول الأدلة على بروز شخصيته أنك اذا التقيت به مرة واحدة كانت هذه التقيماً الواحدة كافية لأن تطمع في ذهابك صورة جسمه القوي المضطرب العريض المتناسق المتلائم الاعضاء ورقة صوته وغتته وحركة يديه الفصيحة ونهيد جسمه اذا مشى على حركة يدين كجند في السفينة وارسل عباراته في التبسُّط وفي الجواب كأنما كل برة توكيد جازم قاطع لا يقبل حداً ولا حواراً . كذلك هيبتات الحكمة في ذهنه

التأني

الزهار

كالقهار

النهار

أطيار

زهر

خير

بر

ضر

قربان

وحنان

الإيمان

البيان

كبير

لم ينظر اليه

بحره الفصل

ه إذا حدث

ر ومؤلفات

تجري على لسانه وكأنها قطعة من الوحي عبارة وجيزة ولفظ جزل تنفذ كالسهم المطلق الرنان فتقفل باب الحوار والجدل وتكون الحجة الدامغة والبرهان القاطع .

حافظ شاعر ، والشعر قطعة من الموسيقى أو هو هي ، والشرقيون موسيقيون طباعهم ومزاجهم يستوهم الالحن والنغم ، لذلك غلبت الشاعرية في حافظ ووصفه وصفاته مع اني لا أجد مفاضلة بين شعره المنتقى ونثره المسمق المثين البليغ العبارة فميم كانت شاعرية حافظ غالبية على نثره اذا نحن لم نضع في احدي كفتي الميزان الى جانب الشعر او النثر طائفة القاري العربي ونفسيته ؟

أما الخيال وأما التخيل في شعر حافظ فقد يكون أقل منه في شعر سواه من حول الشعراء ، وأما الحكمة وأما الديباجة وأما الحقيقة والواقع فهي في شعر حافظ أقوى منها وأمت وأصدق من شعر كبار الشعراء ، فهو بشعره يتحدث الى النفوس بقوة الحجة حتى تخال البيت اذا تلاه حافظ يدوي ككثيفة وينفذ كالسهم ، فاما أن يخلق في نفس السامع عقيدة واما أن يهدم ايدياً ، وهو في الحائث يمتلك العقل ويخرب القلب ويتولد عنه الإعجاب والافئاد . واي نفس لا تستنار بمثل قوله وهو يصف هلال غرة السنة وقد أطل على الألوان . . ؟ واي نفس تلمس تنقلت من قوله وهو يرثي أحب الناس اليه الشيخ محمد عبده «سلامه على الاسلام بعد محمد» ؟ وآية عقيدة لا تنزعزع وحافظ يقول في تعيين رجل الأمة سعد رغول وزير المعارف « فادام في قصر الدوارة رثه — فسمعدود بلوب لعمر ك واحد » فهل هناك خيال فتان ساحر أم هناك حقائق رائعة ليست انتم كساء من اللفظ الجزل الموسيقى ؟ ألم يقض حافظ بيت من شعره على تلك الحلة الهوجاء التي أثارت عى السوريين من أجل خطة احدي الصحف بقوله عن الأمة السورية « فصالحوها نصافح نفسها العرب » ؟ ان الذين طاشوا تلك الحقبة يذكرون ان هذا الشعر من نظم حافظ كان كافياً لمحو مجلدات من أقوال الصحف ومجلدات من أقوال الخطباء فيمن نعتوهم يومئذ بالدخلاء

كان حافظ كثير العناية بشعره ونثره يصقله ثم يصقله ثم يصقله ، حتى اذا ما تم صقله ووثق بانه صار صورة صادقة لما يريد تصويره تنفى به وردده فاذا أطرب واذا هو طرب لتلاوته عرصه على نخبة من الادباء الذين يختارهم لمقدمه ، فلا يستكبر ولا يعاند بل يباحث ، فاذا هو اعتقد بأن الصواب ما قاله ناقده لا يعز عليه هدم ما بنى

وتشييد سواء ، أو نثر ما نظم ونظم غيره . وأول مخزاريه كان المرحوم اسماعيل باشا صبرى وثانيهم خليل مطران الذى كان يقدمه على سواء ويخلص له في السر والعلانية وينزهه عن الغيرة والمزاحمة ويمتدح أنه إذا نظم « حلق بخياله الى جوار مال يكاد لا يلحق نفسه فيه » حافظ على متانة نظمه ونثره وعلى سعة معرفته بلغته وعلى سعة روايته التى لا يلحق به فيها لاحق كان أقل الشعراء والكتاب استثناء برأيه وأكثرهم تساؤلاً وسؤالاً واستفهاماً ، والأثر والاثنية بالادب أول دليل المقرب بالصناعة والجهل بالصناعة .

إذا لم يكن حافظ ممن ارتدوا فضيلة صبط النفس فكان يقول للأعور يا أعور بلا محاسنة ولا مصانعة فإنه كان شديد العناية بالانتقاد فانظر اليه وهو ينتقى الفاظه لينظم وعباراته للنثر تجده فيها الصائغ الذى يقلب جواهره ، وانظر اليه وهو ينتقى جملته وعشراءه محمد الحضيف الذى يبحث عن اللطافة والذكاء والاثنية فلو أنه خير بين معاشره أكار العالم ومعاشره الشيخ عبد العزيز البشرى ومحمد البابل لما تردد في نبد الاكار واختيار هذين العشيرين وأمثالهما ليرشح عن نفسه ما يكنه وليجد في هذه النكتة مظهر الذكاء والقطاة والطف ، وإذا ثارت نفسه لأمر استحال عليه أن يضبط جملتها ليجمال أو يصانع .

وإذا هو لم يوهب حب النظام والأناقة حتى شعره ونثره كان يكتبه على تنف من الاوراق تذوب بين أصابعه ، فإنه أوثق قوة الذاكرة حتى يستطيع أن ينشد :

علمى معى حيتما يعمت يقبضى صدري وحالة له ، لا بطن صندوق

إن كنت فى البيت كان العلم فيه معى أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق

فليس اذن من العجيب ألا يجدوا شعر حافظ بين أوراقه وليس من العجيب ألا يجدوا بين مخططات حافظ ورقاً فكل ما نظم حافظ كان مطبوعاً في ذهنه ، وكل ما حفظه حافظ كان مصوناً في ذاكرته ، والمحفوظ من نظمه هو القليل النادر كالمقاصد التى أملاها على صديقه محمد ابراهيم هلال فطبعتها في مجلدين وكالمقاصد التى نشرتها الصحف ، وأما ما نظم ولم ينشر — لأن نشره غير موقوف على بلاغته — فكثير ورواه قليلون لأنه كان يكتفى أن يرضى نفسه بنظم ما هو فيض منها وغفو السجية دون أى اهتمام بحفظه أو تدوينه ولا تأخذه بالسيئة هوادة ولا بالحسنة مصانعة خصم أو صديق . ولا أخشى أن أشبهه بالبحر ركوداً إذا لم يطب له الكلام أو الموضوع

نفذ كالسهم
فان القاطع .

موسيقىون
حافظ ووصفه
بليغ العبارة
كفتى الميزان

سواء من

هى فى شعر

يتحدث الى

نديفة وينفذ

و فى الحائين

تستأثر بمنزل

نفس شمس

على الاسلام

سعد زغلول

رك واحد

من اللفظ

التي أثبت

فصاخرها

لشعر من

وال الخطباء

حتى إذا ما تم

فاذا أطرب

فلا يستكبر

هدم ما بنى

الذي يعالج، وبالبحر فيضاً وتدفقاً اذا طاب له الكلام أو الموضوع الذي يعالجه .

• • •

عرفته في أواخر سنة ١٨٩٩ وقد جاء من السودان أو بالأحرى جىء به منه حيث كان ضابطاً في الطوبجية — المدافع — تهمة النامر ورفاقه الضباط النهائية عشرة مع الخديوي عباس باشا الثاني ومكانته سرا بعد افتتاح الخرطوم عرفته وشوق يقده لصاحب « الأهرام » كاتباً وشاعراً ليتولى عملاً بالأهرام ، لأن حافظاً ورفاقه أحبوا الى الاستبداع بطلب اللورد كرومر وكبل الدولة الانكليزية وكان يطلب من الخديوي فوق ذلك اعلان استنكار عمالهم والخديوي عاقل ويتردد فلما أحيلوا إلى المعاش اهتم الخديوي بأمرهم ليجدوا مرتزقهم .

وهذا ما أوصل حافظاً الى الخدمة بدار السكتب وكانت قبل هذه التسمية الحديثة تسمى المكتبة الخديوية لأن الخديوي اسماعيل أنشأها، ومع اهتمام الخديوي عباس بأمره التحق حافظ بالشيخ محمد عبده وأصدقائه كعبد زغلول باشا وقام أمين واللقاني وأمثاله لان حافظاً لم يؤت فضيلة ضبط النفس كما قلت فاطاع نفسه الى حيث مالت مزدرياً بمنفعته . وباستطاعني أن أقول إن أواصر الصداقة تمسكت بيننا وازدادت مع الايام تمسكنا فعرفت منه خوالج نفسه واطلعت على كل بيت نظمه وسطر كتبه قبل إداعته ونشره . ونعيب الكثيرون من أصحابه في ان يحملوه على التداوى من داء السكر فم يفلحوا ووقفوا الى ان اقنعه بالتداوى ولكني لم اوفق الى حله على الاستمرار لانه كان ملولاً نفوراً بطبعه .

أكتب اليوم هذه الكلمة عنه وأكاد أحس برور شخصيته روزاً يطبعها في كل ذهني كأنه مائل امامي ، وكان يلقاني كلما وقع نظري عليه في أواخر أيامه بهذه الكلمة : « لقد عشنا طويلاً وعمرنا . أملا نحس مني بدييب الفناء وقرب الموت »

إن حافظاً أحس بدييب الموت في جسمه قبل أن يصل اليه ففاجأه وهو ينتظره وذهب إلى ربه بحبيبة ناضرة وعين ناطرة

داود بركات

حافظ كما عرفته

لعل في أعناق بني أباطة واجباً كبيراً نحو الذي قال فيهم :

بني أباطة لا زالت دياركو أفق السدور وغاباً للمسنادر

فقد ملو قههم حافظ بمديحه الخالد ، وقد دهم من جميل شعره الرصين ، بما سوف
بقى على مر السنين . وليس فينا من لا يشعر نحو شاعر مصر الكبير بدين يتطلب
الوفاء ولكن شعوراً آخر يقعد بنا عنه هو : المعجز عن حسن الاداء .

ولكنني دعيت لتخليد ذكرى صديقي بعد أن هجرت الصحافة للفلاحة ، والطرس
إلى الفأس ، لا نترماً بالادب ، ولكه الملل والبأس ، وجئت اليوم متناقلاً ، بهمة
متداعية فائرة ، ألقى الدلو في الدلاء ، وأزاحم بمكني الادباء والشعراء ، تلبية
لداعي الوفاء .

عرفت حافظاً من ثلاثين عاماً ، يزورنا فيملاً بيوتنا هجة وبشبع فيها المرح
ويتصرف أبناء الأسرة وشبابها إلى معالجة الادب والرياضة العقلية والمفاصلة بين
الشعراء وتدوق السكات اللاذعة حلوة أو مرة ، ويرجع الفصل في ارتباطنا به للامام
الشيخ محمد عبده فقد كان صديقاً حميماً للمنفور له سليمان باشا أباطة أحد وزراء
المعارف السابقين ، وكان الباشا أدبياً كبيراً وشاعراً مجيداً . فأعجب حافظ به ، وافتن
هو شعر حافظ وأدبه . ووجد الشاعر في عميد أسرتنا ما يعجبو مثله له : الأدب
والشعر والجاه والوفاء وكرم الاخلاق . فلم لا يتعلق به وكى بالادب وحده صلة
بين الرجلين تجمع بينهما وتوثق بين قلوبهما العلاقة مع امتناع المنافسة ١٩

لقد والله سمعت حافظاً غير مرة ينشد بيتاً لسليمان باشا أباطة من قصيدة له في
رثاء أخيه المنفور له السيد باشا أباطة :

ولو أن إظلام الليالي من الاسى ووقع الخطوب السود ماطلع الفجر

ويقول وددت لو أن لي هذا البيت من الشعر يتصف ديوانى كله .

وممته يردد مع شديد الإعجاب قول الباشا في الفخر :

سيوف ثباتي في قراع الشدائد مجردها أيدي التجلر لا يدي

يقولون سالمين إن كنت ذا نهى وعزمي يقول الحزم قمع المعاندي

الذي بماله .

به به حب
هانية عشرة مع
شوق يقده
ورفاقه أحيلوا
من الخديوي
إلى المعاش

هذه التسمية
هتام الخديوي
ما وقام أمين
اطاع نفسه إلى
تمكنت بيننا
تظلمه وسطر
على التدلوي
ق إلى حله على

بروزاً يطبها
أواخر أيامه
الفناء وقرب

وهو ينتظره

د برلفا

ثم مات سليمان حمل صديقه الشاعر قيثارته يرسل من نغماتها أشجى عبارات
الأمى ويبكيه بقصائد تنفس خلالها الحزن الصادق ذا اللوعة المحرقة .
هل قرأت قوله :

أنى حلت أرى عليك ما آتيا فلمن أوجه فيك حسن عزائي؟
لبنيك أم لنوبك أم للكون أم للدهر أم للجماعة الجوزاء

« . »

لا تحملوه على الرقاب فقد كفى ما حملت من منة وعطاء
وذروا على نهر المدامع نغمه يسرى به للروضة القبيحة
تألف لو علمت به أعوادُه مذ لامسته لا ورفت للرأى

« . »

خلق كضوء البدر أو كالروض أو كالزهر أو كالخمر أو كالماء
وشمائل لو مازجت طبع الدجى ما بات يشكوه الحب النائي
ومناقب لو لا المهابة والتقى قلنا مناقب صاحب الاسراء
وعزائم فكانت تغل عزائم ال أحداث والايام والآء

« . »

شوقتنا للترب بمدك واشتهى فيه الإقامة واحد العذراء

« . »

وهل قرأت قوله :

أيها الثرى إلى م التمدى بعد هذا أنت غرثان صادي
أنت ثوى من مدمع كل يوم وتغذى من هذه الأجساد
قد جعلت الانام زادك في الدهر وقد آذن الورى بالنفاد
فالتس بعده الهجرة وردا وتزود من النجوم بزاد
لمت أدموك بالتراب ولكن بقدود الملاح والاجياد

الغلو السقيم ، ، ويشبه الدكتور تعزيتة « للأناطيين » بتعزيتة للإنجليز في فقد ملكتهم

ولست أدري لم يكون الأمر كذلك وقد حدثتُ القراء بنشأة ما كان بيننا من صلة ، ولم يُشبهها الدكتور طه بالإنجليز غفر الله له وأجدادنا عرب علموا الناس الوطنية والنبات والتضحية ، ولم نعبد اليوم ما كنا نخرمه بالأمس ، ولا حرمتنا اليوم ما كنا نعبده من دون الله ، ولا اتخذنا السياسة تحارة ؟ والسبب في هذا كله ما وحده في رثائه من الغلو ! فهل استكشف الدكتور شعراً عربياً له أو لغيره في الرثاء أو المدح خالياً من المبالغة والاغراق وهل أقدم الأمتلة أم أتوك القراء يبحثون ؟

أما ما يعجب به الدكتور طه ويحبه فهو رأيي للأستاذ « لطفي السيد بك » في الشاعرين الكبيرين فيقول في كتابه حافظ وشوقي : « كنت مرة عائداً مع الأستاذ لطفي السيد بعد أن حصرنا اجتماعاً لتحليل د كرى حافظ قبل أن يموت شوقي ، وكنا نتحدث في أمر الشاعرين فقال لطفي بك : لقد خدعني حافظ عن نفسه كما خدعني شوقي عنها ! كنت ألقى حافظاً أول عهده بالشعر وكان يسمعي كثيراً من شعره فلا يعجبني ، فقلت له ذات يوم : أرح نفسك من هذا العناء ، فم يخلقك الله لتكون شاعراً ! ولكنه لم يقبل نصحي وحسباً فعل ، فما زال يجهد ويكسح حتى أرغم الشعر على أن يدعى له وصح شاعراً ، وكنت شديد الإعجاب بشعر شوقي أقرؤه في لذة تكاد تشبه الفتنة وأثنى عليه كلما لقيته ، فما زال شوقي يكسل ويقصر في تعهد شعره حتى ساء صي شعره الأخير ! »

وأكتفي بأن احتكم للقراء في رأيي استاذنا لطفي بك وموافقة الدكتور طه عليه . فان الأجماع يقول غير ذلك ... يقول بضعف شعر حافظ في السنين الأخيرة من حياته ، أما شوقي فلم يدرك الضعف شعره ولا تطرق إليه الوهن وكل من قرأ قصة « مجنون ليلى » وقد أخرجها في آخر حياته يرى فيها البرهان الساطع ، والدليل الباصع القاطع . فما تلوتها مرة الا أخذتني هزة الطرب ونفوسة العجب ، واكبرت لغة العرب ، وشعرت بأن شوقي أراد أن تسهم كل اللغات أمام الضاد ، فتم له ما أراد !

وفي الحق لقد جعلت « مجنون ليلى » الكثيرين مثلي تكبر في عيونهم اللغة العربية

والشعر العربى القصصى ، وكنت أقرأ لهيجو وكوربيل وراسين ولامارتين ،
وأقرأ للشعراء الحديثين من الفرنسيين فتلسع فؤادى الغيرة والحسرة . وكنت أحسب
أن لغتنا تعجز عن المجازاة ، وتقف عن المبارزة ، ولا تصل لما فى الفرنسية وشعرها
القصصى من روعة وحلاوة وملاوة وعدوبة ومرونة حتى قرأت « مجنون ليلى »
فغيرت اعتقادى وامتلات نفسى غبطة .

وقد حدثت حافظاً عن « مجنون ليلى » حبّذا واثى ، وكنت فى العادة اذا ما
أطلقت المديح فى شعر شوقي يشور محاولاً أن ينشئ عن الشاء نقده المر وقد رته على
تخريج اللفظ وتشويه المعنى . أما رواية « مجنون ليلى » فقد سلم معى أنها معجزة
المعجزات وآية الآيات .

فليسمح لى الدكتور طه المعجب بالفيلسوف ديكارت القائل بنظرية الشك
حتى يصل الى الحقيقة ، ان أشك فى اساده هذا الزأى لاستادنا الكبير
لطفى السيد بك .

لقد كننا نعجب بشعر حافظ منذ كسا أطقالا ثم يافعين . ونرى فيه رعباً من
كبار الزعماء الوطنيين المحاصرين ، تنفى بشعره ونقصه على سائر الشعراء لأنه كان
يصرب على التواكل واليأس ويهيب بالشباب وينهب العواطف ويحفر الهمم ، ويكافح
اليأس والتواكل ويدعو للجهاد والامل .

وكان شوقي فى منصبه الرسمى لا يستطيع أن يخوض عمار السياسة بحرية وصراحة
فانهرد حافظ يستولى على القلوب وأحرز مكانة لا تدانيها مكانة .

فأى أديب لم يتغنّ بقصيده فى جميع ضروب الشعر ، وأى أديب لم يهرع إلى
مجامعه يتدفق فى الحفل بصوته الجمهورى الممتع والقائه البديع الخلاب الذى كان
يدوى بين الجماهير فيصم سحراً وغامة جديدين الى ديباجته الساحرة القفحة ؟
وان عهدنا بحافظ لقرب وشعره مازال طالقاً بالاذهان ، فلست أحب أن أعيد
عليكم قصائده الخالدة فى البارودى ، وعثمان أباطة ، والاستاذ الامام ، وقائم أمين ،
وصبرى ، وعلى يوسف ، والمولى يحيى ، والاخيرة خمرية بذّ فيها أبانواس ولم يبلغ
شأوه فيها أحد :

أوشك الديك أن يصبح ونفسى بين همّ وبين غنّ وحسن
يا غلام الدمام والكاس والطا س وهتي لنا مكاناً كأمر

ذ فى فقد
فنان من صلة ،
اس الوطنية
يوم ما كنا
فله ما وحده
ه فى الزناء
رك القراء
سيد بك
عائداً مع
أن يموت
لفظ عن
معنى كثيراً
العناء ،
زال بجهد
د الاعجاب
ال شوقي
كتور طه
ن الأخيرة
كل من قرأ
ع ، والدليل
واكبرت
الضاد ،

لغة العربية

واطلق الشمس من غياهب هذا الد
وأذن الصبح أن يلوح لعيني
وادعُ ندمان خلوق واثقناسي
واسقنا يا غلامُ حتى ترانا
خرة قبل إنهم عصروها
مذ رآها فتى العزيز مناماً
أعقبته الخلاص من بعد ضيق
وحبسه المعود من بعد نحس

« . »

وقد نزع في الجزء الثاني والثالث من ديوانه إلى الاحتماعيات فاهتر لشعره
العالم العربي كله وتبوا المكان اللائق به تحت الشمس وُحد بعض الناس يفاضلون
بينه وبين شوقي ، وتلك مرتبة لم ينلها قبله أحد .

هل قرأت « غادة اليابان » ؟

لا تلم صكفي إذا الصيفُ نيا صح منى العزم والدهر أبي
رب ساع مبصر في سعيه أخطأ التوفيق فيما طلبا

« . »

وفي « الامبراطورة أوجيني » :

أين يوم القتال يلوبة التاج ويشمس ذلك المهرجان ؟
أين مجرى القتال أين عميت المال أين العزيز ذو السلطان ؟

« . »

وفي « الزوجية » :

حطمتُ البراع فلا تعجبي وعفتُ اليان فلا تعمي
فما أنت يا مصر داو الأديب ولا أنت بالبلد الطيب

« . »

وفي « فيكتور هيجو » :

أعجبتُ كاد يعلو نجمه في سماء الشعر نجم العربي

صافح العلياء فيها والتقى بالمعري فوق هام الشهب

« . »

وفي « دنشواي » :

أيها القائمون بالامر فينا هل نسيتم ولائنا والوداد
خففوا جيشكم وناموا هنيئاً واتفوا صيدكم وجوبوا البلاد
وإذا اعوزتكم ذات طوق بين تلك الرئي فصيدوا العباد

« . »

أما قصائده في تأييد الشيخ محمد عبده ومصطفى كامل وسامي البارودي وفي عزل السلطان عبد الحميد فقد جاوزت حد الإبداع وجرت مجرى المثل . فعظم خطرهم ، وثائق مجمه ، ووجه خصمه وأصبح شاعر الليل غير مدافع .

وكان إذا خلوا به يحمل على شوقي وشعره ، ولكنه لا يتنازل لقد غيره . ولا يسلّم له بالامامة ولا يعترف له بالزمامة . وكان يحب كبير الشعراء خليل مطران ويخلص له وطالما سمعته يطنب في مدحه ، ويذكر الاساتذة محرمات والكاشف ونسيماً بالخير ، ولا يذكر بالخير الكاتبين المازني والعقاد وله فيهما وفي الدكتور طه حسين رأي معروف .

وكان فيما ينشره عفاً اللسان جمّ الأدب ، ولكنه كان هجاء شديدة القسوة على خصومه فيما لا يمتدّ للشر . هجا المرحوم سعد زغلول باشا متهماً إياه بالأنانية ومغرياً به بممو الخديوي السابق فقال :

أنا أنا ! منه كل يوم لها صدّي بيننا يرت

أدرك أنا وهي في صباها ان لم تقل نحن ... قال نحن !

وغضب على المرحوم السيد توفيق فقال :

وليلتي بت بها ساهراً أجر ذيل النعش والتعجر

حتى ظننت وليلتي عجب أني بيت السيد ال

وحمل على شاعرين كبيرين فقال :

لي عدوان لن ينالنا غنى ولو نامت الخطوب

مخبت كله ثقب ومدمن كله عيوب

وقال يسب كاتباً من أكبر كتاب مصر :

أخس من دب على ظهرها ودبت الناس على ظهره

وقال بهجوني في عفر يتي ويدح خادمي أحمد :

إذا جئتكم طالبا لقمة رأيت مظاهرة قادمة

ألا برك الله في أحمد ولعنة الله على الخادمة

ثم سأل ما اسم هذه الفتاة ؟ قالوا فاطمة ، قال حس ! فليكن البيت هكذا :

ألا برك الله في أحمد ولعنة الله على فاطمة

وهكذا كما نتمتع بحديثه الشهي ونقضى معه أياماً لن تعود غفرله الله ، وطيب
نراه ، وجعل الجنة مثواه

ابراهيم دروي أباط

•••••

حافظ الرجل وحافظ الشاعر

قال كارليل الفيلسوف الانجليزي العظيم في كتابه (الأبطال وعبادة الأبطال) :
الرجل العظيم لا يزال المقتد الوحيد لعصره من مهاوى الفناء والعدم ، وهو الشعلة
الأولى التي تمتد إلى سائر المواد فتشعلها .

والاخلاص العميق البالغ البعيد المسدى الكريم في أصله هو أول حواص
الرجل العظيم سواء أكان إلهاً أم نبياً أم شاعراً أم كاتباً أم ملكاً ، ونحن نسمى
هذا الرجل رسولا . فهو رسول أرسل اليه من العالم المجهول الغير المحدود برسائله .
فلما أن نسميه شاعراً أو نبياً أو إلهاً إذ ليس هناك فرق كبير بين النبي والشاعر ، فهما
في الأصل واحد . فكلمة Vates في اللاتينية معناها « نبي » ومعناها « شاعر » .
وكل ما في الامر ان النبي قد تناول ذلك السرّ الالهي من الجانب الأخلاق كالخير
والشر والمخطور والمباح ، والشاعر قد تناوله من جانب الجمال . فالأول يوصي اليه
بما يجب عمله ، والثاني يكشف لنا عن مواضع حبنا ومرونا ، ولكنهما في حقيقتهما
كجبرتين متداخلتين لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر .

هذا مجمل ما قاله هذا الفيلسوف عن العظيم والشاعر ، وهذا ما أراه حديراً بأن
أصف به حافظ إبراهيم الرجل العظيم والشاعر الفذ كما وصفت به من قبل لورد
بيرون الشاعر الانجليزى العظيم .

أما حافظ الرجل وحافظ الشاعر فقد يتعذر علينا ان نفصل أحدهما عن الآخر ،
وهذا شأن كل رجل عظيم فقد تضافى شخصيته العظيمة بألوانها الزاهية على
كل شئ حوله وتصبغ شعره بصبغتها الخاصة وتطبعه بطابعها المميز .
فلا نستطيع رؤية أحدهما جيداً عن الآخر ، بل لا يمكن فهم أحدهما إلا إذا
فهمنا الآخر . ولكنى أرى ان شخصية حافظ الرجل هى شخصية حافظ الشاعر ،
ولا ألقى هذا الكلام على عواهنه ، ولكنى أقوله وأنا واثق منه كل الثقة ، مثبت
منه تمام التثبت ، معتمداً على ما أعرفه عن الرجل نفسه وما انطوت عليه نفسه
العالية من نبيل ومعو وفضائل .

حافظ أكثر شعرائنا الحديثين اتصالاً نهضتنا : فقد عمل على اذكائها بقلبه
وبأنه وروحه وهاله ، لم يتطرق اليه اليأس ولم يشك أو يتامل شأن الرجل الضعيف ،
بل ثبت في ميدان الجهاد ثبوت الأبطال البواسل يذود عن وطنه الذى أحبه
وتفانى في حبه ، والذى من أجله عاش وفى سبيله مات بعد أن بعث فينا
روح الأمل وضرب لنا مثلاً صالحاً للجهاد الوطنى .

لم يكن حافظ مريض الأعصاب أو ضعيف الإرادة فيثور ويهيج ، بل
كان قوى العود صلب القساء عظيم الصبر كثير الأناة فاستقل حملة الفادح في
ثبات وصمت وواصل جهاده المفضى الطويل بين عواصف عاتية لم تقو على
زحزحته أو الرجوع به الى الوراء ، ووسط بحار هائجة لم يتهيبها أو يفرق منها بل
اندفع فيها وسار حتى أدى رسالته كاملة وبلغها إلى بنى وطنه وفصلها لهم تفصيلاً

لم يعرف حافظ الاثرة egoism قط — والاثرة شر عيوب الرجل —
بل كان في كل حياته حلوها ومرها كريم الخلق رضى النفس حلوا الحديث يستهوى
السامع ويأمره ويسر الناظر فلا يود أن يتركه ، ولأنه كان بجانب ذلك عظيماً مهيباً
محبوباً : فهو عظيم في بساطته كما أنه بسيط في عظمته ، وربما كانت هذه ميزة تفرّد
بها حافظ بين شعرائنا المصريين ، فتجد في جانبه أنساً وفي الاستماع إليه متعة ولذة .

عيوب !

ظهور !

قادمة !

الطادمة !

ت هكذا :

فاطمة !

له الله ، وطيب

أبنا

ذة الأبطال :

، وهو الشعله

أول خواص

، ونحن نسمى

دود رسالته .

والشاعر ، فيها

ما « شاعر » .

« خلاق كالخير

، يوصى الينا

ما في حقيقتها

أما عيوبه فلا إخال أحداً يعرف عيباً لحافظ إلا اسرافه الكثير — إن كان هذا الاسراف عيباً — ومهما كانت عيوبه فإن حياته وما أتى عليها من صروف وما تلونت به من ألوان البؤس والفاقة ، ونفسه وما انطوت عليه من نبل وطهارة ، وطبيعته وما امتزجت به من عناصر الطيبة والوداعة ، زعيمة بمحوها وكفيلة بإظهارها حافظ في أحسن صورة وفي أبهى منظر .

لقد كانت في حافظ قوة غريبة تدفعه إلى حب الآخرين وتسبب في استهوى الآخرين إلى حبه حتى يمكننا — بدون اعتساف في القول — أن نعد حافظاً أحب الشعراء إلينا ، لأننا إذا أحببنا حافظاً فإننا نقوى حبنا للطيبة والوداعة ونزيد تقديراً لصفاء الطبيعة الانسانية وطهرها ، زد على ذلك أننا نحنا حافظاً بحب شعره معه ، وشعره جزءاً من نفسه أو هو نفسه .

شعره

وما شعر حافظ إلا روحه تقمصت روح النهضة وبرزت لاهيون في أبدع قوالب الشعر وأعجب صور ، فلم يصدر شعره عن ملكة خاصة فيه بل كان نتيجة حتمية عامة لذهن طبيعى جبار ، ومزاج قوى حاد . أفصح عن نفسه بهذه الطريقة الشعرية الرائعة ، لذلك جاء شعره صادقاً كل الصدق معبراً أفصح التعبير عن ذلك المزاج الحساس وتلك النفس المتألمة لوطنها الدليل ، فلم يكن أوهاماً ولا تخيلات بل كان شيئاً شعر به صاحبه وجاش في خاطره فألمب وجدانه فأفرغه في ذلك القالب الشعرى الخلاب . فالصدق والاخلاص وحب الحق هي الصفات التي تميز حافظاً عن معظم الشعراء المعاصرين وهي التي صبغت شعره بصبغة ثابتة لن تزول ، وطبعته بطابع الخلود . فوقاته إذن مأساة الاخلاص .

ويظهر لى من أشعاره أن الرجل كان له عقل قوى ، وأعصاب سليمة ، وله قلب إنسان يخفق بين جوانب صدره ، وأنتك لتسمع خفقاته في كل أشعاره ، وأنه لم يحس مريض الشعور أو ضعيف الحس ، بل كانت له عين ترى ، وقلب يشعر ، ولسان يفصح .

انظر إليه يذكر بلاده وينمى على مواطنيه التفكك وضعف الاخلاق والاسراف في اللهو واللعب في قصيدته « غادة اليابان » :

أنا لولا أن لي من أمي خادلاً ما بتُ أشكو الشؤباً
أمة قد فت في ساعدها بفقشها الأهل وحب الغربا
تمشق الألقاب في غير العلا وتقدى بالنفوس الرنبا
وهي والأحداث تستهدفها تمشق اللهور وتهوى الطربا
لا تبالي لعب القوم بها أم بها صرف البالي لعبا

• • •

وابك لتحد معظم شعره قد وقفه على الافصاح عن أمانى بلاده ، وإنك لتحس
وأنت تقرأ هذا الشعر بأنات الشاعر المتواصلة وزفراته المتصاعدة حزناً على وطنه
المعذب . فشعره قد صيغ من هذه الآلام ، وزمراته قد امتزجت بأعين الشعب
كثيراً . وقضى لك أن يجعل العهد الذي عاش فيه حائط عهد آلام وجهاد ونصب
وجلاد وحرب سجال بين العدو المغتصب والشعب الوادع المطمئن . إنك تحس
وأنت تقرأ شعره عن حادثة دنشواي المشهومة بأنفاس الشاعر الملتهية وهي تتحرق
وجداً على قتل الأبرياء ودموعه تهيم على حديه بكاء على نبي وطنه المعذنين وهو
يتساءل في حسرة وأسى عن سبب ذلك التعذيب الشنيع الذي يصوره في صورة
تستفز الشهور وتثير جوامد النفوس وتستدر العبرات من هول المصائب وفداحة
الخطب إذ يقول :

أحسنوا القتل إن ضنتم بفقو أفصاصاً أردتم أم صكياداً !
أحسنوا القتل إن ضنتم بفقو أنقوساً أصبتمو أم جاداً !
ليت شعري أنلك محكمة التفت نيش مادت أم عهد نيرون طاداً !

ويقول أيضاً في « رضع آخر مخاطباً العميد البريطاني :

جبلدوا ولو منيبتهم لتعلقوا بحبال من شفقوا ولم يتهيبوا
شفقوا ولو منحو الخيال لاهلوا بلطى سباط الجالدين ورهبوا
يتحسدون على المات وكأسه بين الشفاه وطعمه لا يعذب !

ثم تراه وهو يبت روح الثورة في نفوس الشبان ويحفزهم إلى المطالبة بحقوقهم

— إن كان
من صروف
ويل وطهارة ،
كفيلة باظهار

لا آخرين الى
ب الشعراء
فتساقى صفاء
مره معه ،

أبدع قوالب
حنمية طامة
بقفة الشعرية
ذلك المزاج
الكان شيئاً
رى الخلاب .

ظم الشعراء
الخلود .

، وله قلب
، وانه لم
ب يشعر ،

والامراف

ويذكرهم بمجدهم الثالث وتاريخهم المجيد حين يقول :

عارى على ابن النيل سباق الورد مهما تقلب دهره أن يُبقا
فتدفقوا حُججاً وصونوا نيلكم فلكم أفاض عليكم وتدفقاً
ومن البلية أن تباع وتشترى مصر وما فيها وأن لا تنطقاً !
وكذلك يقول :

رجال الفساد المأمول أن بلادكم تناشدكم بالله أن تتذكروا
فكونوا رجالاً طاملين أعزة وصونوا حي أوطانكم تتعزروا

وإذا كانت حياة حافظ قطعة من قلب الطبيعة الخالدة فان شعره قيثارة
تلك الطبيعة الحزينة الباكية تشدو بآلام وطنه وأشجانه وتنغى بمجد مصر وعزها
القابر فتبعث في النفوس همه وتوقظ فيها حلول الأمانى .

وقد وهبه الله قوة وبراعة فائقتين في تصوير الأشياء تصويراً رائعاً ، فلم يكن
ينظر إليها من هذا الجانب أو من ذاك ، بل كان ينفذ الى لها وصميمها وينظر إليها
بعين نافذة شاملة فسرطان ما تدوب تلك الأشياء وتتحلل أمامه وتتكشف له
دقائق سرارها ، فيعمل فيها ريشته العجيبة ويصورها أبدع تصوير ... فما أبدع
تلك الأبيات التي قالها في وصف زلزال صقلية ، فقد تعد هذه القصيدة من غرر
الشعر سواء العربي أم الغربي ، فقد كان حافظ في هذه القصيدة صادقاً كل الصدق ،
دقيقاً في تصويره كل الدقة ، شاملاً في وصفه كل الشمول ، أضاف إلى ذلك جمال الالفاظ
وجرالتها ، وإحكام سبك المعانى الذي لا يتنى لكثير من الشعراء ، إذ يقول :

أين رجيو وأين ما كان فيها من مغائر مأهولة وغواني ؟
عوجلت مثل أختها ودهاها ما دهاها من ذلك الثوراني
رب طفل قد ساخ في باطن الأرض من ينادى : أمي ! أبى ! أدركاني !
وفتاة هيفاء تمشوى على الجبل رتعانى من حره ما تعانى
وأب ذاهل الى النار يمشى مستميتاً تمتد منه اليدان
باحثاً عن بناته وبنيه مسرع الخطو مستطير الجنان

تأكل النار منه لا هو ناج من لظاها ولا اللظى عنه واني
مغصت الأرض ، أنعم البحر مما طوياه من هذه الابدان
وشكا الموت للنسور شكاة رددتها النصور للحياتان
اسرنا في اللحوم قرأ ونهشاً ثم باننا من كظة يشكون
لا رمى الله ساكن القم الشم ولا حاط ساكن القبعان

الرياء

وإن كان الصدق لارماً للشاعر والشعر في جميع فنونه فانه أشد لزوماً في الرياء
بنوع خاص . وإذا عرفنا أن الصدق في حافظ كان عنصراً من عناصر طبيعته فلا
غرابة إن جاءت مرثيته كلها آيات رائعات ودرراً غوالي تسمو بصاحبها إلى مستوى
شعراء المرأى العالمين . وان الذي يقرأ مرثيته المشهورة في صدقه الامام
الشيخ محمد عبده يتبين صدق ما أقول ويشعر بلوعة الصديق الذي فقد صديقه
الوفى الأمين :

سلام على الاسلام بعد محمد سلام على أيمه النضرات
على الدين والدنيا ، على العلم والحجى على البر والتقوى ، على الحسنات
لقد كنت أخشى مادي الموت قبله فأصبحت أخشى أن تطول حياتي
فوالهني والقبر بينى وبينه على نظرة من تلك النظرات
كذلك شأنه في رثائه لصديقه قاسم أمين ولمصطفى كامل ، ففي هذه القصائد
روعة وجلالة وتصوير قوى ساحر بأحد بلب القاريء أو السامع ويستهو
حسه وخياله .

وصفة القول ان شاعرية حافظ كانت مزاجاً من الابتكار والتقليد : فقد قرأ
حافظ أشعار ابن الرومي ، وتأثر كثيراً بشعر بشار بن برد ومسلم بن الوليد ، وحفظ
كثيراً من أشعار البحترى وأبي تمام والمتنبي والمعري ، فجاءت دراسته هذه
لأشعار العرب القدامى بثروة عظيمة له لا يشك في قيمتها . أضف إلى ذلك دراسته
للأدب الفرنسي وما في الأدب الفرنسي من جمال وحسن ورواء ظهر أثره في

يُصفا
تدفقا
نطقا

تذكروا
تحرروا

شعره قيثارة
مصر وعزها

تأماً ، فلم يكن
ها ويظهر اليها
وتتكشف له

... فما أبدع
يمنة من غرر
كل الصدق ،
جمال الالفاظ
، إذ يقول :

وغواني ؟

الثوران

دركاني ا

ما تعانى

اليدان

الجنان

شعره ، لا في روح التعبير وحده بل تعداه إلى المعاني .

مسكين حافظ ! ما أنعس أيامك التي قضيتها وما أشقاها ! إن كنت لأقبت
منا جحوداً في حياتك فلن تعدم منا وفاء بعد مماتك . إن امتك سيظل مذكوراً
بعد أن كتب في ثبوت الخالدين . فلتنم ولتقر عيماً بين صحبك الأبرار ، فإن معبد
شهرتك الخالدة يطل اليوم على قبرك .

وما شهرتك إلا روحك التي ستعيش بعدك في قلوبنا ؟

نظمى خليل

حافظ

فنان كما يجب

الجمال في الحياة كثير : جمال الطبيعة ، وجمال الابد ، وجمال الألم .
والحياة في غموضها وإبهامها مظهر من مظاهر الجمال الرائع في الوجود ، والانسان
— مذ كان — مدفوع إلى تصوير هذا الجمال بوحى روحى من احساسه في
أسلوب يشق عن مبلغ هذا الاحساس ونوعه .
فكان الموسيقى والشاعر المصور ومن الى هؤلاء الذين صفت عقولهم حتى
صارت قلوباً .

وهؤلاء رسل الجمال في الحياة ، وكما اختلفت رسالاتهم في الفن قد تولدت أساليبهم
بلون الشعور الذي حفزهم إلى الرمز والتعبير .

فترى مصوراً مثلاً قد ملكه جمال الطبيعة فقام يدعو لعبادة هذا الآله في
بلاغة من الصمت الناطق ، ثم ترى مصوراً آخر قد حيرته معاني الحياة ودقائق
الوجود فسجد لجبروت هذا السر الرهيب ثم انبرى يصور هذه المعاني ويكشف عن
تلك الدقائق بريشة العاطفة ومثعل الخيال .

وهكذا كان الشاعر ، وهكذا يجب أن يكون : يجب أن يقف كل شاعر في محراب
من محاريب الحياة يسبح لآله واحد من آلهة الجمال ، ويهتف بما يوحى اليه

من سماء هذا المعبود . يجب أن يبرز في ناحية واحدة من نواحي الشعر تطنى على كل النواحي وتميزه عن غيره من الشعراء ، أى أن تكون له قيثارة واحدة يحملها دائماً ليعزف عليها كلما شاقه العزف حتى يصل بفنه إلى ما وراء الخلود .
... وهكذا كان حافظ .

عاد من السودان في شوق ولهفة الى مصر فرأى راية التيمس ترفرف على النيل وتداعبها نسائم السيادة والسلطان أحياناً ، تزجها عواصف الطمع والاستبداد ، ورأى تحت هذه الراية أمة مكبلة بالأغلال الثقيلة مستكينة لهذه القيود تغط في نومها غطيط الهادىء في سرر اليأس ووسائد القسوط . وكلما أحست وطأة السلاسل فتحت عينها وعولت على النهوض فتخونها قدماها وتنتثر في حباتها ويخلق فوق جفنها طائر النذير والوعيد من وراء البحار فينقلهما ويغاثهما بالنوم مرة أخرى .

هذا المنظر دفع بحافظ الى ربوة من الهم والسكآنة على ضفة النيل ، وهناك رمى في تيار النهر بالدفء الحزيل الذي كان يضرب عليه وانتزع من بقايا قلبه المحطم قيثارة الوطنية والاجتماع . وأخذ يغنى فوق تلك الربوة قصيد الألم ونشيد الأنين ، وجعل يرسل شعره ثائراً صريحاً في ثورته ، ثائراً على الأخلاق المصرية والرجولة المصرية وفي ثورته نصيحة وإخلاص . وهل ترى أدعى إلى ثورة الشاعر الاجتماعى من أن يرى أبناء شعبه يهيمون بالألقاب والشهرة العمياء وموالاة المستعمر المابث وكل هذه المظاهر التي ما تزال بيننا براءة خادعة الى ما بعد حافظ . وهو هنا يرمى في شعره الى الاغراض السامية ويصور المثل العليا ويكشف عنها في شجاعة فنية وموسيقية بارعة ، ثائراً في وجه المعتصب وهي ثورة الضعيف المبحوح وفي بحثة صوته وضعفه نبرات المؤمن بحقه المصليب . أقرأ شعره الآن فأتخيله وكأننى أسمع منه الأنين المرّ وأكاد أرى جراح قلبه والدم يسيل على جوانبها وهو واقف الى جانب مصر العاجزة السائمة ليوقلها بنحيبه ويمد بيدها الموثقة في ضراعة الى المعتصب الجبار رجاء ان يرحم ذلها وضعفها ويفك أغلالها ثم يدعها تضمد جراحها بنفسها . وقد يشير إلى القوة الكامنة في هذا الضعف ، والثورة الجارفة التي لا بد ان يخلقها القيد والاستعباد .

هذه الصور وغيرها تجدها حية في قصائده الخالدة — دنشواى — مصر فوق الجميع — غادة اليابان — وأشبابها .

« »

هذه هي رسالة حافظ الشاعر التي دما إليها ووقف فنه على خدمتها طول حياته ، ولعله كان لا يصلح الا رسول وطنية واجتماع . فلقد حاول أن يجعل فنه باقة من مختلف الازهار ، ولكن شاءت طبيعته غير ما أراد . ولعمري ان الجبال المرء الذي يشع من زهرة واحدة أبلغ تأثيراً في النفس من جمال حائر بين مجموعة زهرات . فهو حيناً نظم في الغزل والمدح والخر لم يكن فيه — على قلته — الا مقلداً دفعته رياح تقليدية من جنوب العصر . عرب (البؤساء) وكتب (ليالى سطيح) فحده الفن فلم يوفق في أسلوبه ، وإن كان قد وفق في الغرض وأحسن القصد لأنه لم يكن الا شاعراً وشاعراً اجتماعياً فحسب . ولا ريب أنه في كتابته هذا وتعريفه ذلك كان مدفوعاً بالنزعة الاجتماعية المتركة في طبيعته .

« »

بقي لنا أن نتساءل — ولابد أن نتساءل بعد الذي قررناه — كيف ارتفع حافظ بمرائيه الى درجة من الدقة والفخامة تكاد تعدل مرأى أهل الشعراء الذين هتف بنبوغهم الزمن في أبهى عصور الأدب العربي ؟

لا غرابة ولا عجب ، فهو إذ يرى إنما ينظم أنات الشعب المنفجوع في عظيم قدم نفسه قرباناً لآلهة الجهاد والتضحية ، أو مصلح كان يوقد عقله لئير الطريق التي تظللها أشجار التقدم والنهوض . فليس غريباً إذن أن يألم حافظ وأن يرسل آهاته من أعماق قلبه الذي أذابه حب وطنه فتأني هذه الآهات فناً شائعاً رقيقاً — رثى محمد عبده — سعد زغلول — قاسم أمين — وغيرهم من رجالات نهضتنا فكان يرى محمد عبده لأنه يبكي محمد عبده كما يبكي الشعب ، وهكذا لم يضرب على نغمة فائرة واحدة ، وإنما جاء شعره صدى لآحاساسه المختلف ولاحاساس الأمة نحو كل رجل وهذه هي القوة . وهذا هو الفن كما يجب وكما كان ؟

المهرى مصطفى

مختارات

من شعر حافظ

للسم والوطن

ما لي أرى الأكهام لا تُفَنِّحُ والروض لا يزكو ولا يَنفَحُ
 والطير لا تلهو بتدويمها في مَلِكِيهَا الواسع أو تصدَحُ
 والنيل لا ترقصُ أمواههُ قرَحى ولا يجرى بها الأبطحُ
 والشمس لا تُشرقُ وضائِعَةً بجلاهمومِ الصدر أو تَنزَحُ
 والبدر لا يَبْدُو على قعرِهِ من بساتين الخمر ما يقرحُ
 والنجم لا يَزْهَرُ في أفقِهِ كآته في غمرِهِ يَسْبَحُ
 ألم يَجِشْها نبأ جافنا بأن مِصراً حُرَّةً تَمْرَحُ
 أصبغتُ لا أدري على خبيرةٍ أجدتُ الأيامُ أم تَمزحُ
 أموقفٌ للجدِّ نجارةُ أم ذاك للأهلى بنا مَسْرَحُ
 الملحُ لاستقلالنا لمعةً في حالِكِ الشكِّ فاستروحُ
 وتطمسُ الظلمةُ آثارها فأنثنى أنصكر بما الملحُ
 قد حارتِ الأفهامُ في أمرِهِ إن لَمَحُوا بالقصديرِ أو صرَّحُوا

معبر الحب

هَوَيْنَا فَأَهْنَأْنَا كَمَا هَانِ قَيْرُنَا ولكننا زدنا مع الحبِّ شؤدَدَا
 وما حكمتُ أشواقنا في نفوسنا بأيسرٍ من حُكْمِ المباحةِ والنَدَى
 نفوسٌ لها بين الجنوبِ منازلٌ بتناهاتِ الشقي واختارها الحبُّ مَعْبَدَا

طول حياته ،
 فنه باقة من
 الفرد الذي
 زهرات .
 لا مقلداً دفعته
 (طبع) فخلده
 لقد لا له لم
 وتعريفه ذلك

ارتفع حافظ
 الذين هتف

في عظيم قدم
 الطريق التي
 سل آهاته من
 رأى محمد
 فكان يرى
 على نعمة فائرة
 نحو كل رجل

يرى مصطفى

سجن الفضيلة

نعمن بنعمى واشقىنى
خلال زلن بخصب النفوس
تعودن منى إباء الكرم
وعودتهن زال الخطوب
إذا ما هوت بليل الشباب
فازلت أرح في قدتهن
الى أن تولي زمان الشباب
فيا نفس إن كنت لا توفين
فهذي الفضيلة سجن النفوس
فبالينهن
فرويتهن
وصبر الحليم ونية القيني
فما ينثن وما أثق
أهبن بعزمي فنهبن
ويمرحن منى بروض جنى
وأوشك عودى أن ينحنى
عمقود أمرك فاستيقنى
وانتر الجديرة أن تسجنى

الربيا الضائعة

لم يبق من الدنيا بأيدينا
كتبنا قلادة جيد الدهر فانقرمت
كانت مسازلنا في العز شاحمة
وكان أقصى منى نهر المجر لو
والشهب لو أنها كانت مسخرة
فلم نزل وصروف الدهر تومقنا
حتى غدونا ولا جاه ولا شيب
الابقية دمع في مآقينا
وفي عيني العلى كنا رباحينا
لا تفرق الشمس إلا في مآقينا
من مالم مزجت أقداح ساقينا
لرجم من كان يبدو من أادينا
شزراً وتخدعنا الدنيا وتلهينا
ولا صديق ولا خيل يواسينا

الى الامبراطورة أرميني

(عند قدميها الى مصر بعد ذوال ملكها)

أين يوم القنال يربة النا
أين مجرى القنال أين عبت
جـ ويا شمس ذلك المهرجان
مالي؟ أين العزيز ذو السلطان؟

أين هادون مصر ؟ أين أبو
أين ليت الجزيرة ابن علي
أين ذا القصر بالجزيرة بحري
فيه للنحاس كوكب مفرع السبي
قد جرى النيل تحت مخشوع
كنت بالأمس جنة الحور ياقه
خطر الليث في فنائك ياقه
وعوى الذئب في نواحيك ياقه
وحباك الزوار بالمال ياقه
كنت تغطي فالك اليوم تغطي
إن أطاقت بك الخطوب فهذي
رُبَّ باني ناي ورب بناء
تلك حال الابوان يارب التنا
قد طواه الردى ولو كان حيا
وتولت حراسة الموكب الأمد
إن يكن غاب عن جيبك تاج
فلقد زانك المشيب بتاج
ذاك من صنعة الأنام وهذا
كنت بالأمس ضيفة عند ملك
واعذرنا على القصور ، كلانا

أشبال رب القصور رب القياد
واهب الألف مكرم الضيفان
فيه أرزاقنا ومحبو الأمان
ر ، والسعد كوكب متواني
وانكسار وهابه التفتان
ر فأصبحت جنة الحيوان
ر وقد كنت مسرحا للحسان
ر وقد كنت معقلا لسان
ر وقد كنت مصدر الاحسان
أين بانيك ؟ أين رب المكان ؟
سنة الكون من قديم الزمان
اسلمته النوى إلى غير باني
ج ، فا حال صاحب الابوان ؟
لمشي في ركابك الثقلان
سنى نجوم السماء واليران
كان بالغرب اشرف التيجان
لا يدانيه في الجلال مداني
من صنيع المهيمن الديان
فازلي اليوم ضيفة في خان
غيرته طواري الحدائق

(١) الليل والنهار (٢) الانس والجن

ويا لبنى
وأظها نى
القسي
أشلى
نى
نى
ينحنى
فاستبقنى
تسجنى

مآقينا
يا رباحينا
فى مقابنا
ساقينا
نأادينا
وتلهينا
بواسينا

المهرجان
سلطان

حادثة دشتواي

أيها القائمون بالأمر فينا
 خففوا جيشكم ، وناموا هنيئاً
 وإذا أعوزتكمو ذات طوق
 إنما نحن والحام سوا
 لا تظنوا بنا العقوق ولكن
 لا تقيدوا (١) من أمر بقتيل
 جاء جهائنا بأمر وجئتم
 أحسنوا القتل إن ضننتم بعفور
 أحسنوا القتل إن ضننتم بعفور
 ليت شمرى أنلك محكمة الله
 هل نسيتم ولائنا والوداد ؟
 وابتغوا صيدكم ، وجوبوا البلاد ؟
 بين تلك الرثى ، فصيدوا المباد ؟
 لم تفادروا أطواقنا الأجياد ؟
 أرشدونا إذا ضللتنا الرشاد ؟
 صادت الشمس نفسه حين صادنا
 ضعفت ضعفيه قسوة واشتدادنا
 أقصاصاً أردنتم أم حكياد ؟
 أنقوساً أصبتم أم جداد ؟
 تيسر عادت أم عهد نبرون عاد ؟

« . »

أيها المدعى العمومي مهلاً
 قد ضمننا لك القضاء بمصر
 فإذا ما جلست للحكم فاذكر
 بعض هذا فقد بلغت المراد ؟
 وضمننا لنجلك الإسماعاد ؟
 عهد مصر فقد شفيت الفؤاد ؟

« . »

لا جرى النيل في نواحيك يامه
 أنت أنبت ذلك النبات يامه
 أنت أنبت ناعقاً قام بالأم
 إيه يا مدرة القضاء ويا من
 أنت جلادنا فلا تفسدنا
 سر ، ولا جادك الحيا حيث جاد ؟
 سر ، فأضحي عليك شوقاً قتاد ؟
 سر فأذمي القلوب والأكباد ؟
 ساد في غفل الزمان وشاد ؟
 قد لبسنا على يدك الحيداد ؟

(١) لا تاخلوا بالنار .

الظلم المرتب

لقد كان فينا الظلم فوضى فهدبت
نحن علينا اليوم أن أخصب الترى
أعد عهد اسماعيل جالداً وسخره
مملتهم على عز الجادر ودلنا
إذا أخصبت أرض وأجذب أهلها
حواشيرو حتى بات ظلماً منظم

زلزال مينا

نبشاني إن كنتما مملسان :
غضب الله أم تمردت الأرض
ليس هذا ، سبحان ربى ، ولأذا
غليبان في الأرض نفس عنه
رب أين المسقر والبحر والبر
كنت أخفى البحار والموت فيها
ساحج تحتنا ، مغلل علينا
فاذا الأرض والبحار سوا
مادهم الكون أيها الفرقدان
من فأنحت على بنى الانسان ١٢
لك ولكن طبيعة الأكوان
توران في البحر والبركان
على الكبد للورى عاملان ١٢
راصد غفلة من الربان
حائم حولنا ، منام مداني
في خلاق : كلاما قادران

« »

ما (لمسين) عوجلت في صباها
ومحت تلسم الحاسن منها
خسقت ، ثم أغرفت ، ثم بادت
وأتى أمرها فاضحت كأن لم
لبنها أمهلته فتفضى حقوقاً
ودعاه من الردى داهيان
حين تمت آياتها آياتان
فضى الأمر كله في توان
تلك بالأمس رينة البلدان
من وداع اللدات والجيران

الوداد ١
بوا البلاد ١
بوا العباد ١
الاجباد ١
الرشاد ١
حين صاد ١
واشتداد ١
كباد ١
جدا ١
ن عاد ١٢
المراد ١
الاسعاد ١
الفواد ١
بيت جاد ١
ركا فتاد ١
لا كباد ١
ن وشاد ١
لجداد ١

لحمة يُسَمِّدُ الصديقان فيها
 بَعَثَ الأرضُ والجبالُ عليها
 تلكَ تَعْلَى حَقْدًا عليها فَتَفْتَنُ
 فَتُجِيبُ الجبالُ رَجْمًا وَقَدْ فَا
 ونسوقُ البحارُ رَدًّا عليها
 فهنا الموتُ أسودُّ اللونِ جونُ
 جَنَّةُ الملةِ والثرى لَهلاكِ الـ
 ودعا السَّحْبَ مانِيًا فَأَمْدَدُ
 ابنُ (رجيو) وابنُ ما كان فيها
 عَوِجَلَتْ مِثْلَ أَخْتِهَا، ودهاها
 ربُّ طفلٍ قد سَلَخَ في باطنِ الأر
 وفتاة هيفاء تُشَوِّى على الجَمَدِ
 وأبى ذاهلٍ إلى النارِ، يَمُشِي
 باحثًا عن بناته وبنيهِ
 ناكِلُ النارِ منه، لا هو ناجٍ
 باجتماعِ وَيَلْتَقِي العاشقانِ
 وطَمَى البحرُ أَيْمًا طَفِيفًا
 قُ انشقاقًا من كثرةِ الغليانِ
 بشواظِرٍ مِنْ مارجٍ ودخانِ
 جِيشٍ موجٍ نائِي الجناحينِ داني
 وهنا الموتُ أحمرُّ اللونِ قاني
 خلقه ثم استعان بالنيانِ
 بِجَيْشٍ من الصواعقِ ثَانِ
 مِنْ مَمَّانِ مأهولةٍ وغواني ؟
 ما دهاها من ذلك الثورانِ
 ضربنا دى : أمي ابي ادركاني
 رر تُعاني مِنْ حَرِّ ما تُعاني
 مُسْتَمِيتًا تَعْتَدُ مِنْهُ البِدَانِ
 مُصْرِعِ المَحْطُورِ مُسْتَطِيرِ الجَنَانِ
 مِنْ لَطَافِهَا وَلَا اللَّطِي عَنْهُ وَايَا

منزل الامام محمد عبده

فيا منزلاً في عينِ شمسٍ أَظَلَّنِي
 دُعاةُ التقوى، وآساسُ الهدى
 عليكِ سلامُ اللهِ مالكِ موحداً
 لقد كنتِ مقصودَ الجوانبِ أهلاً
 مثابةً أرزاقٍ، ومهبطَ حكمةٍ
 وأرغمَ حُسَّادِي وغمَّ حُدَّالِي
 وفيه الأيادي موضعُ اللَّبَنَاتِ
 عبوسِ المعاني مَقَرَّ العِصْمَاتِ ؟
 تطوفُ بكِ الآمالُ مَبْتَلَاتِ
 ومَطْلَعِ أنوارِ، وكَنزِ عِظَمَاتِ

النيل

النيل لمرآة نفا
سلب السماء مجوتمها
نشرت عليه غلالة
شمت لا عيننا سوى
وكاننا فوق السماء
مجرى الحوادث حيث نجم
س في صيفها التسم
فوت بلحتهم توم
بيضاء حاكها الشيوم
ما شابة منها الأديم
وتحتا ذاك السديم
ري لا تضام ولا نصم

عنقبر مصطفى لامل

طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا
ها جنان تعالى الله بارؤه
هناقم وبنان لاح بينهما
هنا الشهيد، هنارب اللواء، هنا
واقضوا هنالك ما تقضى به الدم
ضافت بآماله الأقدار والهضم
في الشرق فجر تحبتي ضوءه الأتم
حامي الدمارة، ها الشهم الذي علموا

• • •

إني أرى وفؤادي ليس يكذبني
أرى جلالاً، أرى نوراً، أرى ملكاً
الله أكبر! هذا الوجه أعرفه
غضوا الميون وحيوه تحيته
وأقسموا أن تذودوا عن مبادئه
روحاً يحف بها الأكار واليعظم
أرى محيياً يحينا وبتهم
هذا فتى النيل هذا المفرد العلم
من القلوب إذالم تسعيد الكلام
فنحن في موقف يحو به القسم

لوعة وأمين

أنا في بأس وهم وأسى
مستهن بالذي لافيته
سور عندي له مكتوبة
إني لا آمن الرسل، ولا
حاصر اللوعة موصول الأمين
وهو لا يدري بما ذا يستهن
ود لو يسرى بها الروح الأمين
آمن المكتوب على ما يحنون

ناحية في حافظ

نشكر للدكتور زكي أبي شادي خدماته الأدبية الكبيرة التي يقوم بها طامّة
واصدار هذا العدد لذكرى حافظ خاصة . وإذا كان الحظ لم يسمدني بأن أكتب
عن شوقي فاني أجيد الفرصة سانحة لأن أقول كلمة عن حافظ في أهم ناحية من
حياته وتقسيم حافظ من حيث هو فكرة التّمكّن في الوجود وحيوية لها ما للكائن
الحَيّ من مزايا هي :

١ — شعره الذي يصوّر فيه نفسه ونفسية الشعب ويعبر فيه عن آماله وآمال
وطنه وعن الأمة وكل ما يتحرك فيها أو ما يتطلبه لها .

٢ — نفسه الهائجة الشائرة العالية التي تبلع عنان السماء في الاستغرافية والتي
تصدّها عظمة المال والجأه فتزلزلها الى الخضم فتضطرب في الديمقراطية الى درجة
كبيرة . ونفسه العابثة الدائسة المتشككة .

٣ — حياته المتناقضة المملوءة أملاً وبؤساً وسعادةً وألماً وخوفاً وشجاعة
وحباً وكراهية .

وأظهر شيء في حافظ من حيث هو كتلة حيوية تنقسم هذه الأقسام : نفسه
وحياته وشعره . ونفسه هي القوة الموحدة لحياته من حيث عبوسها أو نورها فنظّم
الدنيا ، ومن حيث أملها واشراحتها فتظهر العالم أمامه كله سرور وانشراح وبهجة
وأنس . وشعره هو المظهر أو العارضة التي تزيّن نفسها ونفسه وحياته وتفاعل العناصر
من أثر النفس في الحياة ومن أثر الشعر في هيجان النفس أو هدوئها وطعمة الحياة
أو بهجتها . ونفس حافظ ليست مثل نفسي ونفسيك ، ولو كانت كذلك لعدّ حافظ
واحداً مثلنا ، ولكن نفس حافظ كقلبه وقلبه هو قلب مصر وحياته هي حياة مصر ،
فكل حادث يؤثر في مصر يحدّ أثره في نفس حافظ وقلبه وحياته وشعره أيضاً . والألم
الذي يساور نفس حافظ والذي يؤثر في نظره للدنيا ويتأثر بالتالي به شعره هو ألم
مصر ، والبؤس الذي يساور نفسه هو مظهر نفسه ومظهر حياته ومظهر مصر أيضاً .
وهذا التألف بين حافظ وحياته وشعره ومصر فيه نصيب كبير من الحقيقة ، وهناك
تألف آخر بين الشاعر والفنان في حافظ تصبغه صبغة البؤس التي تلازم حافظ
فيكون حافظ الشاعر المتوقد الرقيق والفنان النائر المتشكك الحر الذي لا يراعى
القبود ولا يعبأ بها ، وهناك حافظ البائس الذي يدمت الثورة على التقاليد والتشكك والهيّاج .

وهناك المصادمات ذات الأثر العميق الذي يبلغ من نفس الإنسان — يريد أن نعرض في حافظ حتى نعرف كيفية تحول نفسيته ونكويها على هذا الشكل الغريب وأول تلك الصدمات التي صدمت حافظ هي موت والده وهو صغير مما جعل في نفسه بليغ الأثر لأنه صار يتيماً لا أب له فأورثه هذا حزناً كبيراً تغلغل في قرارة نفسه وأثر في حياته أثراً كبيراً، وكانت هذه أول صدمة له في حياته ومستقبل عزيمته .

أمّا الصدمة الثانية فهي تمكن الرعدة الأدبية منه وهذه الروح الشعرية التي هفت به وتمكنت من صبغه بلونها والتي تبعث إلى نفس الشاعر عوامل الشعرية من رقة الشعور واتصال هذا بالرائد لآلام الناس ومواساتهم وتلارم هذا الشباب والنفس المتقدمة المرحلة النائرة في حافظ، وفي اجتماع هذين معاً ما يجعله لا يرضى بالحياة العسكرية الخشنة من جانب لأنه شاب له أمل واسع وهو لا يرضى بالحياة العسكرية أيضاً من حيث أنها مذمومة ودمارة، وهذا مما لا تميل إليه نفس الشاعر ذات الحنان والرفقة .

فهاتان الصدمتان : تنازع الروح الشابة والروح الشعرية مع العسكرية من حيث هي خشونة وقتال دموي والآلم الدفين الذي صادمه في أول ملامسته للحياة عوت إليه — لها أثرها البالغ ، وأثر هاتين الصدمتين كبير في نفس حافظ وبالتالي في شعره : فهو الذي صبح نفسه بصيغة التشكك والثورة والبؤس ، وكانت شعره صورة لهذا التفاعل في نفسه وحياته .

هذه الكلمة هي نظرة سريعة مختصرة في ناحية من حافظ ابراهيم الشامخ الضخم الذي لا يمكن لقلمي الصميف أن يوفيه حقه ، ولا أن ينصرف إليه بحكم شواغله وضيق وقته . وهناك نواح أخرى في حافظ عن شعره وأدبه وأثرها في الأدب المصري الخاص والأدب العربي على وجه عام وأحلافه ونفسه وأثر كل ذلك في نظراته الفلسفية إلى الحياة . وأعيد فأكرر شكرى للدكتور أبى شادى لهذه العناية وهذا التكرم لذكرى حافظ ابراهيم شاعرنا القومي

اصمحر أنور الجنزى

يقوم بها فامة
نأن أكنف
ناحية من
لها ما للكائن

آماله وآمال

تفرطية والتي
لية الى درجة

شجاعة

قسام : نفسه

بؤسها فتظلم

شراح وبهجة

اعل العناصر

وظلمة الحياة

ك لعد حافظ

حياة مصر،

يضاً . والآلم

شعره هو ألم

مصر أيضاً .

تيقة، وهناك

تلارم حافظ

لدى لا يراعى

كك والهباج .

مضى العام والذكرى...

على الوتر الحنان قد وُلِّدَ الشعرُ
لغائته في المهدى ظلُّ خيلةٍ
إذا ما بكى أشجى الزمانَ بكاءه
يُنسِقُ وجهَ الصبح والطلُّ ذائبٌ
ويُلقي شعاعَ الشمس في مبعده الضحي
وتفتحُ عنه في الأصيل نسائمٌ
فأما تسرُّ يا صاح في هداية الدجى
وأما تحمدُ حسنَ الحياوِ مشوهاً
وأما تحمدُ ظهرَ الزمانِ محدباً
فذلك فاضع مائمُ الشعر والحجى

»

خيلةٌ وادي النيلِ أزهَرَ نبتها
سقاها غديرٌ ثم جفَّ فغلاها
فلا دوحَ يأوى العاشقون لظله
تصوتحت الأزهار بعدَ تمطره
مَلابٌ زكى في الأنوفِ شمسه
كشعر أثير في النفوس له سحره

»

مضى العام والذكرى تطوف بأرؤس
مُباعِد ما بين الجناحين أبرؤس
إذا جالَ عينا في النجوم تفكراً
إذا فكر المرء القديم وفاؤه
يظنُّ له عُذراً فيمضى يئنه
كما طاف جُنجع الليل أو وقع النسر
يطير إليها من قوادم الدهر
تطايروا من أحداقها السطر السُر
واجبه للصحب أعياءه الفكر
ولولا جحود الناس لاعتذر العذر

وَأَجَلَ قَوْمَهُ ذَكَرَهُ لِمَوَاعِدِهِ
مَصِي حَافِظُهُ مَنْ كَانَ يَحْفَظُ قَوْمَهُ
فَتَى كَانَ يَأْتِي أَنْ يَخُونَ صَدِيقَهُ
إِذَا كَانَ فِي وَجْهِ الْفَتَى دُونَ طَهْرِهِ
فَنَاصِطُ حَبِيبٍ يَحْفَظُ وَمَنْ يَنْسَى يَذْكُرُ
حِفَاظُكَ لِلْأَصْحَابِ نَذْرُهُ نَذْرَتُهُ
وَلِلنَّاسِ أَخْلَاقُهُ شُكُولُهُ كَثِيرُهُ

« »

رَمَى اللَّهُ شِعْرًا قَدْ غُذِيَتْ لِبَانُهُ
فَمَا كَانَ سَفَرِي غَيْرَ دِيْوَانٍ حَافِظُهُ
تَمَازِيرُ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ
شَوَارِدُ كَالْعِيقِيَانِ مِنْ كُلِّ جَوْهَرٍ
وَمَا النَّبِيلُ إِلَّا رِيَّةُ الْأَرْضِ أَنْبَتُ
وَحَافِظُهُ مِنْ قَوْمِ بَوَادِيهِ خُلُصٍ
نَضَا الصِّيفِ مِنْ تَقْصِيرِ سَيْلٍ وَمِنْ دَمٍ
فَلَمْ يَكْ بَوْسًا حَظُّهُ بَلْ زَعَامَةٌ
فَقَى كُلِّ وَادٍ فَجَعَةً فِي صَحَابِهِ
وَفَى كُلِّ مَدَنٍ لَوْفٍ قَلَابَةٌ

« »

جُنُودَ الْقَوَافِ وَالْمُخْطُوبِ كَثِيرُهُ
لَقَدْ غَالَرَيْبُ الْمَوْتِ أَرْمَى شَيْوَحَكُمْ
نَفِيبٌ كَمَا غَابَ أَمْرُ الْقَيْسِ قَبْلَنَا
وَلِلشَّعْرِ فِي لَيْلِ الْمُتَحَاقِدِ مِمَّاؤُهُ
الْإِيْحَتَى فَيْكُمْ مِنَ التَّعْطَبِ الشَّعْرُ
وَالشَّعْرُ لَا لِحَائِكِينَ لَهُ الشَّعْرُ
وَنَبِيٌّ مُكَافَأًا وَلِزَمَانٍ لَهُ كَرُّ
لِكُلِّ فَتَى فِيهَا كَوَا كِبُهُ الْوُجْهُ

نَفَثَ الشَّعْرُ
نَحْتَهَا نَهْرُ
سَكَةُ الطَّيْرِ
لُزْدَعُ الْخَضِرِ
مَبْتَهَجٌ تَضَرُّعُ
يُشْرِقُ الدَّرُ
وَلَا قَطْرُ
أَمْتِ النَّفَرِ
لِكُلِّ صَقْرٍ
كَالْقَبْرِ
بِهَا الْوُجْهُ
أَفَقَةُ الشَّعْرِ
لَا قُتْرُ
بِالْعِطْرِ
لَهُ يَحْزَنُ
وَقَعَ الشَّعْرُ
أَدْمُو الدَّعْرِ
لُزْدَعُ الشَّعْرِ
بِالْفَيْكْرِ
نَذْرُ الْمَدْرُ

فصوغوا القوافي لاجلود وللصبا
وللمرئى والأخلاق ما طلع الفجر
ولا تركنوا للخلف فالخلف فاصح
لما كان بخفيه التمامح والشر
إذا كان هذا الشعر قائم سهضة
فيما خلقه الممجد بحلو له الفخر
عاصر محمد بحري

•••••

محمد حافظ إبراهيم

في كفتي البؤس والمجانة

يتوهم البعض أننا إذا قلنا إن حافظاً كان أغناؤس — لازمه صغيراً، وصاحبه كبيراً — أنه كان مملقاً، وأن فقره علة العلل في ابتأسه. وقد يكون الأول صحيحاً ولكن إلى حدٍّ، أما الثاني فهو موضع بحث ونظر ثم حلف وجدل، فليس كل بؤس مسبباً عن الفقر، وحافظ بأئس. فليس محتم نشوء بؤسه عن فقره. وقد يكون هناك المطلق صحيحاً، ونحن نرى بين طهرائنا الكثير من المعدمين بروحون وبغنون ونصرة الطائفة تعلو وجوههم، وطائر السعادة يرفرف فوقهم. كما أننا نرى الكثيرين ممن جادهم المال بوفرته لا يكادون يستشعرون أن هناك سعادة، بل لا يصدقون أن هناك سعادة فهي اسم لا مسمى له وإن هي إلا وهم وخيال...

وقد نسمع أن كثيراً من رجال الفكر وحملة الأقلام كانوا فقراء معدمين بأئسين وأن الجبهة الأغنياء كانوا في يسر ورخاء وطالما أنشدونا:

وزقُ التيوس بحبيثها بسهولة
وأولو الفصاحة رزقهم مسجون
إن كان حرمانى لأجل فصاحتى
فأمن على من التيوس أكون

والمطلق في ظاهره يحيل هذا الذي يبدو غريباً في مظهره، فليس بمسلم أن يعجز المفكرون — وهم المفكرون — عن أمر تناله الأغنياء المفاليك —
وهم هم

وربما تزول الغرابة إذا نحن فهمنا أن الفكر دائم الطموح لا يرضى لنفسه ما هو فيه وإن كان في التيقن فهو متطلع إلى العلو أبداً ناظر إلى السماء دائماً، يرى أنه

مغنون وليس بمغنون ، تعس وليس بتعس ، فقير وليس بفقير ، ومن هذا الباب وحده تهاجمه كتائب البؤس وترشقه بسهامها وترميه بنبالها ، وهكذا :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

هذا هو المعقول ، أما أن تقول — إطلاقاً — إن رجال الفكر وحملة الأفلام معدمون بألسون فتلك دعوى عريضة لسمعها كل آن وسيعلم الباحثون مكانها من الحق والتاريخ .

على صوء هذا الفكر نستطيع أن نقول — مع القائلين — إن حافظاً كان فقيراً بئساً . ولم لا يكون بئساً ؟ بل ولم لا يكون شيخ البائسين ؟

ألم يسع حتى كاد ينفعل الدم ثم لم يحط من الحياة بما يريد ؟ ثم ألم يابس الدحي والليل هاديء ، والنجم يحسبه ثامناً لسبعة الشهب ، ولكنه مع هذا ، ومع كل هذا غير محدود ، وما فتئت يد المقادير تقصيه عن الأرب ؟

واستلان الحياة خمدت ، واستعطفها فملظت ، ولاطفها فلم تردد الاشجاء وبخلاء ، وطرق على السعادة كل باب فلم تزد الا اياه وشروداً . ولما أعيته الحيلة مع الحياة ، وفاصت الكأس ، وطمع الصكيل ، جاهرها هو الآخر . مدائه ، وأعلى عليها حرناً كلامية شمواه وشها غارة حامية الوطيس . فرماها عما رمى ، وهي العاهر النقي اللعوب القلب ، ما سرت يوماً إلا أنكت في غده ، وشها قد أضرت به فهام باحثها حرناً منها وفراراً ، واستحسن مذهب ماني صاحب نظرية تعجيل الفناء بقطع النسل فقال :

لعل « ماني » لاقى ما أكابده فودّ تعجيلنا من عالم الشَّجَبِ ا

وحلق في الجو الذي خلق فيه أبو العلاء فانطلق يقول :

عليك جنيت يا نفسي وقبلي عليك جنى أبى فدعى عنابي ا

وعتب على نوح حمل الناس معه وقد كان في مكته أن يتركهم يفرقون فيستريحون ويريحون ، وهو لهذا لم يخلص للناس السية ولم ينجهم الودّ الصحيح :

ويا نوحاً جنيت على البرايا ولم تمنهم الودّ الصحيح ا

علام حملتهم في الفلك ؟ هلا تركتهمو فكنت لهم مريحاً ا

مع الفجر
والشتر
له الفجر
بحبرى

أ ، وصاحبه
الأول صحياً
ليس كل بؤس
وقد يكون
يون ويندون
ي الكسنيين
يصدقون أن
اه معدمين

سجون
كون ا

بمسلم أن
لغالبك —

رضى لنفسه
مأ ، يرى أنه

ولا أريد في هذا المقام أكثر من أن يضع القارئ صورة حافظ العائسة التي
ترسم في ذهنه بعد قراءته هذا الكلام بجانب صورته الأخرى : صورة حافظ
الطروب الضاحك المداعب ١

حافظ الذي ذكرناه من البؤس والتبرم بالحياة والصبر منها والثورة عليها
ما ذكرناه هو حافظ الذي يملأ كل جوفٍ يحيط به محبة ودعابة وفكاهة ، هو حافظ
الذي يتبادر الابداء بحديثه ، ويتنادرون نسكاته حتى قال العقاد على قبره :

أبكاء وحافظ في مكان ١٢ تلك إحدى عجائب الحدائق ١

صورتان للرجل : أولاهما عائسة بأئسة بأئسة ، والثانية ضاحكة صاخبة ماجنة ١
صورتان متبايلتان على لوحة واحدة هي الحياة ١
كيف هذا ؟

وهل هذا معقول ؟ الأمر لا يحتمل جدلاً ، فانه واقع والواقع لا يرتفع .
إذا فكيف تفسر هذا ؟ كيف تفسر البؤس يعتنق المجانة ؟ ١

لعل محبته كانت ضرباً من التهكم بالحياة والسخرية وعدم الحفل بها ، فهو
يتهم بالحياة ويسخر بالدنيا ، ويصوغ ذلك في قالب من الفكاهة تحمل على أجنحة
الصحكات أفسى معاني الألم ، وأبلغ معاني البؤس ، فهو إذ يرسل لك نسكاته يصور
لك حالة نفسية في صورة بهجة تنقطع لها نياط قلبه في الوقت الذي تحتلئ الاشدق
ضحكاً لها ، وسروراً بها .

وهذا معقول ومقبول أيضاً ، لولا أن حافظاً الذي أعرفه لم يكن من فلسفة الالم
الى هذا الحد بل ولا الى غير هذا الحد .

إذا فكيف تفسر المجانة تُؤالَف البؤس ؟

ألا يصح أن يكون ألم الرجل البالغ ثقله طفرةً من طور البؤس الى طور المجانة ١٢
النظرية في ذاتها من حيث هي نظرية سليمة ، فان الشيء اذا زاد عن حده انقلب
الى صده ، وأنت تشاهد كثيراً من الدين يصابون بفادح الخطوب يقبلون كالحُمومين
هاذين ضاحكين بل وربما مبردين راقصين ١

إذا صحَّ هذا فهل لا يصح أن يكون حال حافظ من هذا النوع ١٢

معقول أن يكون ، ومعقول أيضاً : لولا أن ابتأس حافظ لم يكن من هذا في
شيء ولم يكن حافظ في ذاته من هذا في شيء .

إذا فكيف نستطيع أن نفهم أنه كان بالأسوأ ما جئنا ؟

ألا يكون الرجل لما نزلت به الهموم — وهي أنقل الضيوف — وصاق بها ذرعاً ، لم يجد طريقاً يرفه عن نفسه بها الا طريق المجاعة فارتضى بين أحضانها يشرب من وردها سائفاً يفسل الهموم ، وينفس عن القلوب ، ويروح عن النفوس .

وهذا هو الآخر معقول ، وربما كان مقبولا ، لولا أننا نسأل لماذا لا ينفس عن نفسه الا حينما تزوره المادة أو ثوابه ظروف المحاجة ، ولو كان هذا صحيحاً لتطلبها الرجل كلما حربه الهمم وفدح ، ثم انه لو كان واقعاً لما كان مطبوعاً عليه بل لجاء متكلفاً ظاهراً التكلف .

إذا فماذا نعلل هذا ؟

ألم يكن مطوعاً للظروف والأحوال : فهو نائس يوم تنزل به ظروف البؤس ما جئنا ساعة ثوابه ظروف المجاعة ، فلهذا ظروفه وملابساته وتلك ظروفها وملابساتها . وقد كان يتفق لحافظ أن يقع في يده قسط من المال غير قليل ، فلا يكاد يستقر في حافظته حتى يتطاول الخبر الى وليجته والى وليجة وليجته ، فيجتمعون على ما يجمعون ، ويقضى شاعرنا سويعات أنسه ، وأوقيات سروره ، حتى اذا ما نصب المال وهو لا بد ناصب رجع الهزار الى وكره حزيناً بالأسوأ مهيباً . إذا حافظ بانس يوم بؤسه ، ما جئنا يوم أنسه .

وهذا معقول ومقبول أيضاً ، لولا ... لولا ...

لولا ماذا ... ؟

لا شيء الا شيء ، فان هذا هو الواقع ، وبه نستطيع أن نجمع بين صورته المتناقضتين فيما يبدو للناظر ، وهي ناحية أملها اخواننا الكتاب لانكياهم على شعره وتركه هو فيما دون ذلك .

وبعد فقد كان يجدر بنا أن ندرس أمثال تلك المناهى في حياة الراحل العظيم ، وهي كثيرة لم يكتب عنها الكتاب الاعرضاً وتلميحاً .

ايها السادة الادباء الى نستطيع أن نفهم الشاعر من شعره حتى نفهمه هو حق الفهم ، وكنت مستغرباً للدكتور طه حسين أخذه على العقاد أن يكتب عن الرسمى في غير شعره الى هذا الحد .

أحسب أنه أراد أن يأخذ عليه إهالة شعره ، وهل كان الشعر الاسدي
لامثال تلك العوامل ؟ والباحث العميق من نقد من القشور الى المصاص ، ومن
الآلياف الى اللباب ؟

ظاهر محمد أبو فاسا

بداهة حافظ

كان حافظ ، رحمه الله ، حاضر النكتة ، حلو الحديث ، طاق اللسان ، سريع
البديهة ، وهاك مثلاً على ذلك : —

زار حافظ — أيام بؤسه — مدينة السبلاوين ، فأضافه كبير من عائلة
(سليط) وهو صادق افدى سليط — فلما دخل حافظ المنزل مع مضيفه ، جلسا
في بهو من الأنهاء الفسيحة ، وكانت صورة صادق افدى الزينية الكبيرة معلقة
على جدار من جدران هذا البهو ، فطلب منه صادق افدى أن يصف هذه الصورة
ووعده خمسة جبهات على كل بيت يقوله ، واشترط عليه ان لا يستغرق في نظم
البيت الواحد أكثر من دقيقة واحدة ، ثم احتار له البحر والقافية ، وأمسك الساعة
توأ — فاذا بحافظ يتحف الحاضرين بخمسة أبيات جميلة جداً لا أتذكر منها إلا هذين
البيتين وهما :

سألنا عزيزَ المجدِ اهداءً صُورَ تموجُ بها أوصافه والخلائقُ

فقال لنا لما رأى رسمَ صادقٍ : خدوا صورة الأجداد ، فالجد صادق

فقال بذلك الجائزة ، وكما كانت دهشة الجميع عظيمة عند ما قال لهم صادق انه
استغرق في نظمها أقل من الوقت الذي أجازته اياه بدقيقتين — وليس يخفى على أحد
ما في البيت الثاني من التورية الظريفة أيضاً . وهذا مثل واضح على حضور ذهنه ،
وسرعة بديهته ، وذلاقة لسانه .

فلئن فقد الشعر والأدب فإنَّ فقده عظيم وزرءه جسيم ، ولئن بكاه الناطقون
بالضاد في أنحاء المعمورة فقد بكوا ملكاً متوجاً في ميدان القول نثراً أو نظماً ، رحمه
الله رحمة واسعة ؟

محمد صغير الصمراوى

حافظ الخالد

يا حسانَ القريض عهدُ الخدادِ قد أتى فارتدى ثيابَ السوادِ
شاعرُ النيل حافظٌ مات فاشدى بأغاني الأُمى على الأعوادِ
مات مَنْ شعرُهُ جديرٌ بشعر ذائبه أنْ يُحِطَ لا بالمُدادِ
فأقيمى عليه ماتك الأَكبر وأتى اليه من كلِّ وادِ

»

ربة الشعرِ ما فقدتو كهذا م الشاعرِ العبقريِّ من عهدِ عادِ
مات من كان في رياضك لا ين فكَّ يمشى مع الصبا وهو شادِ
فبكاه الزارُ أيُّ بكاه في الرُّبى فوق غصنه الميادِ
وتمشَّى الغديرُ وهو من الأحزان م دوماً يسئُّ بين الوهادِ

»

ربة الشعر انْ حافظاً أودى فإليه نادى بناتك نادى
واخربى حولَ نعشه في رُبى ال خلدي نطقاً من الحسانِ اطرادِ
ولتضعه بدا نسيم الصبا في كف من ندبة الأورادِ
وليسُجَّ كلُّ رائجٍ في السموات م وى الأرضِ وليسُجَّ كلُّ غادِ

»

أيها الشاعرُ العظيمُ أينَ لي حالة النابغين في الأحادِ
أرى الموتَ غفلةً من بلايا ال ميسر أم أنه نظيرُ الرقادِ
أرى في ضريحه جسدُ الشاعر يبلى كسائر الأجسادِ
أم حسانُ القريض تكلُّهُ دوماً ومحبيه من بلى وفسادِ
قف على منبرِ القبورِ وانشد شعرك الجزلَ أيُّها إنسادِ
أيها الشاعرُ اشرح الموت لى م إلى الموتِ في شبابه صادِ

الاصدى
من، ومن

فأشأ

سان، سريع

ير من عائلة

يفه، جلسا

كبيرة معلقة

هذه الصورة

تفرق في نظم

مسك الساعة

نبا إلا هذين

الخلايق

صادق

م صادق انه

يخفى على أحد

ضوء ذهنه،

الناطقون

ونظماً، رحمه

الصحراوي

شبهة الموت لا كما شبهوه من قديم بمجنل الحصاد
ذلك المورد الذي منه ماما دلنا وادد من الوراد
ذلك المنجج الذي ليس يهوا امرؤ وهو ملتي الراد
صف لي الروح كيف بالله بعدا موت نبي على مدى الآباد
وصف القلب هل يصير خلالا ترب خلوأ من لونة الاحقاد
أترى يستريح من ألسن الوا شين في القبر أو من الحساد
أترى في التراب يرتاح من كيد في الأعادي وطارثات العوادي
إن نكن للنفاد طرأ ففسر لي معنى الحياة والامجاد
أوتك الروح لفناء فخير من هموم الحياة غيش الجاد
أويك الجسم للذشور فأنى يتلاشى ويمتدى كالرمان

»

هل لنا من يُقيم بعدك في سو في عكاظ على مرير زياد
هل لنا من يهز شعباً غدا يط مئ على الشرق تحت مستر الحياذ
هل لنا من يثنا العزم كي لا تتواني عن رد كيد الأماذ
كنت هذا جميعه أيها الشاعر بل كنت شعبة للبلاذ
أباك يا شرق حافظاً واندبي كان حافظاً للوداد
وأبك يا دهر شاعراً عبقرى شعر أعلى لنا لواء الضاد
قد فقدنا من كان طول تينيه واقفاً للطفاذ بالمرصاد

»

ملك الشعر قد ذهبت وما خلفت في ملكه سوى أجناد
هل نلقى خليفة لك يا (فر عون) يوما في قومك الامجاد
أما الأتفس العكبار سيوف يفتضها الردي من الاغناد

مؤبر ابراهيم ابراهيم

(جفا — فلسطين)

في سماء الفن

إلى روح حافظ

أضاء بلبيل الحياة فأضحى نهراً جيلًا بغير مساء
وأضحى هجير الخلود ظلالاً وظل الخلود بدويح الرواة

« . »

توازي ولعكن سناه طريف ينير الحياة ويجلو السماء
ويحبو الوجود بسر عميق ويحمي الفنون رهيب الفناء

« . »

رأينا خلال الظلام برقاً فجدةً فجراً بليغ الصفاء
وبين الزكون المميت تسمى فعلم موتى النفوس الالباء
ولكن هدايا الزمان رياء فأين عطاة حواء الوفاء ؟
وأين شعاع نبيل كتهادي يذيب الغموض ويحعو الخفاء ؟

« . »

توازي ولكن سناه طريف ينير الحياة ويجلو السماء
ويحبو الوجود بسر عميق ويحمي الفنون رهيب الفناء

المهرى مصطفى

~~~~~

## تشكرك سورية يا حافظ

فارقك بسلام

مات حافظ ابراهيم وكان أعظم الناس لوعة عليه أهل سورية . ولا غرو ،  
محافظ لم يكن لمصر بكيته ، بل كانت أفكاره أبداً تسير وتطلق نحو ذلك القطر  
الذي عرف في أبنائه خلاناً أوفياء ، ورفاقاً خلصاء .

بكته سورية ولم نشأ أن تمرى عن فقدته . بكت فيه صديقاً حقيقاً ، بكت فيه  
حبيباً غالياً ، بكت فيه ابناً ثانياً ، وعزاؤها فيه صعب المنال . واني أجاهر بأن



لحافظ منزلة لدى أبناء سورية لا يدانيه فيها شاعر مصري آخر ، بل أقدر أن اصرح  
أن اجلالهم له يفوق اجلال أبناء النيل لشاعرهم ا

كان حافظ مصرياً صميماً ، يتبدله بحب مصر ، كثير الوجد بها ، لكنه أحب  
سورية حباً مماثلاً لوطنه ، فخلع عليها من قصائده خير بردها ، وجلبها من الحانه  
بأشجارها ، ولم ير غصانة أن يصبح :

لي موطن في ربوع النيل أعظمه      ولي هنا في حاكم موطن ثان

اني رأيت على أهرامها حلالاً      من الجلال أراها فوق لبنان

حسبت نفسي زبلاً يسكم فاذا      أهلي وصحبي وأحبائي وحيراني

ولا يرى وجهاً للعلامة في تعلقه بحب أبناء الشام ، وفرط ولائهم ، وانه ليجد  
نهاية الفخر في هذه المودة ، فيذيع على رؤوس الاشهاد :

إن يكتبوا لي ذنباً في مودتهم      فانما الفخر في الذنب الذي كتبوا ا

كان فذاً بين أقرانه شعراء مصر ، كان علماً بين الداعين الى الوئام ، كان  
فريداً في نشره ألوية المحبة بين أبناء القطرين ، ولقد أجاد في وصفه  
العلائق بينهما :

إذا ألمت بوادي النيل نازلة      بات لها راسيات الشام تضطرب

وإن دعا في ثرى الأهرام ذوالم      أجابه في ذرى لبنان منتحب

وطالما أشار إلى أن السوريين هم دوماً عند حسن الظن بهم ، يعملون همهم  
الأوحد خدمة كل بلد بلوه ، وكل قطر حلوا فيه ، بذات الاخلاص وذات  
المحبة التي يخدمون بها بلادهم . وطالما أشار الى جهادهم في مصر :

إننا رأينا كراماً من رجالهم      كانوا عليهم لدينا خير عنوا

كم في نواحي ربوع النيل من طُرف      لليازجي وصروف وزيدان

وكم لآحيائهم في الصحف من أثر      له المقطم والاهرام ركنان

ولم يكن ليقتصر عند ذكر الصداقة والاخاء فحسب بين مصر والشام ،  
فلكم افتخر بمفاخر السوريين كمن يفتخر بمحمد آله وعشيرته . أنظر اليه يقول  
في حماسة وحمية وفخر :

بأرض «كولب» أبطال غطارفة  
لم يحممهم علم فيها ولا تعدد  
أسطولهم أمل في البحر مرتحل  
لهم بكل خضم ممرب نهج  
لم تبد بارقة في أفق منتجع  
أو ما صاح به هنا :

عافوا المذلة في الدنيا فعندهم  
لا يصبرون على ضيم بمحاولة  
تيمموا أرض «كولب» فاشعرت  
سادوا وشادوا وأبلوا في مناكبها  
في الكون مورقهم في الشام مغرسهم  
إن لم يفوزوا بسلطان يقرهم  
أو ضاقت الشام عن يرهان قدرتهم

لا يرصيه ذلك فقط ، بل انه ليدكر يد سورية على العالم واثرها فيه حتى اليوم ،  
وانه ليشير من طرف خفي الى عبقرية الفينيقيين — أولئك الاجداد الذين عركوا  
الدهر وأبلوه ، ولم يقدر بنوآبته على محق مفاخرهم وآثارهم — وانه ليبدى صراحة  
ان الغربيين من اميركيين وسوام يفون ذمامهم نحو سورية بانشائهم دور التعليم فيها :

أرى رجالات من الدنيا الجديدة في  
قد شيدوا آية بالشام خالدة  
لن هذوكم قد كانت أوائلكم  
لاغروا إن أعجزوا في الأرض وابتكروا  
فتلك دنياهم في الجو قد نزع  
دنيا القديمة تبني خير بنيان  
شقي المناهل تروى كل ظمآن  
تهدي أوائلهم ازمان ازمان  
فيها أطنين اصلاص وعمران  
أعنة الريح من دنيا سليمان

ما ذا أريد بل ما ذا أقتطف من ثمار شعره الشبية ؟ لا أدري والله أى شيء  
أختار وأيه أغفل ؟ وليس لي إلا أن أحيل القارئ على ديوانه وعلى قصائده المنثورة  
هنا وهناك في الصحف والمجلات — التي لا يريد جمعها أحد . . . وأخاف على حفظ

رأى أن اصرح

لكنه أحب  
بها من الحانه

من ثاند

ثاند

جيرانى

وانه ليجد

كتبوا

م ، كان

في وصفه

مضطرب

منتحب

لون همهم

لاص وذات

عنوان

ن

ثاند

سر والشام ،

اليه يقول

حافظ العاثر أن يفنى في حظ شوقي المحدود ، فلا يُسَلِّفَ إلى جمع آثاره وحفظها !  
وقف حافظ في مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت يرثى نفسه في  
ذات القصيدة العصماء التي مدح بها الشام ، يرثى نفسه في ألم وحرقة . . . يرثى  
داته أمام من أحبّوه وأحلوّوه ، ولم يجدوا كيفية يعبرون بها عن شعورهم العميق  
تجاهه سوى تلك الحلقة الأدبية الكبرى يشيدون فيها بما آثره وفصله ، وتلك  
الحفلات العديدة في دمشق وسواها إمعاناً في التكريم والشكران ، وذلك الوسام  
يعلقه رئيس الوزارة على صدره .

وقف يذكّر بؤسه ، ويشكو زمانه ، ويتحسر على حياته ، ويتمنى  
لو أتبع له انتجاع الصحة دائماً في رياض لبنان وحاله الشمّ ، فيصبح من كبدا حري :

يا ليتني كنتُ من دنياي في دعة      قلبي جميعٌ وأمرى طوع وجداني  
أقضى المصيفَ بلبنان على شرفي      ولا أحول عن المشتى بحلوان  
ثم يمود فيعرج على ذكر الموت ، ويحنّ إليه ، ويرتقب محبته ، وتسكاد تشعر  
بقرارة نفسه تسكاد تسيل أمي بين كلماته المحزنة :

ولّي الشبابُ وجزّني فتوّتهُ      وهدم السقمُ بعد السقم أركانِي  
وقد وقفتُ على الستين أسألهَا      أسوّمت أم أعدتُ حُرّاً كفاني ؟  
شاهدتُ مصرعَ أترابي فبشّرني      بصجمٍ عدها رُوحِي وربحاني  
كم من قريبٍ نأى عني فأوجعي      وكم عزيزٍ قضى قبلي فأبسكاني  
إني مللتُ وقوف كل آونة      أبكي وأنظم أحزاناً بأحزانِ

لقد ملّ حياة لم تبذل له سوى مرارة وحظل ، ولم تكشف له يوماً عن صدرها  
إلا لتريه إياه مدججاً بسهام النوائب والمحن . ملّ حياة وحمها باسم وقلبها غدار  
لا يكاد يفره منها سنا محباها حتى تجابهه بنصاها المهددة ، تحترق كعبة آماله ، وتهدمها  
إلى الحضيض .. فإذا له بها ؟ وها قد جاءته المنية أخيراً ، فاخترمته ، وحرمت أهله  
وصحبه وخلانه صحبته الرقيقة ، ولم تكد تفضيه تحت طبقات الثرى في ذلك القبر  
الموحش الحفير ، حتى أخذت إليها شاعراً كسف بصيته وعبريته : ذكرى  
شاعر النيل !

في الحياة والموت لم يصادف حافظ إلا حسكا وشوكاً . في الحياة والموت لم يلق إلا غمطاً ونجاشاً ، لحق له وهو يعلم حظه المكشود ان يتوق الى الموت ، ليستريح من العناء ويرتاح من رؤية هذه المصادقات تقنعهم عليه عرين راحته ، وتسكاد تسد عليه منافسه ، فتذيقه من علقمها الواناً واشكالاً !

اي حافظ !

ان السوريين قاطبة ليكرمون فيك دائماً احباً وصديقاً وحبيباً . يكرمون فيك شاعراً عظيماً ، شاعراً أشاد بمفاخرهم ، وحاول الجمع بين القلوب . وهذه التحية التي يزفها اليك احدهم في هذه السطور يرجو ان تنوب لدى روحك الببيلة ، ولدى أبناء وطنك ، عن سورية وبنيها الراضين في الوطن والمهاجرين في اطراف العالم . فأنت وإن مت وغادرت دار الاحياء الى دار الخلود والبقاء ، فإن ذكراك حية خالدة في أفئدة السوريين ، منقوشة ابدأ على صفحات قلوبهم . وفي ذمة الله يا حافظ !

مبشيل سليم كبير



## المدح والشكوى والثناء

في شعر حافظ

لحافظ أشعار كثيرة في مواقف عدة ومناسبات مختلفة ، ولهذا نُقِبَ بالشاعر الاجتماعي ، وشاعر النيل ، وشاعر الشعب ، الخ . وهو جدير بهذه الألقاب ، إذ أنه الشاعر الوحيد الذي كان ينطق بلسان الشعب ، فيتألم لآلامه ويفرح لما يسره . وأقرب وصف لنفسية حافظ هو ما وصفه به خليل بك مطران من مقالة ذكر فيها : « ولع بالاجتماعيات فقال فيها وأجاد ما شاء ، كبير الآمال عاثر الجسد ، تجدد على أكثر مظلومه أثرآ من ألم النفس أو منسعة من الشكوى ، وتحمل بعض حروفه من بته ما يلدغ لدغ النار الكاعمة في غير مثقده »

ان لحافظ أشعاراً في شتى المناسبات ومختلف المواقف كما أسلفنا : فاذا مدح فهو الشاعر الفذ الذي يخلع على ممدوحه ثياب الفخر والبهاء الى أبد الدهر ، وإن شكا من الزمان ومن مفارقة الأوطان والاهل والخلان صور لك روحه كأنها تنقلب على

الجمر فهي تعاني من الآلام ما تعاني . وما كان من أشعاره في الرثاء فهذا مما لا يجاري فيه ، فهي بحملتها دموع من قلبه تقطر دماً فلا عجب أن يجيد حافظ المراثي بعد أن نعلم أن ذلك الشاعر العظيم مشأ على البؤس والشقاء ، ولا زال ينسأب الأيام وتغالبه حتى ألقى السلاح أحياناً ليرتاح الراحة الأبدية التي لا تعب فيها ولا نصب .

لنبداً أولاً بأشعاره في المديح : قال من قصيدة يمدح بها الشيخ محمد عبده وهي في غاية الاحكام وحسن الانسجام ، وحسبك ان تنظر كيف دلل القواي وجعلها سلسلة الاتقياد ، وكيف حلد ممدوحه في هذه الابيات الخالديات ، كما حلد نفسه في طبيعة الشعراء الخالدين :

قالوا: صدقة: فكان الصدق ما قالوا      ما كل مستسب للقول قوله  
هذا قريضى وهذا قدر ممتدحى      هل بعد هذين احكام واجلال ؟  
انى لأبصر فى أثناء برده      نوراً به تهتدى للحق ضلال  
حللت داراً بها تلى مناقبه      يابها ازدهت للناس آمال  
رأيت فيه بساطاً جل ناصبه      عليه فاروق هذا الوقت يختال  
بمشية بين صفتى حكيم ونقى      يحبها الله لا تبه ولا خال  
بيت من الشعر يرن صدها فى الآذان فيجاوزها فيعم الدنيا صارخاً :

هذا قريضى وهذا قدر ممتدحى      هل بعد هذين احكام واجلال ؟  
فيجيبه لسان الدهر قائلاً :

لا ورب البيت ، لا أرى أكرم من هذا الاجلال . واهى اجلال أحكم من الذى يخلد فى صحيفة لا تنسى إلى آخر يوم من أيام الدنيا ؟ عليها قائله ولهبأ من قبل فيه بالخلود الأبدى !

أما ترى الرجل فى الأبيات التالية من قصيدة يمدح بها ادوار السابع ملك الانجليز يوم تنويجه كيف حنكته بواب الأيام فخلته خبيراً بأحوال الانجليز وسياستهم الملك وتديرهم شؤونهم ودهاهم أكثر من غيره ممن اتصل بهم :

خبرتهم فرأيت القوم قد سهروا      على مرافقهم والملك قد سهر  
تساودوا فى أمور الملك من ملك      الى وزير الى من يفرس الشجرا



وكان فارسهم في الحرب صاعقة وذو السياسة منهم طائراً حذراً  
بالبر صافنة دامت سناجكها مناجم التبر حتى طافت المدوا  
وفي البحار أساطيل اذا غضبت تر البراكين فيها تقذف الشررا  
وهن في السلم والايام باسمه عرائس يكتسبن الدل والخفرا  
لا ريب ان الرجل بعيد الفراسة ينظر لكل ما يحيط به نظر حصيف مدبر  
لا تتعداه فائنة ولا تقلت منه .

لنحس حلال بؤسه وآلامه واتمانه ، ولننظر الى أى حد وصل به ذلك  
البؤس المرهق الذي لا يصمد له من الرجال الا الأفاذا القلائل :

وددت لو طرحوا في يوم جئتهم في مسبح الحوت أوفى مسرح العطب  
لعل ( ماني ) لاقى ما أكابده فودّ تعجيلنا من عالم الشجب  
هكذا فنيكن قرض القريض مترجماً عما في نفس صاحبه وما يماورها من  
حوالج . لازمه البؤس والتعب من عهد الشباب الى أيام الشيخوخة الا قليلا منها ،  
فأرسل الشكوى الحارة المحرقة تقطع نياط القلوب وتفتت الأكياد وتواصل  
عن المبقرية وحقوقها عند الجمهور المستهين بها .

أو ما تراه كيف يأسف على ما جشتم نفسه من ركوب الأخطار والاتعاب ،  
لولا أحكام القدر القاسية التي جعلته يكتتب رزقه مضطراً بهذه الحالة المصيبة ،  
وكيف عاد يعتذر لنفسه عما لاقته من اتعاب ، وان سبب اتعابها راجع الى والده  
الذي عمل على ايجاده في هذه الدنيا ، وقد زاد على قول المعري :

هذا جناه أبي على وما جنيت على أحد

بأن أشرك نفسه مع والده في الذئب إذ يقول :

رمى بها على هذا التباب وما أوردتها غير العراب

وما حملتها الا شقاء تقاضيني به يوم الحساب

جئت عليك يا نفسي وقبى عليك حتى أبى فدعى عتابي

الى أن قال من هذه الشكوى المؤثرة :

سمعت وكم سمى قبلى أديب قآب بحجية بعد اغتراب

المالاجارى  
ظالماتى بعد  
مالب الأيام  
ها ولا نصيب .

عبده وهى في  
رجعها سلسة  
سهة في طليعة

فوال

اجلال ؟

ن صلال

آمال

ت يختال

لا خال

ما :

اجلال ؟

حكم من الذى

من قبل

السابع ملك

ل الانجليز

م :

قد سهر

س الشجرا

وما أعذرت حتى كأن نعل  
وحق صيرتني الشمس عبداً  
دماً ووسادتي وجه التراب  
صبيفاً بعد ما دبغت إهابي  
وحق قلم الاملاق ظفري  
وحق حطم المقدار نابي

ولعم الحق لو حاول أمير المصورين أن يصور ما بسطه حافظ من شكوى في هذه الأبيات القلائل لما استطاع ، وكأني أراه خارجاً مع الجنود في بعض المهام إلى بلد بعيد وقد تقطع نهله من كثرة المشي ، فظل يسمى حافياً وقد بلل دم قدميه وجه الثرى ، حتى إذا أدركهم الليل نام ملتجئاً الأرض كغيره من الجود فادا أشرقت الشمس في صباح الفد ماودوا المسير وقد تضاعفت حرارة الشمس بما يصهر الحلود ويغلي الأدمغة . ولم يزل هذا ديدنه في الأيام التي كان فيها ضابطاً بالسودان في الجيش المصري حتى أحالت لفحة الشمس وجهه المشرق بالبياض ونصرة الشباب إلى وجه قد علاه السواد كما يعلو الصداً سيفاً لبث في غمده أعواماً — فيا لها من أقدار ساخرة لا ترحم ، تلك التي جعلت شاعر مصر الاجتماعي العظيم يتذمر من الحياة ويشكو من أتعابها يا لها من أقدار تلاعبت به كتلاعب القط بالفار حتى قال :

فلو ساق القضاء إلى نفعاً لقام أخوه معترضاً شحيحاً  
والآن فلننتقل من شقاء متواصل إلى أدمع من دماء سكبتها روح ذافت مرارة  
الألم وطعم العلقم .

قال من قصيدة يرثي بها المرحوم الشيخ محمد عبده :

سلامٌ على الإسلام بعد محمد سلامٌ على إلهه النضرات  
على الدين والدنيا ، على العلم والحجاء على البر والتقوى ، على الحسنات

فأنت بمحرد قراءتك لهدى البيتين في مطلع القصيدة تعرف مبلغ الحزن العميق الذي نال الشاعر بفقد الأمام — حزن من أحسن بعظم المصائب ووراع السكان في وقت كان الإسلام في أشد الحاجة إلى بقاءه ليخرس السنة الآفاكين . والقصيدة بأكلها تبرهن على حزن ناظمها حزناً لا تشوبه شائبة رياء أو مجاملة .

بماذا تشمر حين تقرأ الأبيات الآتية ؟ ألا تشمر معي بعظم الخسارة الفادحة وقد صور ذلك الشاعر تصوير مفعجوع ثاكل فأبدع التصوير حيث قال :

تباركت هذا الدين دين محمد أترك في الدنيا بغير حماق ؟

تباركت هذا عالم الشرق قد قضى ولانت قنساء الدين للغزوات  
الى أن قال :

فيا سنة مرت بأعواد نعمة لانت علينا أشأم السنوات  
حطمت لنا سيفاً وعطلت منبرا وأذويت روضاً باضر الزهرات  
وأطفأت نيراناً وأشعلت أنفاساً على جرات الحزن منطويات

الى أن قال مصوراً للحزن الذى استولى على الشرق خاصة والعالم الاسلامى  
عامة بفقد ذلك العالم الجليل :

بكى الشرق فارمجت له الأرض رجة وضافت عيون السكون بالعبرات  
ففى الهند محزون وفى الصين جازع وفى مصر بالك دأثم الحسرات  
وفى الشام منجوع وفى القرس نادب وفى تونس ماشئت من زفرات  
بسكى عالم الاسلام عالم عصره سراج البياضى هادم الشبهات

وهاك أبياتاً من قصيدة قالها فى حفلة تأبين المرحوم مصطفى باشا كامل يترجم  
بها عن الحزن الذى استولى على الناس عند وفاته وشعورهم بمخوفته زعيم الوطنية العظيم :

تسمون ألقاً حول نمشك حُشَّعْ يعيشون تحت لوائك السيَّار  
حطُّوا بأدمعهم على وجه الثرى للحزن أسطاراً على أسطار  
آنا يوالون الصحيح كأنهم ركب الحجيج بكعبة الزَّوَّار  
ونخالهم آنا لفرط خضوعهم عند المصلى ينصنون لقارى  
قلب الخشوع عليهم فدموعهم نجرى بلا كلج ولا استنثار  
الى أن قال :

كم ذات خدر يوم طاف بك الردى هتكت عليك حرائر الافكار  
سمرت تودع أمة محمولة فى النفس لا خبراً من الأخبار

لا ريب أن حافظاً أحاد تصوير الفاحمة على حقيقتها الواقعة تماماً . فهو بعد  
أن تكلم عن ذوات الخدور وخروجهم فى جارة القيد ليشبعه الى مقره الأخير  
وقد مزقن أستار الحجاب وجاهرن بالسفور أمام الجماهير المشبعة للفقيد عاد فشبه

ب  
إلى  
إلى

هذه الأبيات  
بعيد وقد تقطع  
رى ، حتى اذا  
س فى صباح  
الأممعة .  
المصرى حتى  
علاه السواد  
فورة لا ترجم ،  
من أتعابها ا

حججاً

دافت مرارة

نضرات

الحسنات

الحزن العميق

المكان فى

والقصيدة

ساعة الفادحة

ل :

حماة ؟

الفقيد بأمة . لتقديره له كزعيم وطني يطالب باسترداد حقوق بلاده . وقد صدق في هذا التشبيه فكل من يسعى في تحرير بلاده فهو لا شك قلبها النابض وفكرها الثاقب إذا فقدته فلا حياة لها بعده — بعد تكون قلبها من حفقانه وجود فكرها بعد توفده — حتى يقوم فيها بعده داعٍ أو دعاة يسمون في تحقيق أمانى البلاد فتنبعث من جديد بعد الموت مع الأُمم الحية .

والآن لضع القلم عند هذا الحد مكثفين بهذا المذر من حياة ( الشاعر الاجتماعي ) الأدبية فقط . أما حياته الخاصة فلترك الكلام عنها لمتصلين به من أبناء مصر المحبين ولنترك الدهر منشداً بلسانه :

خالدة الآثار لا تحسن البلى ليس يبلى من له ذكرٌ خلده

الحزيرة دبا - السودان

بشرى السير أمين



### سيرة حافظ

الى الشاعر البائس شاعر الانسانية المعدة الناصر الحق والدور ، الشبيه بتلك الشمعة التي تذوب لتضيء لغيرها ، المتعلق بأهداب الوطن الحريج ، ذلك الذي هدمت آماله وبددت ثمانيه ، وبعثت أحلامه ومات وهو يردد « مصر فوق الجميع » الى روحه الطاهرة المرفوعة محاسنها في سماء آلهة الشعر بجانب عرائس الجنيات في عالم الخلود ، اليك يا حافظ أهدى رسالتى . . . . .

١ — مولده

في فجر يوم من أيام سنة ١٨٧١ بدرو وطوأسرته في عيدها الأوحد تستقبل ابنها الأوحد الذي أبت الأقدار أن تبعث به من عالمها الرهيب المحلول إلى عالم الخلد بصورة وآياته الاقوى ذلك الوقت الأخير وقد رفع أبوه طرفه الى السماء مردداً : « اللهم لك الشاء العاطر والشكر الجميل » !

وظل ذلك الوليد العزيز ينعم بقبلات أبويه صباح مساء حتى بلغ السنتين أو يزيد ، ثم نُصِيبَ بموت والده الذي تركه بين أحضان أمه التي أصابها الأسى وحزنها الألم وقضت من بعده وهي تتمنى لو أن تفقدى ما في حياتها من زينة وبهجة وسعادة ومال يبقاها ولو بضع سنين حتى ترى حافظها يسير سير الرجال

ويحدثها كأنهم وقد امتلأ عافية ونضارة وجمالاً، وكفله حاله ورباه وقد ضاعت ثروة أبيه وأضحى لا عائل له غيره .

## ٢ - طفولته

ليس أمامنا من المصادر والتحقيقات ما يشير إلى طفولة حافظ بكثير ولا قليل غير حادث يتمه المبكر هذا الذي أثر في تكوين شخصيته إلى حد أن يقول التسوي عنها : « ويظهر أن لذلك اليتيم المبكر أثراً في تكوين شخصية حافظ الدفينة الحزينة فلقد كان حاضراً في قرارة نفسه كما سيتبين بعد حزيناً ، فكان إذا خلا إلى نفسه أو إلى صديق ظهرت حفايا نفسه ، وإذا قال الشعر كان عليه مسحة كبيرة من ذلك الحزن الدفين ولذلك حلا شعره من الفكاهة وخفة الروح التي عرف بها المرحوم المقيّد في المجالس والسوامر » . . .

أجل ، فالحزن قد طبعه بطابعه الخاص حتى أنه كان لا تستجيب إلى ندائه آلهة الشعر إلا إذا ما بكى ، وفي ذلك يقول رحمة الله عليه : « لا يطيب لي نظم الشعر إلا إذا ما كنت محزوناً » .

إذا حُرِمَ ذلك الطفل أنويه وأصحى يتيماً محزوناً ، محروماً تلك القبلات الحلوة الأيوبية ، وهذا العالم أمامه قطعة سوداء قائمة صاغتها يد الحزن والأسى .

أجل ، فقد قصى سنى طفولته وهو ذلك الحزين اليتيم الذي لا يشمر بمعطف أب أو حنان أم ، ومدارسه التي جاس حلالها من الابتدائية حتى الحمدية والشعرية بحوطها الحزن من كل مكان !

## ٣ - تعليمه

دخل المدرسة الابتدائية ثم لما نال جائزة التجهيزية ساءل نفسه : ماذا أصنع ؟ وبأى مدرسة ألتحق ؟ وثى الرجال أخذوا حدوده وتسج على مواله ؟ فلم يظفر من نفسه بغير هذا الجواب : « الحربية والبارودي » لكنه عاد إلى نفسه وقال : لماذا ؟ فطفر بهذا الجواب : « أن قامتي المديدة الفرعاء وتركبي القوي المتين هما الدليل الباصع على صلاحيتي للحرب ، وروحي الشعرية الجميلة التي يزورني طيفها في الامسية الحزنية والأصيل الضاحك هي التي تمكنني من القيادة العامة التي أنوق إليها ، وبذلك أحمل السيف والقلم عن جدارة واستحقاق » .

فقد صدق في  
مكرها الناقب  
نود فكريها  
أمانى البلاد

ساعة ( الشاعر  
تصلين به من

سخر أسمى

الشبيه تلك  
الذي هدمت  
الجميع »

أس الجانيات

بنا الأوحاد  
وأياته الأني  
الثناء العاطر

تين أويديد ،  
لتي أضناها  
حياتها من  
سير الرجال



فكان له ذلك والتحق بالحربية وخرج منها برتبة ضابط وما لبث أن ورّع على السودان يحمل بين جنبيه قلباً مملوءاً بالآمال ينشد المجد وينظر إلى السماء .

لكنه تلفت حوله في السودان فرأى شمساً محرقة تلمع الوجوه بسعيرها وزملاء يغلب عليهم الجهل والجذب الروحي ، وإن ذلك الحلم الذي نشده طالباً أخذ يهـار ، وهنا تفتتح عيون شاعريته أو بعبارة أخرى مدرسته الشعرية .

#### ٤ — حياته

رأى اليد الانجليزية تسيطر على الجيش المصري فزار لكرامته المهذورة ، ورأى جهل أحواله وشمس السودان المحرقة تحول بيمه وبين نعيم الشاعرية الذي ينشده في ظلال الجزيرة وأنديه العلماء ومجالسهم ، ورأى في السودان برغم ما حبته الطبيعة من صور الجمال ذلك الجذب الروحي الذي يمتقه ، وشكواه تتراقى لما من حلال أبياته التي بعث بها من السودان إلى صديقه يريم وقال في مطلعها :

زحنت عن الديار أروم رزقي وأضرب في المهامه والتغوم  
إلى أن يقول :

ولولا سورة للمجد عندي قننت بعيشي قنع الظليم

ومن كتابه إلى أستاذه الإمام محمد عبده الذي يسأله فيه انتشاله من وهدة هذه فيعده خيراً ويرجع إليه ثانية يسأله : « مثل كتابي إلى سيدي وأنا من وعده بين الجنة والسلسيل » إلى آخر هذا السجع المملول الممزوج ببعض المقطوعات الشعرية الرقيقة ويعده الإمام ثانية خيراً وطل حافظ متبرماً إلى أن قامت ثورة الضباط المصريين وأبعد حافظ إلى مصر مفضوياً عليه رهن المحاكمة مشدود الفكر مبلبل الخاطر حتى صدر عفوه الخديوي ورجعت إليه طمأنينته وحرية . وكانت هذه الساعة هي أخرج ساعات حياته إذ أنه رأى بعيني رأسه فشل الثورة العربية وأستاذه البارودي معرضاً للمحاكمة ونفود المستعمرين قد ارداد وأمله الجندي يهـار والكرامة المصرية كأنها لم تكن شيئاً مذكوراً .

ولما استقرت الأمور بعض الشيء رجع حافظ ثانية إلى الخدمة لكنه ما لبث أن طلق الجندي طليقة باثة لا رجعة فيها مردداً هذه الانشودة : « أي يوم عرفت الجاهم غير معاه الحرية ونور السلام »

انقطع للشعر والترجمة والتأليف وعاش معيشة بوهيمية هي قطعة من خيال الشاعر الذي يأبى القيود والأقفاص ولو كانت من ذهب !  
وعلى ما أذكر كان حافظ قد التحق بالمحاماة أمام المحاكم القديمة قبل اتصاله بالحربية وبعد ذلك واشتغل مع بعض أعلام المحاماة في ذلك العهد .

ومنذ ذلك الحين وهو يرسل آياته التي أفضت جانب الاستعمار تارة والرجعية تارة أخرى ، والتي عرفت بأنها آيات الوطنية والاجتماع من شاعر الانسانية ومن شاعر النيل قبل كل شيء .

ولما أن تقدمت به السن رأى الحياة الأدبية راكدة آسنة وأنيح له عطف ولاء الأمور حيث نال التحق بدار الكتب المصرية في سنة ١٩١١ وبني فيها حتى أوائل سنة ١٩٣٢ حرمنا شعره جل هذه الفترة الطويلة حتى اذا ما انقضت وأحيل إلى المعاش أرسل صيحاته التي اشتهر بها في وجه الاستعمار والرجعية في هذا العهد الأخير ، ولم تنقطع صيحاته هذي الا بموته في ٢١ يوليو سنة ١٩٣٢ .

### ٥ - بؤسه

خير من فطن من الكتاب إلى بؤس حافظ الأديب التوني إذ يقول : وهذا بؤس تقسائي روحاني ، وليس بؤس المادة والحاجة والطمع .

أجل ! فبؤس حافظ يحصر في آماله المتهدمة وتماثيل مجده المخطئة وقصوره التي بناها في الخيال ولعبت بها الرياح المروج !

شاعر من شعراء الانسانية يحمل القلم والسيف بهز بالأول أوتار القلوب بما يبعثه من الآيات الرائعة تارة ، وأخرى يبعث الدمع السخين من المآقي بأياته الشاكية من الظلم والظالمين والرجعية والمستعمرين وجهل أمة متأخرة تناوي المصلحين وتشايع الرجعية الجاهلة وتؤيدها ونوم شرق راكد لا يفيق ، فالاستعمار يخنق الشعب والأمة تعبد الأصنام والموتى والشرق يقدر الجود والركود !

يود لو أن سيفه يعمل في الدائرة التي خلق لها كقائد عام فلا يجد جنودا بل يرى فلولا أثر فلول وهزيمة أثر هزيمة وما يتبع ذلك من المصائب والويلات .

فلماذا لا يتملكه البؤس ؟ ولماذا لا تهدم آماله ؟ ولماذا لا يقول :

لكنني غير محدود وما فتئت يدُ المقادير تقصيني عن الأرب

وقد غدوت وآمالى مطرحة وفى أمورى ما للضرب فى القنب  
أى ورنى ، كان له أن يقول :

وحق قلّم الاخفاق ظفرى وحتى حطم الافراط نأى  
بدلاً من قوله :

وحق قلّم الاملاق ظفرى وحتى حطم المقدار نأى  
الاحفاق احفاه كقائد عام ينشد حياة جديدة للجيل الجديد والاجيال المقبلة ،  
والافراط افراط الشعب فى جهالاته وضلاله وغفوته الشبيهة بالموت الابدى ١  
٦ — ملاحظه وصفاته

مديد القامة ، قوى البناء ، ذو وجه صبح ، وشاربين طويلين ، وعصل مفتول  
وصوت عذب ، وجسم متين خالق لاجندية والكفاح .  
وهو فى ( مرآة البشرى ) : يحب الجمال ويكره القبح وينمى على أهله ،  
نجمانه بذلك محاسبة : لا يتقى فى القول ولا يتحرف ، حفيف الظل ، عذب الروح ، حلو  
الحديث ، حاصر البديهة . رائع النكتة . بديع المحاضرة . إذا كتبك يوماً أن تشاهد  
مجلسه أخذك عن نفسك حتى ليخيل اليك أنك فى بستان تعطفت جداوله ، وهتفت  
على أغصانه بلابه . وأشرق روجه ، وتألّق ورده ، فأدركك طلعة الحب : تائب عيناه وهذا  
حدّه ! تنفس فيه النسيم بسحر هاروت ، فاعجب لمن ينشر هذا النسيم كيف يموت ١  
والبدر فى ملكه بين المجرة والجوزاء ، يخلع على الروض حلة فضية بيضاء ، فلا تدرى  
ألمست السماء فى الروض أم أمسى الروض فى السماء ؟ كان متلاقاً إلى حد كبير : فقد  
تجتمع له الالف ولا تمكث فى يده أسبوعاً ، متفصلاً فى طعامة وشرابه إلى حد كبير .  
فلننتقل الى رثائه ففيه مادة غنية حصبة تغنيك بعض الشئ يا صاحبي عن قتل الرثاء  
وفنه المرذول بحجاب شعرنا العصرى الجديد ، ذلك الشعر الانسانى الساخر الى السماء .  
ان قصيدته فى رثاء الامام محمد عبده هى وايم الحق كتمثال صامت له ، فانظر اليه  
فى مطلعها :

سلام على الاسلام بعد محمد سلام على أئمة النضرات ١  
أليس فيه من المتعة الفنية ما يحجب البك الشاعر وشعره المتمثل فى قوله :  
لقد كنت أخشى عادى الموت قبله فأصبحت أخشى ان تطول حياتى ١

فن جزالة في اللفظ ورمانة الى قوة في المعنى والصياغة تراها في هذه القصيدة  
أوبعبارة أخرى في ذلك المثال .

لكنني لم يرقني قوله :

فيا منزلا في عين شمس أظلت وأرغم حساى وقم عداى  
لان الشاعر في موقفه الانساني المشرف هذا ما كان يجدر به أن يهوى الى هذا  
الحضيض حيث الدنيا بما فيها من حقد وحسد وعداء .

وقد اتهمه الدكتور طه حسين في تقليده لمسلم بن الوليد في قصيدته « لا تدع  
في الشوق اني غير معهود » لقوله في استاده البارودي « ردوا علي بياني بعد محمود » .

وانني رغم تسليمي ببعض نظرية الدكتور طه فان هذه القصيدة والحق يقال ليست  
غير مثال بديع للبارودي الذي أحبه حافظ ونسج على مواله في الشعر ، وانه — أي  
البارودي — هو والمعري هما اللذان أرا على شعر حافظ بآثارها التي أحبها  
كل الحب .

وتتجلى الشعبية الخالصة عند شاعرها في رثائه لرجال الوطنية كمصطفى كامل  
وفريد وزغلول ، فاسمع اليه في قوله يرثي مصطفى كامل :

أرى جلالا ، أرى نوراً ، أرى ملكاً أرى محباً يحينا ويبتسم  
الله أكبر ! هذا الوجه أعرفه ! هذا فتى النيل ! هذا المفرد العلم !  
وخير رثاء له عندي قوله في المرحوم قاسم أمين :

الحكمم للأيام مرجعه فيما رأيت فتم ولا تسل  
وكذا طهارة الرأي تتركه للدهر ينضجه على مهل

ولك أن تنتقل معي من رثائه الى وصفه فتجده قد أجاد الوصف رغم افلاله  
واقصاده . انظر اليه في قصيدته عن « الشمس » :

نظر (ابراهيم) فيها نظرة فأرى الشك وما ضل اليقين

تجده يستمر معك في غمامة معانيه وجزالته القاطعة الى أن يقول :

هي طلح الروض نوراً وجنى هي نشر الورد طيب الياسمين

فيحملك على أن تنفى بهذه القطعة كالشودة عذبة طبعت بطابع الخلود .  
واقرا ممي وصفه هذا الذي وجهه الى صديقه عمون بك :

قصور كأن بروج السما ه خدور الفواني بأدوارها

هو جميل الى حد ما ، بيد أنك يا صاحبي لو ظلمت تنقب في صفحات الديوان فلن  
تعثر على قطعة وصفية فنية ممتازة مما تنفى به الشعراء المحدثون .

ولكنك لو تلمست لحافظ الاعذار في اماله تلك الجوانب الشعرية الخالدة  
فليس لك أن تلمس العذر له في اماله « النيل » ذلك الاهمال المزرى به كشاعر  
النيل !

ألم يخلق بجواحيه أي يوم في سماء النيل في سياحة روحية ويرى آلهة الشعر  
وعرائس الحب وبنات الجمال تشدو بجباله الخالد على عمر الدهور والعصور حتى يصف  
لنا ما شاهد في ثوب جميل من أثوابه الغاية التي كان يحوكمها من نسج مؤاده ١٢  
يقولون إن حافظاً كان قوي الحافظة وخاصة في استظهار روائع الشعر العربي ، وقد يكون  
هذا صحيحاً ... لكنني أشك في قوة حافظته لاسباب بعد أن تعدى طور الشباب الاول ،  
ذلك لانه كان ضعيفاً في اللغة الفرنسية لدرجة انه لم يقدر على ترجمة البؤساء ، وكتيبه  
الاخلاقي ضعيف كذلك لعدم احاطته بأسرارها ، ولأنه لم يتكلم بها ولم يقرأها كالادباء  
الذين يحيطون بأحدى اللغات للاضطلاع بأدبها وعلومها ، وهو كما يقول مطران : « يقول  
الشعر في كل مكان يتفق له أن يخلو بنفسه ، ومن عادته دخول حقيقة الازبكية بعد  
الظهر طلباً لتلك الخلوة » . وكان لا يهتم كثيراً بالهضبة العلمية وذلك لاحتلامه الكثير  
بعضاً من الذين لاحظ لهم الا التندر والرجيلة والدعابة والمجون - أولئك الذين لا ينفع  
وقتهم لسيرة الثقافة . وكان حافظ كريم الخلق طيب القلب الى حد كبير ، وكانت  
حياته الدراسية والجنديّة والشعرية والحكومية حياة رجل يفهم الحياة في وضوح  
وجلاء .

#### ٧ - آثاره

ان تحليل آثاره وتقديرها هو بيت القصيد في هذه الدراسة ، لكنني سأؤخر في  
ذلك حتى تتسع صفحات « أبولو » لمثل هذه الدراسة ، وأبدأ الآن بالديوان .

الديوان في ثلاثة أجزاء وينقصه جزء رابع لم يطبع بعد . وأول شيء يطالعك فيه



المدح والثناء تقليداً للشعراء الاقدمين . وأما من أشد أعداء المدح والثناء ، ذلك لاني لا أجد فيهما تلك الآفاق الرحبة التي خلق الشاعر ليحلق فيها ولأن آلهة الشعر يجب أن لا تنزل من سمائها حيث الحب والحقيقة والجمال الى ذلك الدرك الأرضي حيث المادة والعبودية والضلال .

لكنني ألتبس المدر لحافظ لانه كان يحد في ذلك ما يميمه على حياته المادية من جهة ، ومن جهة أخرى كان يسير وراء العرف المتبع في ذلك الوقت : « ليس الشاعر بشاعر الا اذا أجاد المدح والثناء » ا

أنظر اليه في مدحه للجناب الخديوي : أثرى غير نظم لاروح له ، قاله صاحبه مجارة للوقت والتقاليد ، ومنافسة للشاعر شوقي الذي استلب منه الامارة ؟ وماذا كان يعنيه من قوله الى الجناب الخديوي ( ص ٢٣ من الديوان ) :

تشدو وترهف بالاشعار مرتجلاً      وتبرز القول بين الشعر والعجب ا  
وانظر اليه في قوله من المدح :  
تعمدت قتلى في الهوى وتعمدا      فا أثمت عيى ولا لحظه اعتدى !  
أليس يستوقفك هذا البيت إلى درجة أن تقرأ غيره كقوله في المدح هذا أيضاً :  
ولو أنهم قد دوا غداً فرغها      فأكوا له منها تقاباً إذا بدا  
أداً ليس لنا ان نقف وإياك أمام هذا المدح وغيره لأننا فهمنا أن الشعر غير المدح ا

ومن هذا الشعر الصناعي قوله :

خمره قيل إنهم عصروها      من خدود الملاح في ليل عرس  
مُد رآها فتى العزيز مناماً      وهو في السجن بين ثم وبأس  
أعقبته الخلاص من بعد ضيق      وحبته السمود من بعد محسرا

وله قصيدة في وصف أرملة تفسية ، جاءت له مهلهلة الاوصال مفككة الاوصال مبتدلة من واجد منقّر المنام طريد دهر جائر الاحكام

وقد نظمها وأفرغها من الروح الشعرية ففاضت روحها عند نظمها ا

« . »

ليس يبقى أمامنا من ديوانه غير شعره الوطني الاجتماعي ، وهو على حد قول اكثر

النقاد ميزته الواضحة التي عُرف بها في حياته كشاعر وطني ضرب في البحوث الاجتماعية بسهم وافر - وسحر الشعر لأغراضه ، فكان له كل ما أراد من جزالة لفظ وقوة معنى .

رأى الشعب يستكين لظلم المستعمر الغاصب ، ويستكين للرجعية الجاهلة ، ويستكين للتقاليد الشائعة والمخرافات الفاشية . يعبد الأصنام ويقدم القرابين للموتى والمعتوهين ، بعيداً كل البعد عن الحرية والنور ، فقال :

ودأى كدء الدين عزّ دواؤه وحظي كحظ الشرق نحس كواكبه  
فيا ليت لي وجدان قومي فأرتضى حياي ولا أنسى بما أنا طالبه  
ينامون تحت الضيم والأرض رحبة لمن بات يأبى جانب الدل جانبه  
وخاطب أستاذه الامام يشكو قومه الذين عبدوا الأصنام والموتى وما يزالون  
يعبدون الأصنام والموتى :

رأوا في قبور الميتين حياتهم فقاموا إلى تلك القبور وطوفوا  
وبانوا عليها جاثمين كأنهم ( على صم في الجاهلية عكف )  
وحده وعظمه يطلان علينا من حلال قصيدته « آلامنا وآمالنا » التي يخاطب بها  
المرحوم الامير (السلطان) حسين كامل :

لممرك ما أرفقت لغير مصر وما لي دونها أمر يرام  
الى أن يقول :

أرى شعباً بدرجة العوادي تمخّخ عظمه دالة عقام  
إذا ما مرّ بالبأساء عام أطلّ عليه بالبأساء عام

وانظر اليه في قصيدته « حادث دنشواي » ذلك الحادث التاريخي الذي تذكره  
الانسانية المعذبة بقلب ملء بالحسرات ودمع هتون أشبه بدمع الناكلات ، تذكره  
كسكية في تاريخ البشرية الظالمة التي يفتك قلوبها بضعيفها ، والتي اذا ما ذكرناها  
ذكرنا قوميتنا المهدورة وحقنا المضاع :

أيها القائمون بالأمر فينا هل نسيتم ولائنا والوداد ؟  
انما نحن والحمام سواها لم تفادروا أطواقنا الاجيادا !

الى أن يقول :

ليت شعري أُنلك محكمة النخ تيش عادت أم عهد نيرون عاداً ؟  
أليس هو وشعره المرأة الصادقة التي تنعكس عليها صور الشعب المتألم الراسف  
في اغلال الاستعباد وقيود الهوان ، يئن وما لصونه من سميع ؟  
بلا شك هو أول شاعر اجتماعي في الشرق العربي استطاع أن يصرب على الوتر  
الحساس ويرضى العامة والخاصة وبصع شعره بصبغة نيرة عن غيره وتجعله أقرب  
إلى جانب الحق والخلود .

وانظر اليه وقد ضاق ذرعاً بشعبا المسكين الهادي الذي حرحت كرامته ولم  
ير في ذلك من حرج :

أنا لولا أن لي من أمي خاذلاً ما بت أشكو النوبا  
أمة قد فت في ساعدها نفصها الأهل وحب الغريا  
والى قوله من قصيدة أخرى :

لقد غضب الناس من قبلنا لنسب الحقوق ولم نغضب  
أمور نمر وعيش بمر ونحن من اللهو في ملعب  
وشعب يفر من الصالحا ت فراو السليم من الأجرب  
وانظر اجتماعيته الخالدة التي قالها بمناسبة افتتاح مدرسة بورسعيد للبنات  
ومطلعها :

كم دا يكاد عاشق ويلاق في حب مصر كثيرة العشاق  
والتي جمعها في هذا البيت الخالد :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق  
وانظر الى قصيدته في وداع اللورد كرومر إذ يقول :

رمي دار المصارف بالرزايا وجاء بكل جبار عنيد  
يدل بحوله وينيه نهياً ويبعث بالنهي عبث الوليد

وإن أنس لا أنس عتبه على مصر في أبياته التي يقول في مستهلها :

في البحوث  
اد من جباله

ية الجاهلة ،  
رايين للموق

كواكبه

ما طالبه

ل جانب

وما يزالون

يطوفوا

كف

يخاطب بها

أم

أم

أم

الذي تذكره

ت ، تذكره

ما ذكرناها

دادا ؟

بيادا ١

ماذا جنيت وما جنسك بنوك أظلمتهم يا مصر أم ظلموك ؟  
 ونداءه في سبيل الوثام بين مصر والشام :  
 لمصر أم لزبوع الشام تنسب هنا العلا وهناك المجد والحسب ؟  
 وشعره الوطني ينطق بصدق إخلاصه ووطنيته الجائشة العياصة التي عُرف  
 بها الفقيه في حياته .  
 ومن شعره الوطني الذي لم ينشر في المطبوع من ديوانه قصيدته التي نشرها « البلاغ  
 الأسبوعي » بعده الأول و مطلعها :  
 قد غفونا وانتبهنا فادا نحن غرق وإذا الموت أمم  
 واني أترك بقية شعره للكتاب الذي سيصدر عنه ، واكتفى الآن بالتحدث عن  
 بقية آثاره ، ولكني لا أعدد حافظاً بأي حال من الأحوال في أهله الثورة المصرية وعدم  
 ذكره أي شيء عنها يستحق أن يُشاد به .

#### ( ليالى سطيج )

أنشأ حافظ ( ليالى سطيج ) في مواضيع اجتماعية على مثال حديث عيسى بن  
 هشام للموهلحي الذي اشتهر به في ذلك العهد شهرة واسعة ولكن كتاب ليالى سطيج  
 يختلف كثيراً عن حديث عيسى ، ذلك لأن حافظاً باعد بينه وبين ذلك السجع المملول  
 الذي بنى عليه حديث عيسى ، وليس معنى هذا ان ليالى سطيج خالية من السجع قوية  
 الأسلوب ، بل ان سجعها أقل من سجع حديث عيسى بكثير وأسلوبها أقرب الى  
 أسلوبنا الحديث

وهي نواة القصة المصرية الحديثة التي كان نود من حافظ أن يقتحم أبوابها لو  
 أنه راعى فيها الأسلوب والشكل والوحدة الفنية . ومناقشة ما جاء بليالى سطيج من  
 الآراء يحتاج الى أكثر من صفحات « ابولو » ، فعمى أن أوفق الى تقديمه  
 وتحليله في فرصة أخرى .

#### ( البؤساء )

قصة عالمية من الأدب الرفيع لفكتور هوجو ، ترجمها حافظ — استغفر الله بل  
 اقتبس منها جزأين صغيرين ولم يستطع إتمام ترجمتها لما لاقاه من المشقة والعناء  
 لعدم تمكنه من أمرار اللغة الفرنسية من جهة ، ومن جهة أخرى لغرامه المنقطع

النظير باللفظ مما حشده بالترجمة العربية ، وبالرغم من أن هوجواشتهر بانغرافه في اختيار ألفاظه أغرق شاعرنا أيضاً في اختيار ألفاظ الترجمة العربية حتى بعدت عن الأصل الفرنسي . ولو قارنت بين الترجمة والأصل الفرنسي لظهرت الاختلافات التي نأخذها على حافظ وحدث به الى أن لا يقدر على اتقان الترجمة ، وسنبين ذلك كله في فرصة أخرى . أما كتابه في التربية والاخلاق أو بعبارة أصح كتيبه فقد نقله الى العربية في اسلوب سليم وعبارة سهلة تنفق ومشارب أطفاليا وللأسف لم يترجمه جميعه بل ترجم منه جزئين أيضاً ١

وترجم كتابه في الاقتصاد هو ومطران ترجمة دقيقة يرجع المصطلح في دقتها واستيعابها لمطران لا لحافظ ١

#### ٨ — تجديد

بالرغم من نسجه على موال الشعراء القدماء فيه في الشعر نظرة أقرب الى نظرنا ، ولو أنه لم يبرهن على ذلك الا بشعره الاجتماعي وبمظلومته الصغيرة التمثيلية «غادة بيروت» التي لا يصح اعتبارها قطعة فنية تمثيلية كما تكون القطعة الفنية التمثيلية . بل هي عندي قصيدة جديدة لحافظ ومحاولة يسيرة لتجديده لا أكثر ولا أقل ، وكانت سمحت له الفرصة الغنية بوجود تلك المادة الخصبية التي تسعف الشاعر الموهوب بما يتطلبه منه الفن من حق وجمال وتجديد يظهر لنا من قصيدته التي يقول فيها للشعر : « ضمت بين النهى وبين الخيال » .

#### ٩ — شعره

من أفخم روائع الشعر العربي ، تغلب عليه الجزالة والريانة والقوة ، ولو كان له الخيال والخصب والثقافة الحققة خلق لنا من الآيات ما تنظر اليه الأجيال القادمة بعين الإعجاب .

#### ١٠ — لمحة خاطفة

يعتبر الراقم على فن الترجمة حلوه من النقد التحليلي من جهة ، ومن جهة ثانية لأنه لا يتعدى الشرح والتفسير ولأنه ليس المثل الأعلى الذي ينشده الناقد الهادم الساذج البصيرة . ونحن من أشد أنصار النقد التحليلي ومن أشد أنصار الهدم متى



وحدنا أنت الأساليب والنماذج الشعرية أو الأدبية أو الفنية التي تقدم إليها  
مهارة سقيمة لا تتفق والمثل العليا التي نشبت بها فوق عراما بالترجمة التحليلية  
التي تساعدنا على فهم الشاعر أو الأديب أو الفنان لأنها بمثابة التحقيقات عند  
القاضي النزيه !

ولابد أن تسألني يا صاحبي لماذا غفلت هذه الناحية القدية عند حافظ فأجيبك  
بان شعر حافظ فيه من المداخلة والبساطة والصدق والجمال ما يجعل الساقط يقف  
معه موقف الصداقة والحدب لا موقف العداوة .

فإذا تطلب من حافظ ونقده وقد أحاد الرجل الرثاء ونبغ فيه وشارك الشعب  
في آلامه وآماله وأضحت رسالته رسالة المصلح الاجتماعي الذي تحبه الاسابسة  
المعذبة والعدالة والقانون ؟

أدأ ليس لنا أن نغلو في تقصده كما نغلو في نقد شوقي أو العقاد أو الزهاوي أو  
أبي شادي لأن لكل منهم عوالمه التي خلق في سماواتها ومثله العليا التي نشدها .  
ولابد لكل واحد منهم أن يدفع الثمن غالياً لأن المثل العليا لا تعرف  
الموادة ولا اللين ؟

أحمد محمد عبس



### الشاعر البائس

حياته — الكتب التي قرأها — الشعراء الذين تأثر بهم — نظرات في شعره  
مظاهر البؤس فيه — اسباب بؤسه — حسنات هذا البؤس وسياته

مند نصف عام تقريباً أخرج الدكتور أبوشادي محرر « أبولو » كتاباً خاصاً  
بذكرى المفقور له أحمد شوقي بك حشد فيه شتيراً من الدراسات المستفيضة ،  
والقصائد الرائعة لكبار الكتاب والشعراء في مصر وفي غير مصر

وسبظل هذا السفر القيم الذي أتيح لي أن أساهم فيه بنوع من هذه الدراسات  
خير مرجع لمن يريد الكتابة عن هذا الشاعر الخالد في المستقبل .

واليوم يصجل له التاريخ اليد الثانية على الأدب حيث يخرج لنا عدداً خاصاً  
بمحافظة : ذلك الشاعر المغبون الذي عاش بائساً ومات بائساً، ولا أود أن يفوتني الاشتراك  
في هذا العدد التذكاري الذي اعتقد أنه لن يقل عن سابقه جمالا وجلالا .

ولقد مضى على أكثر من نصف شهر وأنا تصفح ديوان حافظ بدأب وشغف  
وأمعن في دراسته لأتلمس ناحية غالية أو عاطفة مسيطرة على شعره أعالج في بحثي  
الذي انتويته دراستها وتحليلها فكنت في كل صفحة من صفحات هذا الديوان وفي  
كل سطر من سطوره أرى البؤس ماثلاً سافراً وحسباً بحق الشاعر وترمه  
بالحياة وأهلها واضعاً ملموساً في جميع ما قرأت .

### حياته

عاش حافظ ستين عاماً أو تزيد قليلاً قصى الجانب الأعظم منها مكثباً حزيباً،  
وكانت حياته بوجه عام سلسلة من الآلام والمتاعب ليس فيها ما يبعث الأمل أو  
يساعد على السلاوان . وهذه الحياة الشاقة المضنية تختلف في أطوارها احتلافاً تقسمها  
من أجله الى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : بدأ حافظ بشاة لم يفارقه البؤس فيها لحظة واحدة وتعرف  
إلى الحزن والكآبة في مهده فاستنكر وجوده ونحى في هذه الس المسكرة فناءة  
وفي ذلك يقول :

وودت لو طرحوأني يوم جثتهم في مسبح الخوت أو في مسرح المطب

وقد كانت له نفس طليمة تميل للمحد وتكلف بالمعالي . لم ير في تعبمه البسيط  
ما يغدى هذه النفس الهمة فطنق يندبها بالقراءة والاطلاع وهو بعد فتى لم يطو من  
طريق الحياة أكثر من عشرين عاماً . وما إن وصل إلى هذه السن حتى كان قد قرأ  
من أمهات الكتب أكثر من خمسين كتاباً كما يقول عارفوه والمنصلون به عن كثب  
وكان يقرأ الكتب بهم وشغف ويحفظ من كل منها أحسنه ومن تحدث إليك في  
موضع آخر عن نوع هذه الكتب — وقد بدأ منذ هذه السن ينظم مقطوعات  
قصيرة أكثرها في المدح ومداعبة الأصدقاء .

المرحلة الثانية : لم يكد حافظ يبلغ العشرين من عمره حتى التحق بـ مدرسة الحربية

كضابط برتب ضئيل لا يكاد يكفيه ، وكان يقضى أوقات فراغه من عمله على وجازتها بين الكتب . وشاءت المقادير بعد ذلك أن يُسقل حافظ إلى السودان عطوحت به يد النوى مأسوفاً على فراقه من أصدقائه وخلانه .

وكانت الحكومة إذ ذاك تعد السودان منقياً لمغضوب عليهم من الجود والضباط ومكنت حافظ في السودان بين نارين نار القبطونار القبط . وكان الحاكم به يومئذ خليطاً من المصريين والانجليز ، وكان لاولئك السلطة الفعلية في جميع الأمور ، وكان حافظ ينظر إلى هؤلاء والانجليز المماشرين له بعين البغض والشتآن ، ويزداد حسرة والمآكلما رأى نفسه وإخوانه عبيداً لا أولئك القوم الطائرين . وجدير برجل كبير النفس رقيق الاحساس كحافظ أن يتأثر بما حوله وأن تظهر هذه الآثار في نظمه ونثره ، وكتابه « سطوح » أصدق مرآة تمثل لك حياته الخاصة في السودان ومعاملة الانجليز له وللمعاشريه من المصريين في هذا العهد الذي يصفه لنا في قوله :

إذا نطقت ففقا السحن منكئى وإن سككت فإن النفس لم تطب

وستحدث عن هذا الكتاب بنوع من الاسهاب عند دراستنا لنثره .

أمّا آلامه في السودان وما كان يعانيه في بيئاته من بؤس وعذاب فقد تكفلت ببيان معظمه تلك الرسالة التاريخية التي بعث بها من منعه إلى الاستاذ الإمام يرجوه فيها أن يسمى لدى ولاء الأمور في قلبه من السودان . وكانت هذه الرسالة أول حجر في بناء صلته بالاستاذ الإمام .

قرأها فأعجب بها وأحباب عنها وسعى في قلبه ومن ذلك الحب بدأ حبه عليه وتقديره له . وهذه الرسالة كما تدل على ان حافظ لم ين لحظة عن الاطلاع والحفظ والكتابة تصور لنا مقدار ما كان يعانيه من آلام ويدخله من هموم في هذه البلاد وهي طويلة تخير منها ما يأتي :

لقد حملت في السودان حلول الكليم في التابوت ، والمغاضب في جوف الخوت ، بين الضيق والشدة ، والوحشة والوحدة . لا بل حلول الوزير في تور العذاب ، والكافر في موقف الحساب ، بين نارين نار القبط ونار القبط .

فناديت باسم الشيخ والقبط جرة يذيب دماغ الضب والعقل ذاهب

واستمع اليه وهو يقول من قصيدة بعث بها إلى احد اصدقائه بمصر يتشوق اليها ويصف آلامه وأشجانه :

وما أعذرت حتى كان فعلى دماً ووسادنى وجهه التراب  
 وحتى صيرتنى الشمس عبداً صبيحاً بعد ما دبفت إهابى  
 وحتى قلم الأملاق ظففى وحتى حطمت المقدار نابى  
 متى أنا بالغ يا مصر أرضاً أشم بترتها دبح الملاب ١٥  
 وسترى بعد أن هذه المرحلة كان لها أثر أى أثر فى انتاحه ولا سيما جاب البؤس  
 والألم منه .

المرحلة الثالثة : وهذه مرحلة الضوج والأعمار بحق فلم يكدر استقبال من عمله  
 ويفلت من قيد وظيفته حتى تجلى بوعه وبدأ ينتفع بمواهبه ويتفرغ للعمل الذى  
 خلق له . وبدأ كان قبل ذلك يختلس أوقات المطالعة ويسترق سويحات النظم  
 والتدوين فانه هنا قد تفرغ للأدب واشتدأ يقرأ الكتب الكبرى وينشد القصائد  
 الغراء فى شتى المناسبات ، وقل أن نجد مسألة هامة أو حادثاً جليلاً فى هذا العهد لم  
 يسلم فيه بشعره . وثلاثة أرباع ديوانه أثر من آثار هذا العهد ، على أن هذه المرحلة  
 التى تكون النصف من عمره ليست كلها مرحلة فيض وانتاج بل تنقسم بالنسبة إلى  
 ذلك ثلاثة أقسام :

- ١ — فترة قوية مخصصة فى جميع الدواحي ، وهى تكون الشطر الأعظم من هذه  
 المرحلة
- ب — فترة صمت وركود وإجداب ، وهذه هى مدة وجوده فى دار الكتب  
 المصرية .

ج — فترة انطلاق ونهوض وهذه المدة قصيرة المدى لا تكاد تمحور العام فادر  
 فى أوله دار الكتب وغادر فى آخره عالم الفناء : وشعره فى هذا العام سياسى محض  
 يعاتب فيه الانجليز ويذكرهم بعمودهم التى سكنوها .

#### الكتب التى قرأها

يقول كثير من الأدباء الذين كتبوا عن حافظ غيباً موته أنه كان معجباً بكتاب  
 الاغانى لآبى الفرج الأصفهاني إعجاباً جعله يقرأه أكثر من مرة ، بل يذهب بعضهم

إلى أبعد من ذلك فيقول إنه لم يقرأ كتاباً في الأدب سواء واعتقد أن هذا الكتاب على الرغم من شهرته وسمعته في بابيه لا يكون وحده شاعراً كحافظ لأنه شئت من أخبار مصعنة وأشعار غير مضبوطة ولا مشروحة ونراجم الكثير من الشعراء والكتاب متفرقة لا تجمعها جامعة . وهو ذوق ذلك من لا بالخطأ المطبعية التي تستنفد الوقت في صيغتها وإصلاحها — ونحن مع اعترافنا بفلاء الكتب في هذا العهد وقلة تداولها بين الأُدباء لا نكاد نعلم بأن اطلاع حافظ كان قاصراً على كتاب واحد أيّاً كان نوعه .

وأت إذا قرأت ديوانه روية وامعان وقرأت إلى جانبه كتابه «البؤساء» وسطّحه ووقفت على ما كان يستعمله في نظمه ونثره من الألفاظ والمعاني التي لم يتعلمها في مدرسة ولم يتلقها عن أستاذ — إذا عرفت ذلك وسمعت ما يقوله المعروفون من رجال دار الكتب من أنه كان يقضي كل فراغه بين جدرانها عرفت عن يقين أنه لا بد قد طالع كثيراً من كتب الأدب وقرأ كثيراً من دواوين الشعراء القدامى كأمريء القيس وعنترة والرافعة والمحدثين كالمتنبي والبحتري وأبي نواس وأبي تمام . وحفظ لكل من هؤلاء أحسن ما قرأ .

والتأمل في السطور الآتية من رسالته السابقة إلى الأستاذ الامام :

« وجمعت في كتابي هذا بين ثقة الزبيدي «المصمصاة» ، والحارث «المنسجمة» ، فم أقل ما قاله المهمل لصاحبه ، حين نسي وعده وحمد يده . يا دار عاتكة التي أنغزل بل أنادي به نداء الأخيذة في عمورية شجاع الدولة العباسية »

وقوله في قصيدة «غادة اليباب» :

وتقحمت الردى في غارة أسدل النقع عليها هيدبا<sup>(١)</sup>

جال عزرائيل في المحائس تحت ذاك النقع يمشى الهيدبا<sup>(٢)</sup>

أجل . من يقف على هذا وأمثاله لا يسمعه إلا أن يحكم بأن حافظاً كان واسع الامام بدقائق اللغة ثرياً في الألفاظ والمعاني محيطاً بكثير من أخبار العرب ومجالسهم حافظاً لشيء كثير من حكمهم وأمثالهم . وهل يفسر لشاعر لم يقرأ قصة أصحاب الكهف ولم يدرس تاريخ أبي نواس ويقف على مثل رأيه في الخمر حين سئل لم لا يترك الخمر ؟

(١) الهيدب : السحاب (٢) الهيدبا : نوع من مشى الخيل



وانت تعلم ما تفعل بشارها من المهانة والسخرة ١ - فقال : ومن لي يعرفان ذلك  
وانا مسكر قبل الصبح ولا افيق إلا بعدهم - وهل يستطيع من لم يعلم شيئاً من  
ذلك ان يقول في شعره :

فواصلنا كؤوس الراح حتى بدت للعين أنوار الصريم  
واعملنا بها رأى ابن هاني فألحقنا بأصحاب الرقيم  
وهل زحى من لم يقرأ شيئاً من المانوية ومذهبهم وآراءهم في مع النسل  
والعمل على تعجيل القاء ان يقول :

لعل ماني لاقى ما أكابده فودّ تعجيلنا من عالم الشجب  
وسأقدم اليك بأبيات من شعره نستطيع أن نتعرف بها مقدار الكتب التي  
قرأها ونوع هذه الكتب إن كنت بالادب واسفاره خبيراً .

ويقول حافظ في مدح الاستاذ الإمام :

طلعت لها باليمن من خير مطلع وكنت لها في الفوز قدح بن مقبل  
ويقول في وصف كساء رث :

نسبه لطيلسان ابن حرب نسبة لم تكن بذات افتراء  
ويقول في الانجليز وسوء معاملتهم :

لقد كانت الامثال تضرب بيننا بيجور سدوم وهو من أظلم البشر  
فلما بدت للكون آيات ظلمهم إذا بسدوم في حكومته حمر

وإذا كان الكلام من الكلام وكان لابد للناظم أو الناثر من ذخيرة كلامية  
يستنجدها البديهة ويستدعيها اليراع ، كانت أبيات الشاعر وفقرات الناثر عنون  
تلك الذخيرة .... وإذا عرفت أن ابن مقبل الذي في البيت الاول مقامر جاهل فاز  
قدحه ٧٠ مرة متواليه فضرب به المثل في الفوز - وأن طيلسان ابن  
حرب الذي جاء في البيت الثاني جلباب قديم بال ، مدح ابن حرب أحد الشعراء نخله  
عليه فنظم فيه هذا الشاعر أبياتاً كثيرة صيرته مثلاً لكل ثوب من دونه ومن  
هذه الأبيات :

يا ابن حرب كموتى طيلسانا ملّ من صحبة الزمان وصدا  
طال ترداده على الرقع حتى لو بعناه وحده تهدى

وأن «مدوم» التي وردت في البيتين الأخيرين اسم قاض كان يضربه المثل في القسوة والظلم وكان حاكماً على قرية من قرى لوط الخمس تعرف بهذا الاسم أيضاً وقد غضب الله على أهلها فدمرها عليهم .

إذا عرفت هذا أو أشباهه مما يستحيل أن يحتويه كتاب أو كتابان أيقنت بأن حافظاً لم يسمع بكتاب في أحوال العرب وأخبارهم ، ولم يقع بصره على مؤلف أدبي أيا كان نوعه إلا طالعاه وألم بما فيه :

ولقد كان للتاريخ وأطواره من عنايته ما لا يقل عن عنايته بالأدب وبواحيه والتاريخ والأدب اخوان لا يُعنى أحدهما عن الآخر إلا بمقدار ما تغني العين عن الأذن أو الأذن عن اللسان عند فاقد أحدهما ... وإحالك لا تشك في ذلك إذا سمعته يقول في فتنه الآستانة :

يا أسيراً في سلت هيلين رجب      بأسير في سالونيك جديد  
وقوله في احتفال أقامته الجامعة المصرية :

هنالك الغيد جادت بالذي بخلت      به دلالة فقامت بالذي وجبا  
جزّت غداً شعر مرّحت سفاً      واستنقذت وطاً واسترجمت نشبا  
رأت حلاها على الاوطان فابتهجت      ولم تحمرّ على الحلّى الذي ذهبها  
وزادها ذاك حسناً وهي طائلة      تزمى على من مشى للحرب أو ركبا  
وقوله موضع ثالث مخاطباً «روزفلت» ومُرضاً بالانجليز :

ليت شعري أكنت تدعو اليهم      يوم كانوا على تخوم النغور  
يوم كانوا قدّى بعين نيويو      رك وداء مستحكماً في الصدور  
يوم نادى «واشنجتون» فلما      «من الغيل كل ليت هصور

والمعنى في شعر حافظ يرى أنه رحمه الله لم يكن يقصر اطلاعه على الأدب العربي حسب بل تعداه إلى الأدب الأوروبي ، فقرأ «ماكبث» لشاعر انجلترا وليم شكسبير وأعجب بها ونظم أروع موافقها في قصيدته التي يقول في مطلعها :

كأنى أرى في الليل نصلاً مجرّداً      يطير بكاتا صفحتيه شراراً

وإن وصفه لفرسكتور هوجو الكاتب الفرنسي الدائع الصيت . وراثه  
اتولستوي العيلسوف ليدلان على أنه قد درس مذهب كل منهما وتعاليمه ووقف  
على كثير من حسناته أو ميزاته التي هي عماد الوصف والثناء . وكان كثير الاعجاب  
بالأدب الفرنسي على الخصوص، وما كتابه البؤساء بجزءه، وما تلك الحكم الشعرية  
التي ترجها لروسو ونظمها إلا ثمرة من ثمرات هذا الاعجاب .

وإذا علمت أن حافظاً لم يتعلم تعليماً دينياً ولم يتصل في صباه بالارهر ولا بأحد  
فروعه ورثت كثرة اقتباسه من القرآن واستشاده بقصصه واستعماله لتراكيبه  
أيقنت أن المصحف الشريف كان في مقدمة الكتب التي يقدسها ويدأب على  
مطالعتها بشوق وشغف . وإذا لم يكن ذلك كذلك فقل لي بربك كيف نسي له  
أن يقول في وصف الشمس مشيراً إلى قوله تعالى في سورة الانعام حكاية عن ابراهيم :  
« فلما أفلت قال: إني لا أحب الآفلين » .

نظر ( ابراهيم ) فيها نظرة فأرى الشك وما ضلّ اليقين  
قال : ذا ربي ، فلما أفلت قال : إني لا أحب الآفلين  
أو يقول في وصف الخمر مشيراً إلى قوله تعالى في سورة يوسف حكاية عن فتى  
كان معه في السجن : « إني أراي أعصر خمراً » :

مذ رأها فتى للعزز متاماً وهو في السجن بين هم ويأس  
أعقبته الخلاص من بعد ضيق وجته السمود من بعد محس  
ويقول في شكوى الزمان مشيراً إلى قوله تعالى في سورة الصافات « وَقَدْ بَنَاهُ  
بِذَرِّعٍ عَظِيمٍ ) وقوله في سورة يوسف ( وَقَرَّوْهُ بِشَعْنٍ يُخَصِّرُ دَرَارِمَ  
مَعْدُودَةٍ ) :

وكم أذرت بنا الايام حتى فدت بالكبش اسحق الذبيحا  
وباعت يوسفاً بيع الموالى وألقت في يد القوم المسبحا  
ولا أرى كيف فات حافظاً أن الذبيح هو اسماعيل لا اسحاق، وأن المسيح لم  
يقع في يد القوم كازموا « وَمَا فَتَكُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ » ،

ضربه المثل  
الامم ايضاً

ت بأن حافظاً  
بي أيا كانت

ب ونواحيه  
ي العين عن  
لك إذا سمعته

جديد

وجبا  
ت نشبا  
ي ذهبا  
أوركبا

التغور  
سدور  
هصور

على الأدب  
ساعر المجلثرا  
في مطلعها :  
شرار

## الشعراء الذين تأثر بهم

كان حافظ كما كان أبو تمام كثير المحفوظ من شعر العرب، ولقد أثرت ذلك المحفوظ في شعره فجاء صورة صادقة لما قرأ وما حفظ. وإنه لمن العبد الواضح والفهم الفاحش أن تقول إنه قد تأثر بشاعر فرد حتى تجلت في شعره أخيلة ذلك الشاعر وتشبيهاته وحده وملكته طريقته في التعبير مما يريد.

وقد يحيل إليك إذا سمعت قوله :

جنبتُ عليك يا نفسي وقبلي عليك جنى أبى فدعى عتاي  
أنه قد تأثر بالمعري حيث يقول :

هذا يجناه أبى على وما جنيتُ على أحد

وقد ينمو في نفسك هذا الظن إذا قرأت له قوله في موضع آخر :

وإلا فاني كافٍ رؤبة لم أزل بقيد النوى حتى تقول الغوائل  
وعرفت أن المعري قد سبقه إلى ذلك فقال :

مالي غدوت ككفاف رؤبة قيدت في الدهر لم يقدر له اجراؤها  
فهل هو كذلك ؟ ولم لا تقول في قوله :

ليت شعري هل لنا بعد النوى من سبيل للقى أم لآت حين  
إنه كان متأثراً ببشار بن برد حيث يقول :

يا ليت شعري وقد شط المزار سهم هل تجمع الدار أم لا نلتقى أبداً  
ولم لا يكون حين يقول في الرثاء :

رحم الله منه لفظاً شهباً كان أحلى من رد كبد الأمدى  
متأثراً أو محاكياً للخوارزمي حين يقول في النزل :

وصكيف ونظرة منها اختلاسا الله من الشامة بالعدو  
بل قد يرجع لديك وأنت تقرأ قوله في تأبين المغفور له مصطفى كامل :

عليك، وإلا ما لدا الحزن شاملاً وفيك، وإلا ما لدا الشعب باكياً

وفوله في موضع آخر :

وكننت إذا عمدت لأخذ قارٍ أسلت البر بالأسد الضواري  
أنه قد تأثر في الأول بقول المعتمد بن عباد :

على ، وإلا ما بكاه الغائم ؟ وفي ، وإلا ملأوا الحام ؟  
كما تأثر في الثاني بقول كثير في الغزل :

أخذنا بأطراف الأحاديث يسا وسالت بأعناق المطى الأباطح

الحق أنه قد قرأ لهؤلاء الشعراء جميعاً وحفظ لكل منهم وتأثر به بمقدار ما قرأ أو  
حفظ من شعره ، والذين يقولون إنه قد تأثر المتنبي أكثر من تأثره بأي شاعر  
آخر إنما ينظرون في دراستهم إلى ناحية خاصة لعملها قدرته وبراعته في وصف  
الحروب ومبادئها وما يلحق بها ، وهذا النوع من الوصف قد انفرد المتنبي  
بالإجادة فيه .

ونحن وإن كنا لا نستطيع أن نقاسي أن حافظاً وشوقي ومن قبلهما البارودي  
قد أكبوا على دراسة هذا الشاعر المد واستفادوا جميعاً من شعره واتخذوه استاذاً  
لهم خصوصاً في هذه الناحية - ناحية الحروب وما يدور فيها من هجوم ودفاع أو هزيمة  
وانتصار - فإنه لا يصح كذلك أن ننسى أن حافظاً كان ضابطاً يمشي بين الأسلحة  
والعصائب ويشهد بنفسه المعارك ويسمع ناديه قذائف المدافع وصليل  
السيوف .

وإذا كان شوقي وهو لم يتقلد صارماً ولم يحرراً استطاع بحض التقليد والاعتماد  
على الأذن تارة وعلى التخيلة تارة أخرى أن يأتي في وصف الحروب هذه المطولات  
الرائعة ، ولم يعمه بعده عن الوغى وعدم خبرته بالقتال ومعاناته أو معانيته له من أن  
يقول في حرب البسيلة العلية مع اليونان :

كأن الوغى نار ، كأن جنودنا مجوس إذا ما يعموا النار قربوا

كأن الوغى نار ، كأن الردي قرى كأن وراء النار (حام) يدأب ا

كما يقول في موضع آخر واصفاً هزيمة اليونان :

على القلل الأجيال حيرى جوعهم شوأخص ، ما إن تهندي أين تذهب

ذلك المفوظ  
منح والغين  
ذلك الشاعر

عتابي ا

الغوائل

برأوها

حين ا

أبدا

لأعادي

لعدو

باكيا



إذا صعدت السيف أبيض خاطف وإن نزلت النار حراء تلهب  
فليس بمجيب أن ينبغ حافظ في هذه الناحية وهو ابن الحرب الذي اصطفى  
بنارها وقضى زهرة شبابه بين السيف والمدفع وشاهد بعينه وسمع بأذنيه وقائعها.  
وقد ماصر حافظ صديقه البارودي في أخريات أيامه وأعجب به وبشعره حتى  
طلب إليه أن يصدر ديوانه بصورة أو حكمة تعرفه إلى القراء فتمثل بهذين البيتين  
من شعره :

أنا ابن قول وحسي في القفار به وإن غدوت كريم المم والخال  
فانظر لشعري نجدة تسمى مصورة فيه ، فس يقول قد خطتمنا  
وبينا تراه يترفع عن تقليد غيره من شعراء عصره تراه كثير الميل إلى محاكاة  
البارودي والاستفادة من شعره والاعتراف له بالفضل والنبوغ .  
وإنك ترى هذه الصلة الغالية صلة التلميذ بأستاذه أو الولد بأبيه ماثلة فيما نظمته  
في مدحه أو رثائه من قصائد . واستمع إليه حين يمدحه فيقول من قصيدة طويلة :  
ولو أنني نافرت دهرى وأهله بفخر ما أبقيت في الناس سيدي  
ولو لم يمدح البارودي بغير هذا البيت الخالد لكفاه فخراً وشرفاً .

### نظرات في شعره

لا أستطيع في هذه الصفحات القليلة أن أستعرض مواضع الجمال في شعر حافظ  
أو أنقد ما فيه من هبات ، ولا أدعي أني درست دراسة تحسني من ذلك ، ولكني  
سأمرّ مسرعاً على بعض المواضع التي تسترعي نظركم مطلع على شعره .  
وسأقصّد في هذه النظرة الخاطفة إلى بيان ميزاته التي لا بد لكل متصدر  
لدراسته من أن يقدرها فيقف عندها ويتبينها . وسترى أولاً أنه رحمه الله كان  
يتخذ من مدائح العظماء ورثاء موتاهم لبنات لبناء عظمتهم وشهرتهم ، شأن الشاعر  
الناشيء الذي يريد أن يتعرف إلى الناس وبشعرهم بوجوده وهو بعد فتى بأس قليل  
الأسنة والآذان . ولهذا جاء قرابة النصف من شعره مدحاً ورثاء . وأكثر  
الدين اختصهم بذلك بعد الأسرة العلوية هو الاستاذ الامام ثم الأسرة الباطنية

مديونية الشرقية .

ولمديح حافظ وراثته صفة خاصة هي مزجه دائماً بالشكوى وإبداعه ما يعانيه من  
ضنك وصيق . وقل أن يترك مدحة أو مرثية من غير أن يصدرها أو يطويها على  
حاجته . واستمع اليه حين يصدر مدحةً للمديونية في عبيد رأس الصنة  
بهذين البيتين :

عسى ذلك العام الجديد ينرى      يبشرى ، وهل للبائسين بشير ؟  
وينظر لى رب الأريكة نظرة      بها ينجلي ليل الأمل وينير

وإذا أفلت من حاجته الوسط والبداية ذيلها بها فى النهاية ، وهل ترى دليلاً على  
ذلك أوضح من أن تراه يختم مدحةً رفعها الى الاستاد الامام هذ البيت :

يا من تيمنت العتيا بطلعت      أدرك فتاك فقد ضاقت به الحال  
ويذيل مدحة أخرى بهذين البيتين :

وقد أضحيت من كدحى وسعى      على الأرزاق كالنوب القديم  
فلا تخلق - فديت - أديم وجهى      ولا تقطع مواصلة الحميم

وثانياً نحمد لشعر حافظ ما يسمى فى علم البديع ببراعة الاستهلال ، إذ له مطلع  
رائعة كل مطلع كأنه عنوان سارع الى الأذان ليستأنس لما وراءه أو اجمال لغرض يفصله  
ما يليه من أبيات ، وإن شئت شاهدنا على ذلك فاستمع إلى قوله فى مستهل السنة المحررية :

أطل على الأكوان والخلق تنظر      هلال رآه المسلمون فكروا

أو تأمل قصيدته فى « البورصة » :

بيابك النحاس والسعود وموقف اليأس والرجاء

وكذلك كان فى مرثيته يستفتح القصيدة بيت لو افتصر عليه ولم يتبعه بغيره  
لاستشف القارىء والسامع من خلاله وحده غرضه والمرض الذى قيل فيه - ألت  
نجد ما يؤيد ذلك فى استهلاله مرثية المرحوم امين الراعى بهذا البيت :

أما ( امين ) فقد دقنا لمصرعه      وخطب من صنوف الحزن ألوانا

وتصديره مرثية المنفور له ( رياض باشا ) بذلك البيت :

(رياض) أفق من غمرة الموت واستمع حديث الوري عن طيب ما كنت تصنع  
ولهذين المطلقين روعة وتأثير في النفس لا تحسه في مطالع غيره ممن اشركوا في  
تأين هذين الفقيدين .

وبينا ترى شوقي يريد أن يهني الخديوى فيمهد لذلك بما ينيف على العشرين  
بيتاً في الغزل أو الوصف — ترى شاعرنا يتندي قصيدته في الموضوع عينه بهذا  
البيت الرائع الذي يجمع الى جمال اللفظ وحسن اختياره شرف المعنى واتساقه :

ممنى نلتها يا لابس المجد معلما أديناً ودنياً زادك لك أنما

وثالثنا حسن التخلص ، ولا تحسن حافظاً كان في كل شعره كذلك يتأني ، ويعمد الى  
غرضه من اول الأمر دون أن يمهّد له بوصف أو نسيب ، فإن له مطولات ليست بالقليلة  
يتطرق فيها الى مقصده بأبيات كثيرة في وصف الخمر حياً وفي شكوى الزمن أحياناً ،  
بيد أنه كان صناعاً ماهراً في التخلص الى غرضه والانتقال الى مقصده .

وها هو ذا بعد أن يذكر أكثر من ٢٠ بيتاً في مناجاة نفسه والشكوى من  
تهاون المصريين وسوء حالهم يتخلص الى مدح السلطان حسين ( وكان إيداك أميراً )  
بهذه الأبيات :

وانا قد ونينا وانقسمنا فلا سعى هناك ولا وثام

فلا عجب إذا ملكت علينا مذهبنا وأكثرنا نيام

( حسين احسنا ) أنت لها أفنيه رجالا عن طلاب الحق ناموا

وكن بأبيك لابن أخيك عوناً فأنت بكفه نعم الحسام

وله أبيات يتعلص بها من غرض الى غرض وينتقل من معنى الى غيره كأنها  
حلقات أفرغت على مثال يلائم كلا العرضين السابق منهما واللاحق — كتب مرة  
الى صديق له بمدحه ويشتاق الى لقائه فبدأ كمادته بالحسين الى مصر وأهلها ، ولم  
أكد أصل في قراءة تلك القصيدة الى هذين البيتين :

لامصر تنصفني ولا أنا عن محبته أريم

واذا تحول بأفس من حبها فأنا المقيم

حتى أشفقت عليه من المعجز عن الوصول الى ما كان يريد ، وإذا به بعد ذلك يتخلص  
الى مدح صاحبه بهذا البيت الذي لا يشعرك بمغايرة ولا انتقال :

فيها صحبتك واصطفك تلك أيها الخلد الحميم

وإن تمعجب فمعجب أن تقرأ له في الغزل ودل الحبيب وجفائه ، ومرضه هو وإدناؤه  
من جراء هجره وصدده ، زهاء الثلاثين بيتاً حتى يخيل إليك أن القصيدة قد فنيت  
في هذا الغرض ، وأن الشاعر قد تعثر في استرساله حتى استعصى عليه الانتقال ، ثم  
تراه بعد ذلك يخرج من كل ما رأيت ويتصل بغرضه الذي قصده على الصورة الآتية :

وأنت تعود مريضها لابل أنت مني تشيع راحلاً لو تعلم  
أقسمت بالعباس أنني صادق فمؤرهمو بجلاله أن يقيموا  
ملك عدوت على الرمان بحوله وغدوت في آلائه أنعم  
وسترى أنه يغالط نفسه ويخالف الحق في بيته الأخير .

ورابعاً غلبة الروح الوطنى وحب مصر ونيلها على شعره ، وأنا أعتقد أن وطنيات  
شوقي والبارودى على قلتها وطنيات جوفاء : نسمع رنينها عن بعد فنتهر وتطرب ،  
فاذا دوت منها وجدتها فارغة لا تبل صدى ولا تشفى أواماً - ومهما بالغت في وصفها  
وأطرائها فإني لن أستطيع أن تقول فيها كثر من أسرار رقيقة الأسلوب موجزة  
إلى حد يجعلها شبيهة بالحكم والأمثال .

أما وطنية حافظ فأنها فضلاً عن تغلغلها في معظم قصائده وطنية حقيقية ، تدل من  
أول نظرة على أن صاحبها يحس باحساس الشعب ويترجم لنا عبراته وخفقات قواده . ولهذا  
تراه قد استعرض في شعره مواضع ضعفه ومواطن آلامه ووقف من أمته موقف الطبيب  
يتعرف الداء ويصف له نافع الدواء .

وكيف ينتظر من البارودى رئيس الوزارة أو من شوقي شاعر الخديوى  
وصفيته وهما يتقلبان في رفاة الميش ونعيمه ولم يعرفا للبؤس معنى ولا طرق لها  
الاعسار يوماً باباً ، كيف ينتظر من مثلها أن يؤلمه إملاق معاصريه وثؤسهم فيبكي .  
وهل إذا بكيا تساوت دموعها ودموع أخيهما الذي اندس في غمار الشعب وحمل  
من مصائبه بمقدار ؟ وهيات :

أن يعرف الشوق إلا من يكابذه ولا الصباة إلا من يعانيها  
وكان حافظ طوراً يستنهض المصرى ويستحفزه ويذكره بمجد آبائه وتراث أجداده  
فيقول :

سنت تصع  
اشركوا في

العشرين  
عينه بهذا  
ساقه :

أنما  
ويعمد إلى  
مت بالقليلة  
من أحياء ،

تكونى من  
الك أميراً

وثام  
ديام  
ناموا  
لحسام

يبره كأنها  
كتب مرة  
ملها ، ولم

يتخاض

لمعرك ما أدركت لغير مصر وما لي دوتها أملٌ يُرام  
 ذكرتُ جلالها أيامَ كانت يصل بها الفراغنة العظام  
 وأيامَ الرجال بها رجالٌ وأيامَ الزمان لها غلام  
 فأقلق مضجعي ما بات فيها وبانت مصرُ فيه ، فهل ألام ؟  
 أرى شعباً بمدرجة العوادي تمخَّخَ عظمته دالة عظام  
 فساءَ مقامه في أرض مصر وطاب لغيره فيه المقام  
 وطوراً يذكره بعيوبه ويشرح له وسائل رقي الشعوب وعوامل نهوض الأمم  
 فيقول :

طارت على ابن النيل سباقُ الوري منها تقلب دهره أن يُسبقا  
 أوكلنا قالوا تجمع شملهم لعب الشقاقُ بجمعنا فنفراقا ؟  
 فتعلموا ، فالعلم مفتاحُ العلي لم يُبق باباً للسعادة مغلقا  
 ثم استمدوا منه كل قواكم إن القوى بكل أرض يتقى  
 وابنوا حوالى حوصكم من نقطة سوراً ، وخطوا من حذارٍ حنقاً  
 وزنوا الكلام وسدّدوه فانهم خبثوا لكم في كل حرفٍ مزلقاً

وبينما كان شوقي شاعر عباس وابن نعمته يتلخص مواضيع رضاه فيرويهما بقريضه  
 ويحاذر أن يرى شاذاً عن رغبات سيده يوماً ما ، كان حافظ ابن الشعب وشاعره  
 حراً في آرائه مطلقاً في تفكيره ، لا يتقيد رأي أمير ولا وزير — ولهذا جاء  
 شعره في السياسة أعمق أثراً وأشد جرأة وصراحة — وإن شئت فقل جاء لساناً  
 صادقاً عن مصر وما تحسه من غنت المحتل وعدوانه . ولعل أول صوت ارتفع في  
 الفخر بمصر والمطالبة بحقوقها والتعرض لمطالب المحتلين وظلمهم ونقد أعمالهم كان  
 صوت حافظ . وهل استطاع غيره أن يقول للمحكّين في ( دنشواي ) مندداً  
 بجهورهم وقسوتهم :

أحسنوا القتل إن ضننتم بعفوي أنفوساً أصبتمو أم حجاداً  
 ليت شعري ألك بحكمة الثقة — يش طادت أم عهد نيرون طاداً ؟  
 كيف تحسّو من القوى التثني من صعيّف ألقى إليه القياداً



وأن يعرض فيها رجل كان ولا يزال من أشهر رجال المحاماة في مصر فيقول :  
 لا جرى النيل في نواحيك يا مصر ولا جادك الحيا حيث جادا  
 أنت أثبت ناعقاً قام بالأمر —س فأدمى القلوب والأكبدا  
 أي يا مدرّة القضاء ويا من ساد في غفلة الزمان وشادا  
 أنت جلادنا فلا نفس أنا قد لبسنا على يدك الحدادا  
 وهل سمعت أن شاعراً استطاع أن يودع (كرومر) يمثل هذه اللطائف الدامية :

الى من نشتكى عنت الليالى الى العباس أم عبد الحميد ؟  
 ودون حماما قامت رجالاً تروّعنا باصناف الوعيد  
 رمانا صاحب التقرير ظمأ بكفران العوارف والجحود  
 وأقسم لا يجيب لنا نداء ولو جئنا بقرآن مجيد  
 واثبت في النفوس لكم جفاء تعهد بمنهل الصدود  
 رمى دار المعارف بالزايا وجاء بكل جبار عنيد  
 وهل اجتراً بعتري على أن يبسط له عيوب عهده في مصر كما بسطها حافظ في  
 قصيدة أخرى حيث قال :

نناديك قد أزدت بالعلم والحجا ولم تبق للتعليم يا لورد معبدا  
 وانك أخضبت البلاد تعمداً وأجذبت في مصر العقول تعمدا  
 ووافيت والقطران في ظل راية فما زلت بالسودان حتى تمردا  
 فطاح كما طاحت مصوّع بده وضاعت مساعينا بأطعكم سدى  
 حجبت ضياء الصحف عن ظلماته ولم تستقل حتى حجبت (المؤيدا)  
 وأودعت تقرير الدواع مغامزاً رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا  
 غمزت بها دين النبي وإننا لنغضب ان أغضبت في القبر (احمدا)

وخامساً كثرة التضمين والافتباس ، ولا يتيسر ذلك الا لثري في الادب واسع  
 الاطلاع ، ومن أمثلة ذلك في شعره قوله في رثاء البارودي :

وأردو على ذلك الفخور بقوله : ( اذا قلت قولاً أصبح الدهرُ منشدًا )  
 وقوله في المدح ( يريد البدع في الايات السابقة ) :  
 ويأتوا عليها جاععين كأنهم ( على صنم في الجاهلية عكف )  
 ومن ذلك أيضاً تضمينه أبياتاً كاملة لغيره من الشعراء كما في قوله مضمناً بيت  
 أبي تمام :

ألقت بين ابن السحاب وبينها فرأيتُ صحبةً ما حكاها الطائي :  
 ( صعبت وراض المزجُ مئة خلقها فتعلمت من حسن خلق الماء )  
 وقوله في عيد الدستور العثماني مضمناً بيت بشار :  
 روت قول بشار فثارت وأقسمت وقامت الى عبد الحميد تعاتبه  
 ( اذا الملك الجبار صعر خده مشينا اليه بالسيوف نعاتبه )  
 وأنت ترى أنه لم يضمن قصيدته بيتاً الا وقرنه باسم صاحبه ، وهذه دقة وأمانة  
 نحملها له .

وفي التضمين هنا من البراعة والجمال ما لا يقل عن مثلها في قول البارودي مضمناً  
 شطر أبي نواس :

ولو كنت في عهد النوامي لم يقل : أجارة بيتينا أبوك غيورُ  
 ولا عن قول صفي الدين من قبله مضمناً شطر المتنبي :  
 أشرقن في خلل كأن أدعها شفق تدرعه الشمس جلابيا  
 وغربن في كل فقلت لصاحبي ( بأبي الشمس الجاهحات غواربا )  
 وقد قدمنا لك في غير هذا الموضع انه كان دائماً على تفهم القرآن وحفظه ، وقد  
 أثر هذا المفهوم والمحفوظ في شعره كظهور الآتي في التاج أو الماسة بين لوازم  
 الاصداف إذ زاده روعة وجمالا . وما إخال القراء في حاجة الى بيان منزلة القرآن واسلوته  
 من الأدب العربي — وفي شعره من ذلك مثل شتى أسلفنا لك جانباً منها وما نحن  
 اولاء نعود فنقدم لك جانباً آخر .

قال رحمه الله يمدح سليمان باشا أباطه مشيراً الى قوله تعالى في سورة النمل ( قالت  
 نملة : يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ليعظمنكم سليمان وجنوده ) :

ساجان ذكرت الزمان واهله بعز سليمان واقبال دنياه  
اذا مرت يوماً حذر النمل بعضه مخافة جيش من مواليك يغشاه  
وقال في مدح الاستاذ الامام مشيراً الى قصة موسى والخضر عليهما السلام  
(سورة الكهف) :

وكنت كما قال ابن عمران ناشئاً وكان كمن في سورة الكهف يذكر  
وقال من رسالة بعث بها الى رفعت بك وكيل مصلحة السجون سابقاً مشيراً  
الى قوله تعالى حكاية عن يوسف (اذكرني عند ربك) :  
ولو كنت في عهد ابن عمران لم يقل لصاحبه اذكرني ولا تنس . . . .  
بل لقد كان يضمن آيائه الآية أو بعضها من غير تغيير كقوله :  
« قتل الانسان ما اكفره » طاوول الخلاق في السكون وصاما  
وقوله في وصف الشمس مضمناً قوله تعالى حكاية عن ابراهيم ( قال هذا ربي  
فلما أفلت قال لا أحب الآفلين — سورة الانعام ) :

قال : ذا ربي فلما أفلت قال : إني لا أحب الآفلين ا  
وسادساً الامتع الى الحوادث التاريخية والأخبار الأدبية والمذاهب الفلسفية .  
فن الأول قوله في الأمير عبد الله صاحب الجزائر :

ذكرتنا يوم ضاعت أرض أندلس الحرب بالباب والسلطان في اللعب  
وقوله حرب في طرابلس :

أيها الخائر في البحر اقترب من حمى البسفور إن كنت هاما  
عام شهرين ولم يفتح سوى هوة فيها الملايين تلامي  
ومن الثاني قوله في تهنئة الخديوي بالحج :

ولما استلمت الركن هاجت شجونه فلو أنه استطاع الكلام تكلم  
تذكر زين العابدين وجدّه وما كان من قول الفرزدق فيها

مشيراً بذلك الى ما كان من أمر الرشيد حينما رأى سيدنا علي زين العابدين

وهو يطوف بالبيت فتجاهله وتسأل عنه فأجابه الفرزدق بهذه القصيدة الخالدة  
التي يقول في مطلعها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته      والبيتُ يعرفهُ والحلُ والحرمُ  
ومن الثالث قوله :

فيا ليل أنزلي بحجوفك منزلاً      يضل به سربُ القطا وحجارُ  
وان كنت ليل المانوية فليكن      على سر أهل الشر منك ستارُ  
معيراً بذلك إلى مذهب ماني الذي يقول بأن الليل موطن المنصائب والشرور،  
وقد سبقه إلى ذلك المتنبّي حيث قال :

وكم لظلام الليل عدى من يد      تخبر أن المانوية تكذبُ  
وقوله في موضع آخر :

أصبحتُ كالدهريّ أعبد خدّه      وجبينه وأنا الشريفُ المعرقُ  
مشيراً بذلك إلى الدهريين ومذهبهم الذي خصه القرآن الكريم في قوله حكاية  
عنهم : ( إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر )

### مظاهر البؤس في شعره

قدمنا لك أن البؤس من أظهر النزعات الغالبة على شعر حافظ ، وهيات أن نجد  
أنم عن نفس صاحبه من شعره . وانك لتقرأ ديوانه فيضيل اليك أنه ذوب نفس  
أبية طاشت تنطلع إلى المجد وفيها معداته وماتت دون أن تنال منه أكثر مما ينال  
الظامي من لامع السراب . ولا تشك في أن صاحب هذا الديوان قد اصطلى في طفولته  
واكتوى في شبابه بنار البؤس الذي تعرف إليه في مهده ولم يتركه حتى استقر  
في لحدّه وهو بعد شاعر رقيق العاطفة دقيق الاحساس . فكان طبيعياً أن يجيء  
وشعره مسورة لهذه النفس المعذبة ومرآة لهذا الفؤاد الواجب الذي طالما خاطبه  
بقوله :

يا خافقاً قل لي متى تسكنُ ؟      لله ما تخفى وما تُعلنُ !

وما الذي أبقاه من مهجتي ومن فؤادي داؤك الزمن ؟  
وسأعرض عليك طرقات من أبياته ترى البؤس مائلاً فيها بمحدثك عن خبيثة الشاعر  
ويكشف لك من أمره ما لم تكشفه لك الأبصار .

يقول من رسالة بعث بها الى صديقه البابي :

كيف تنسى يا بابي غريباً بات بين الظنون والأوهام  
وحزيناً إذا تنفس مادت خمة الليل جرة من ضرام  
وإذا أن كاد ينصرع الاله قُ ونحتل دورة الأجرام  
بات تحت البلاء حتى تمنى لو يكون المبيت تحت الرغام  
ويقول في موضع آخر نادياً حظّه وسوء حاله وعقوق الدهر له ولعبقريته:  
عنى الدهر ، ولولا أننى أوثر الحسن عفت الأديبا  
يد يا دنيا اعبسى أو قابسى لا أرى وفك إلا خلباً

وإخالك لا تعجب بعد ذلك إذا رأيت حافظاً يصبغ بالشكوى والأثين جوانب  
شعره فرى بؤسه في الوصف والغزل كما تراه في المديح والرثاء ، وها هو ذا يمدح  
محمد بك بيرم فيقول له في ثنايا القصيدة :

وقد أصبحت من نعي وكدهى على الأذواق كالشوبر الرديم  
وانه ليخيل اليك أن البؤس قد طغى على احساس حافظ وسيطر على عواطفه  
حين تراه يستهل قصيدته في عيد رأس السنة بهذا البيت :

لى فيك حين بدا مسناك وأشرقاً أمل سالت الله أن يتحققا  
وكانت لحافظ نفس قلقة تأثرة مضطربة كما وصفها هو في كتابه (البؤساء) لا تسكاد  
تستقر على حال : فررة ترسب في حضيض الألم راضية تقسمها قاعة بنصيبها من  
هذه الحياة الفانية، وهو يصور لك حالها إذ ذاك بقوله :

نحن نرضى بالقوت من هذه الدنيا وإن بات دون قوت النعام  
ولئن خان قسمنا ما شكونا سوى الله أعدل القسام  
ومرة تطفو الى مهاء الرفعة وتتماسك مطوية على الألم موهمة الناس أنها أسعدهم  
حالا . والبيتان الآتيان يصورانها لك في هذه الصورة :



تماسكتُ حتى لو رأى الناس حالتي      رأوا رجلاً هانت عليه مصائبه  
وعلمتُ نفسي كظم غيظي فلم أُنح      بما فعلت بين الضلوع قواضيه  
كما يمثلها في مطاردتها اليأس واستهانتها بالصعاب قوله :

على أنني لا أركب الصعب مرةً      ولا أكبر البأساء حين تفسرُ  
وأحياناً يسأم الدنيا ومن عليها فيودعها ويناجي القبر والآخرة نجوى العاشق  
المشتاق فيقول :

سلامٌ على الدنيا سلامٌ مودّعٍ      رأى في ظلام القبر أنساً ومغنا  
أضرّت به الأولى فهم بأختها      فان ساءت الأخرى فويلاه منها  
فهبّ ريح الموت نكبه واطفئ      سراج حياتي قبل أن يتحطما  
ولم لك تسألني بعد ذلك : من أي شيء كان يشكو حافظ وما موضع آلامه  
وأشجانه ؟ . . . وجوابنا عن ذلك أنه كان يشكو من شعبه النائم عن حقوقه الساكت  
على آلامه ، يرى الخطر يتهده وأسباب الفناء تحوطه ، ثم يلهو ويلعب ويفخر بالمناصين  
وما خلفوه ، فيخطبه مرة بقوله :

وكم ذا بمصر من المضحكا      ت كما قال فيها ( أبو الطيب )  
أمورٌ تمرُّ وعيشٌ يمرُّ      ونحن من اللهو في ملعب  
وشعبٌ يفرُّ من الصالحا      ت فرار السليم من الأجرب  
ويعجب منهم ويبكتهم على جهلهم وتأخرهم مرة أخرى فيقول :

وقل للعاجزين أما      لهذا الفخر من سبب ؟  
أروني نصفاً مخترعٍ      أروني ربعاً محتسب  
فهبوا من مراقدكم      فإن الوقت من ذهب

ويشكو كذلك من نفسه الكبيرة التي بين جنبيه

وإذا كانت النفوس كباراً      تعبت في مرادها الأجسام  
فلا هي قادرة على إصلاح ما ترى ، ولا هي قادرة على احتماله ، ولا هي راضية  
بالعجز بين هاتين الحالتين .

ألت ترى ذلك واضحاً فى قوله ( يريد المصرين ) :  
 يامون تحت الظلم والأرض رجة لمن بات بأى جانب الظلم جانحة  
 فباليت لى وجدان قومى فأرتضى حيانى ولا أشقى بما أنا طالعة  
 وأخيراً يشكو من عثار حظه فى وطنه وخيبة آماله فى قومه وضياغ أدبه بين  
 عشيرته وأخوانه ويقول مخاطباً مصر فى نعمة البأس الحزين :  
 حطمت اليراع فلا تعجى وعفت البيان فلا تعنى  
 لما أنت يا مصر دار الأديب وما أنت بالبلد الطيب  
 فلا تعذلى لهذا السكوت فقد ضاق فى منك ما ضاق فى  
 وهو لا يتردد فى أن يصارحنا بأن هذا الأخير هو مصدر حزنه وسر شقائه فيقول :  
 نا لولا أن لى من أمتى حادلا ما بت أشكو الشؤنا  
 بيد أنه كان كثيراً ما يستكثر من نفسه هذه الشكوى ويستكرها عليها ويبرأ  
 ويعتذر مما فرط منها ، وفى ذلك يقول :  
 وما شرعت هذا اليراع أناملى بشكوى ولكن البجاج يثير

### أسباب بؤس

يجدر بنا بعد كل ما أسلفناه أن نبين لك أسباب بؤس حافظ وأن نتعرف من  
 هذه الحسرة التى لازمت طوال حياته والتى طالما قال فيها :  
 حسرة فى النفس لو قسمت على ذوات الطرق لم تجمع  
 وكان لزاماً علينا أن نتبع الظروف والأحوال التى انتجت بشاعرنا هذه الساحة  
 وحولت عاطفته الى هذا الطريق . ونحن نرى أن بؤس حافظ وإن كانت  
 جرثومته الأولى قد ولدت معه يوم ولد ، وصاحبتة فى نموه وتدرجه فى طريق  
 الحياة ، نرى مع ذلك أن البيئة التى احتوته والوسط الذى عاش فيه يكونان الجانب  
 الأكبر من هذا البؤس الذى ترجع أسبابه الى أربع جهات :  
 (١) نشأته الأولى بين أحضان المتربة والعاقبة ومخادنة العناء والشقاء له وهو صبي فى  
 مهده مما جملة يؤثر الفناء ويسأم الحياة فى مستهلها فيقول :

وددت لو طرحتوا بي يوم جئتكم في مسبح الحوت أو في مسرح العطب  
ورحل طلع الى المجد كحافظ حري<sup>ه</sup> به ان يحزن ويكتئب اذا رأى نفسه بين قوم  
يقومون الناس بما يملكون ولا يعرفون المجد مالمأ سوى المال ، ولقي نفسه مع  
ذلك مفتقدا لهذا العلم . وليس لهذا الحب أثر بين في شعره اللهم الا ما كان ايماء او  
تلميحاً كما في قوله :

فأنا مطلق<sup>ه</sup> كالفكر أمري فاستبق الضواحك في الغيوم

ولكني مقيدة<sup>ه</sup> رحالي بقيد العدم في وادي الهموم

مما يدلنا على ان الامر لو اقتصر عليه وحده لكان في ذكاء حافظ وعبقريته  
ما يعجز أثره من صفحة حياته . وكم من معدمين في طفولتهم بسم<sup>ه</sup> لهم الدهر بعد  
فكانوا من أسعد الناس حظاً وأرفعهم مكاناً .

( ٢ ) خذلان قومه له وكساد شعره بينهم وعدم احساسهم به وتقديرهم له  
ولإنتاجه ، والشاعر كالزهرة بحبيبه التشجيع والثناء وبعبثه الإهمال والازراء .

وتى اهمال أشق على النفس من أن يمرض فلا يعاد ويبأى عن العيون فلا تشعر  
بنايه ، وفي ذلك يقول :

مرضنا فما عادنا عائد<sup>ه</sup> ولا قيل أين الفتى الأملى ؟

ولا حن<sup>ه</sup> طرس<sup>ه</sup> الى كاتب ولا خف لفظ على مسمي

سكتنا فعر<sup>ه</sup> علينا السكو ت وهان الكلام على المدعى !

ولكم كان قاسياً على نفس حافظ أن يعيش في بلد لا يعرف الفضل لذويه ، ولطالما  
حاطب مصر بهذا البيت من شعره :

ليت مصرأ كغيرها تعرف الفضل لـ لدى الفضل من ذوى الالباب

ولقد تسمع قوله في رثاء الأستاذ الامام :

فيا منزلاً في عين شمس أظلى وأرغم حسّادى وغم<sup>ه</sup> معداني

فتعلم أنه رغم نؤسه ووحشته كان كثير الحساد والاعداء — ولهذا كان دائماً  
متبرماً بالحياة ساخطاً على أهلها ، وكلما نظر إلى أدبه الرائع الذي وأدوه بينهم بجهلهم  
وإهمالهم ازداد حسرة وألماً وردد هذا البيت المشهور من شعره :

فلولا أنهم وأدوا يياني بلغت بك المني وشفيت ما بي  
وكان كل لمع له في مياه الامل بارق وقامت تفتت على ضوئه نفسه العالية المزدحم  
بالآمال والآلام ، وقفت المقادير بيده وبين ما يريد ، وجذبه عشار الحظ ونكد الطالع  
فأقصاه عن آماله ، وفي ذلك يقول :

لكنني غير مجدود وما فتئت بد المقادير تقصيني عن الأرب  
وقد غدوت وآمالي مطرحة وفي أمورى ما للضب في الذنب

(٣) غربته في السودان وتعدده عن أهله وأصحابه بمصر وإرغامه وهو الأبي  
على العيش في ارض نائية يشتكي من حرها وعذابها ما يشتكيه من معاشريه ومن  
رؤسائه وعنتهم وعدم تقديرهم لمواهبه . ولعل أوضح صورة لما كان يعانيه شاعرنا في  
غربته هي التي اشتملت عليها هذه الأبيات الثلاثة:

زحنت عن الديار أروم رزقي وأضرب في المهامه والتهموم  
وما غادرت في السودان فقراً ولم أصبغ بتربته أديبي  
وها أنا بين أنياب المنايا وتحت برائن الخطير الحميم

يبدأ أن هذه المرحلة من عمره كما قدمنا في غير هذا الموضع هي أخصب حياته  
بهذا النوع من الشعر ، ولا عجب فإن له في هذا الباب رسائل حالدة وقصائد  
رائمة جرت مع النيل الى مصر تحمل الى أصدقائه وخلائه بها ما يمانيه صاحبهم في  
هذا البلد النازح من الأسمى والعداب .

(٤) إحقاقه في الوصول الى الخديوى ، وما كان لنفس مهما منحها الله من الصبر  
أن تحتمل أكثر من عشرين عاماً ترس فيها المدحة تلو المدحة ولا تدع فرصة تمر  
دون أن تتقدم اليه فيها بمنظومة بديعة . ولا تزال هذه القصائد الغراء حلية  
ديوانه الى اليوم .

ومع ذلك فانه لم ينل من نفس عباس أكثر مما ينال الحديث من نفس سامعه .  
وبينما كان شوقى يتسابق الذهب والفضة في المشول بين يديه ، ويعيش بشعره  
بين عطف المليك وعنايته ، ويتقلب بفضل بين احضان الترف والنعيم ، كان حافظ  
يصطلي بنار العدم والمسغبة مع ضعف البون ما بين الشاعرين .  
واذا كان شوقى يقول في عيد مولاه :

مولايَ عيدك عيد الناس كلهم وأنت جامعة الاجناس والملل  
 ابن الملوك على الكرسيّ مربعها وأنت تجلس في الاسماع والمقل  
 فما قصّر شاعرنا يوم قال في نفس العيد :

طُفّ بالأريكة ذات العز والشان وأقض المناسك عن قاص وعن دان  
 يا عيد ليت الذي أولاك نعمته تقرب صاحب مصر كان أولاني  
 صغتُ القريض فما غادرت لؤلؤة في تاج كسرى ولا قى عقد بوران  
 وفيها يقول :

اليوم أنشدتم شعراً يعيد لهم عهد النواصي أو أيام حسان  
 أظف فيه الى العباس غانية عقيقة الخدر من آيات عدنان  
 أعليت بالعدل ملكاً أنت حارسه فأصبحت أرضه تُشرى بيزان  
 جرى بها الخصب حتى أنبتت ذهباً فليت لي في ثراها ( نصف فدان ) ا  
 وما أجل هذا البيت وما أخف دعايته على النفس لولا ما فيه من إيماء خفي الى  
 فقر الشاعر وحرمانه .

بل ما نظن شوقي قد استطاع مهما أجاد في مدح مولاه ان يزيد على ما قاله  
 حافظ في تهنته بالحج :

مشت كعبة الدنيا إلى كعبة الهدى يفيض جلالُ الملك والدين منهما  
 ولو أننى خُيرت لاخترت أن أرى لعبسك وحدي حادياً مسترئماً  
 حلت بأكناف الجزيرة طابراً فأنضرت وادبها وكنت لها سما  
 وأشرقت في بطحاء مكة زائراً فبات عليك النيلُ يحمد زمزما  
 وكانت تلجُ هذه المدائح التي فنى فيها صاحبها أذن الخديوى وتخرج من الثانية  
 من غير أن تصل إلى فؤاده ا

لهذا كان طبيعياً أن يزداد ألم حامط وبؤسه، وأن يداخله من الهموم والحسرات  
 ما يداخل صاحب السلعة الجيدة إذا صدق عنها الراغبون .

وبخيل إلى أن حافظاً مع ما كان متمتماً به من عطف كثير من عظماء مصر كالرحوم



حشمت باشا والامتاذ الإمام فانه كان ينظر الى المليك بعين خاصة ويرى أن رضاه  
منهى الآمال وفي عطمه وولائه تمام السعادة — فكان يحاول الوصول اليه عن  
طريق شعره ، ويطرد اليأس عن نفسه ، معتقداً بأنه لا بد واصل الى ما يريد مادام له  
فم باطن ولمدوحيه أذن سامعة . وكان حينئذ يفخر بمدائحهم ويدعي أنه أتى فيها بما يعجز  
عن الاتيان به سواء فيقول :

كرام شأوى فلم يدرك سوى صدفي      سمعت في نظام ووزان  
عانوا سكوتي ، ولولاه لما نطقوا      ولا جرت خيلهم شوطاً بميدان  
واليوم أنشدتم شعراً يعيد لهم      عهد النواصي أو أيام حسان  
ويقول في موضع آخر :

ولوشدت أدهلت النجوم عن الترى      وعطلت أفلاكاً بهن تدور  
وأشعلت جلدة الليل منى زفرة      غرامية منها الشرار يطير  
وأحياناً يعترف بالسبق لشوقي في مدح مولاه ويقر له بالفضل والابداق فيقول :  
لم أخش من أحد في الشعر يسبقني      الا فتى ما له في سبق الاله  
ذاك الذي حكمت قينا راعشه      وأكرم الله والعباس مثواه

وكأنني به وقد ثبت في روعه أن شوقي قد احتل بشعره من نفس سيده مكاناً  
لا يسمح لشاعر آخر أن يبارعه فيه ، فطفق يستدعي رصاه ويختلس عطفه بايهامه أن  
مدائحهم كدائح صاحبه في لعظها ومعناها ليستلفت نظره ويسترعي انتباهه ، وفي ذلك يقول :

الى سدة العباس وجهت مدحتي      بهنثقة شوقية النسخ معطار  
كما يقول في موضع آخر :

معانٍ وألفاظ كما شاء أحد      طوت جزلة بشار ورقة مهباز  
وكثيراً ما كان يغلب عليه اليأس ويعترف بمجزئه عن مدائنه شوقي كما يعترف  
بأنه أقل من أن يصل بشعره الى الخديوي فيقول :

لم يُبق أحد من قول أحاوله      في مدح ذاتك فاعذرني ولا تعب  
فلمست ممن سمعت بالشعر همته      الى الملوك ، ولا ذاك الفتى العربي

ويقتل بشعره الى مدح ( ادوارد ) و ( فيكتوريا ) و ( هوجو ) و ( عبد الحميد ) .  
طرق حافظ في سبيل غايته كل هذه السبل على ما رأيت وعاد منها كلها خائباً  
خوفاً وجهه ناحية اخرى وانتدأ بمدح شوقي نفسه ويطرى شعره على ذكره يوماً  
بآخر عند مولاه ، ولم كان في هذه الامنية واحداً . واستمع اليه حين يقول في  
تهنئة الخديوي :

|                                           |                             |
|-------------------------------------------|-----------------------------|
| شوقي نسبت فما ملكك مدامي                  | من أن يسبل بها النسيب الشيق |
| عجزت اطواق البيان بمدح                    | سجد البيان لربها والمنطق    |
| لم تترك <sup>(١)</sup> لي في المدائح فضلة | يجري بها قمي الضعيف ويلحق   |
| نفس على شوقي لمدح أميرها                  | ويراعى بين الأنامل أشوق     |
| ماذا أقول وانما في مدحه                   | بحران بات كلاهما يتدفق      |
| العجز أقعدني وان عزائي                    | لولا كما فوق السماء تحلق    |

وهل تظن ان شوقي قد مئج في حياته أو أن في مماته بأجل من هذه الأبيات  
التالية التي كل بها حافظ جبينه والتي تلمس فيها الحب والإخلاص والاعتراف  
بفضل ؟ واليك هذه الأبيات التي تسيل رقة وعذوبة :

|                    |                      |
|--------------------|----------------------|
| يا شاعر الشرق اتشد | ماذا تحاول بعد ذاك   |
| هذي النجوم نظمته   | درر القريض وما كفالك |
| والبدر قد علمته    | أدب المثل اذا رآك    |
| وموت في أفق الشعو  | ر فكدت تعثر بالسماك  |
| وحباك عباس         | مد بالمواهب واصطفاك  |

وقل أن نجد مدحة خديوية له قد خلت من ذكر شوقي إما مادحاً له أو متوسلاً  
به عند مولاه — أفن أحق حافظاً في معناه بعد هذا اللأى المتواصل ، وغاب  
فأله بعد ذلك الصبر الجليل ، أفلا يصح أن يكون هذا الإخفاق وهاته الحيلة حاملين  
الناس

قويين من عوامل بؤسه ؟ أعتقد أن بعض هذا كان كافياً للقضاء على نفسه لولا أنها جسارة فسيحة الآمال .

### حسنت هذا البؤس وسببانه

وإخال أن أول ما يواجهني به القارئ لو لم أسمع هذا العنوان بما يوضحه ويبين رأيي فيه هو السؤال الآتي : وهل للبؤس من حسنات ؟

وأنا أرى وأحب أن يشاركني القراء فيما أرى أن حافظاً كله ثمرة من ثمار البؤس ويذكر من أباديه لطيفة يقدرها له الأدب والمتأدبون ولو تمثل البؤس للناس رجلاً لكان شاعرنا آخر أمثاله وأقرهم شبهاً به ، والذين يتصدون مثلي لدراسة حافظ يرون أن شعره — وإن شئت فقل انتاجه طامّة — يسير مع بؤسه جنباً إلى جنب ويتدرج معه في الوجود قوة وضعفاً ويتبعه في الحياة وجوداً وعدماً ، ويرون أنه بين يدي بؤسه كالتفثارة الطبية بين يدي المازف كلما قسا على أوتارها المشدودة علا رنينها وارتفع أنينها .

ألمست تراه وهو ضابط بالمدرسة الحربية في مصر موفور العيش بين أهله ومحبه خافت الصوت لا تسمع به إلا في المناسبات — فإذا ما ذهب إلى السودان وحلّ به من العناء والعداب ما علمت حرّكت نامل البؤس هذه القيثاره فأنّ أبيضاً عالياً مغمماً في مصر فخرّك عواطفنا وأيقظ من آلامنا وشجاننا ما كان مفسياً ؟ ولولا ضئلاً بحياة الشاعر وجدنا على شحمه وإشفاق عليه من عبء لم يتعود حمله لا بقياه في السودان كدبالة المصباح تضيء للناس وهي تحترق !

ولو سائرته حياته ونظرت اليه بعد ذلك وقد عاد من السودان واستقال من عمله وقنع في كسر بيته لا تصل يده لى قوته الان بعد لأى وعناء رأيت كيف أوجد البؤس أمامه أكثر من باب ، وعلمه الاحتيال بطرقها ، والتدريج بالصبر والثبات وعدم اليأس مادام شاعراً ، والشعر مفتاح القلوب . وكان حينئذ يمدح العظماء ويرثي موتهم . وأحياناً يغشى المجالس والأندية بشعره في مختلف الشؤون حتى يبلغ رسائله وبشعر الناس به ، لعلمهم بخرجونه من ظلمات البؤس الى نور السعادة والهناء .

وبعد ادر الشفايته المادية أمسك هذا البلبيل الصدايح عن التفريد وافترقت الآذان

صوته عندما وُفِّفَ بدار الكتب في العهد الأخير براتب لم يكن في حسمانه يوماً ما ،  
ومكث أكثر من سبع سنوات دفيناً في منصبه لا يحس بوجوده الا من اتصل به !  
وما إن خرج من الدار محالاً الى المعاش حتى انطلق كما ينطلق المصفور السجين  
وعاود الغناء والتغريد ، فأسممنا في السياسة ونقد الانجليز مقطوعات جريئة لا عيب  
فيها سوى أنها كانت قصيرة العمر تحمل معها نذر فنائها ، لهذا كله لا نرى بدعاً  
ولا حرجاً في أن نقول - وحق ما نقول - أن حافظاً لو لم يكن بالأساً لما كان شاعراً ،  
وانه مدينٌ الى البؤس بهذه الشهرة الواسعة ، ولولاها لما تسنى له أن يتقدم الى الأدب  
بهذه الصورة الباكية التي تذيب الافئدة وتستدرّ عصى الدموع .

وقد قدمنا لك آنفاً أنه لم يدع سبيلاً يظن أنه يوصله الى الخديوى الا سلكه  
وكان يخفق . وكان في كل مرة يخفق فيها تتمتع أمامه أبواب المعاني ويكدر  
فكره في اختراع ألفاظ وطرق جديدة في التعبير فيتموع بذلك أسلوبه وترقى  
أخيلته وتتجدد معانيه ، وفي ذلك كله نموٌّ في فكره وأثرٌ في أدبه لا يقل عن  
أثر تقليده لشوقي في مدح الدولة العثمانية وإطراء الخلافة يوم كانت ثمرة رثائها حين  
دالت ، وترسم خطاه فيما كان ينظم فيه من أغراض . ولم يعرف عنه أنه افتدى  
بشوقي في غير هذه الناحية ، ولعله كان يعتقد أنها هي الطريق الذي ركبته شوقي  
الى مجده والسلم الذي صعد عليه .

أما سيئات هذا البؤس : فحسبك منها انها خلقت من حافظ شاعراً قائماً  
متواصلاً مستهيناً بنفسه وعكاسته بين قومه ، وما كان من آثار ذلك ما نراه في  
شعره من حصوع واحساس بالضعفة ، ولولا هذا لما استباح لنفسه أن يقول :

ولست ممن ممت بالشعر همتي الى الملوك ولا ذالا الفتي العربي

وكان من نتائج هذا البؤس الذي بلارمه ما نراه من اسرافه في مدح زميل له  
كشوقي ، فقد أغرق في ذلك وأتى بما يعاب . ونحن اذا تسامحنا معه وقبلنا منه قوله  
في استقباله :

هذا امرؤ قد جاء قبل أوانه إن لم يكن قد جاد قبل أوانه

مع ما ييهما من قرب المسافة وضعف البؤس كما أسلفنا ، فاكما لتقبل منه بحال  
أن يرضى بالدون ولنستسيغ منه أن يصف نفسه بالضعفة والصغار ويسجل عليها

العجز والتقصير فيقول في رثاء (تولستوى) من قصيدة إن لم تكن أحسن من  
شوقية صاحبه فما هي بأقل منها :

رثاء أمير الشرق وانبرى لمدهك من كتاب مصر كبير

ولست أبالي حين أرتيك بعده إذا قيل عى قد رثاه صغير

بل انى لا أستكر على رجل كحافظ يقول له الشاعر الكبير أحمد محرم :

أمير الشعر والشعراء سمياً مقالة ذى محافظة صدوق

لأنت المرء يشأى طالبيه فليس طلاب شأوك غير موق

ثم يأتى هو بعد أعوام من ذلك التاريخ وقبل أن تُنسى تلك المدحة العظيمة

فيقول لشوقي في مهرجانه :

أمير القوافى قد أنيت مباحاً وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

ولا خلافة هناك ولا ملك ولا بعة ا وكانت لذلك نتيجة عكسية من جانب شوقي،

فقد أهمل صاحبه ونسى وجوده ولم يعترف له بموهبة ولا فضل، وهكذا كان شوقي

يحترم من يخافه ويتجاهل من يأمنه ولو كان أفضل الناس جميعاً .

ونمة أثر كان اسوأ لهذا البؤس ونتيجة بغض لا تقل عن سابقتها تلك هي اتخاذ

الشعر وسيلة للاستجداء واعتباره سلماً لغايات النفس وشهواتها، وهذا لعمري خطر

دائم على الشعر والشعراء، يحط من أقدارهم ويسوي بينهم وبين المتسولين الذين

يسألون الناس في الطرقات الحافاً — وواجب على الكتّاب والشعراء فى كل زمان

ومكان ان يستهجنوا هذا النوع الميّن من الشعر ويطاردوا قائله — وكان ذلك

على ما فيه من صعة ومهانة شائعاً فى شعر حافظ ليختتم به مدائحه ويذيل به رسائله إن

نظماً وإن شأ .

وأ كبر ظنى انه لولا البؤس الذي أقض مصجعه وطنى على احساسه لما رضى

أن ينسب إليه مثل هذا العجز الواضح :

« أدرك فتاك فقد ضاقت به الحال »

ولما غفرنا له بأى حال قوله لمدوحه فى قصيدة هى تهنئة بعمرس :

وكن لعل بهجة العرس انه  
ولا تنس من أمسى يقلب طرفه  
بعزك في الافراح تمت مزايده  
علم تر الا انت في الناس عيناه

واست نرى ان البيتين مع ما بينهما من تماقض واختلاف فقد شوته الثاني منها جمال  
الأول ومسح بهجته ودوامه وكان من سببنا هذا البؤس كذلك أن اتخذ شعر  
حافظ هذه الناحية الهادئة المتواضعة واصطبغ بهذا اللون القاتم فجاء خالياً من  
حماسة البارودي وفخظه ومن زهو شوقي وكبريائه .

ومن يدري كيف كان يقول مستقبل حافظ لو أتبع له من نهية العيش وسعادة  
الحياة ما أتبع لصاحبه ولوحظت بتلك العناية التي لوحظ بها زميله .

ولقد كان حافظ يفتنى في بؤسه ويرى أنه من الذين أن يشترك معه غيره فيه .  
لهذا أقر أن يحتمله وحده ، فلم يتخذ له صاحبة ولا ولداً ، ومات ولم يعقب سوى  
كتابين في النثر هما كما يقول عنهما خير ما أرح للناس في هذا العصر ، وديوانه  
المطبوع في ثلاثة أجزاء وهو حري بالدراسة والتحليل — يقول شوقي رحمه  
الله في تقريره :

لا تسأوا الأصداف عما أودعت في هذه الأوراق كل عجب  
تلك صفحة من تاريخ حافظ ، إن لم تكن قد استوعبت حياته فقد أضاعت  
أنظلم ناحية فيها ، وكفى ما

طلب محمد عبده

## المرأة في شعر حافظ

لا تعرف لأمة نهضة شاملة اذا حُرمت المرأة نصيبها من التأثير في المجتمع .  
ومقياس منزلة المرأة الإشادة بها وإعلان فصنها وتقودها . وقد تكون تلك الإشادة  
وذلك الاعلان بصور شتى : كالدفاع عن حقوقها ، وكالتعني بما آثرها في بناء هيكل  
الأمة ، وكالتغزل بحبها . فأين شعر حافظ من كل هذا ؟

لقد كان حافظ من مدرسة قاسم أمين المنتسبة الى بيضة الامام محمد عبده وهي



بيئة حرة مصلحة ، وحسبك من قلم كتابه عن « تحرر المرأة » و « المرأة الجديدة »  
ولذلك جاء شعر حافظ من أصوات الإصلاح العالية للمرأة في غير تردد وإن كان  
في اعتدال وتذبذب وحذر . أليس هو القائل مخاطباً قلماً :

أقسم إن القوم ماتت قلوبهم ولم يفقهوا في السفر ما أنت كاتبه  
إلى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم فن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه  
فلو أن شخصاً قام يدعو رجالهم لوضع نقاب لاستقامت رثائبه  
ولو خطرت في مصر حواء أمها يلوح محيها لنا وراقبه  
وفي يدها العذراء يسفر وجهها تصافح منا من ترسى وتخطبه  
وخلفهما موسى وعيسى وأحمد وجيش من الأملاك ماجت كواكب  
وقالوا لنا : رفع النقاب محلل نعم حق ، ولكن بحاجة

وفي هذه الآيات من التهمك اللاذع والسفوية بأنصار النقاب ما فيها . وقد  
لبث هؤلاء السادة مشغوفين بمحاورهم وتقاسمهم إلى أن تولت المرأة نفسها الفصل  
بينهم ، فزعت أخيراً نقابها في غير تردد ، وفرغت من ذلك لتلتفت إلى ما هو أهم —  
إلى التعليم الجامعي ، وإلى استرداد حقوقها في إدارة شؤون الوطن وفي اختيار  
نواب الشعب ، ثم في الاشتراك في المستقبل بتمثيله البرلماني . وهذه الروح الطامحة  
المتوثبة مدينة إلى حافظ إبراهيم كما هي مدينة إلى قلم أمين .

وحافظ في الأمومة وفي منزلة المرأة الاجتماعية من روائع الشعر ما يجب أن  
تذكره بنات جنس دائماً بالحد والتقدير . أليس حافظ هو القائل :

من لي بتربية النساء فانها في الشرق علة ذلك الاخفاق  
الأم مدرسة اذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق  
الأم روض إن تمهده الحيا بالري أورك أنما اوراق  
الأم أستاذ الاساتذة الأتي شغلت ما تمرهم مدى الاتفاق  
لبست نساء كوحلى وجواهرها خوف الضياع تصان في الأحقاق  
ليست نساؤكم أنثا يُقتنى في الدود بين مخاضع وطباق

ربوا البنات على الفضيلة إنها في الموقنين لمن خير وثاق  
وعليكم أن تستين نساؤكم نور الهدى وعلى الحياة الباقي

فهذه الأبيات نفثة مصحح حكيم ، ولكنه يصيح في بيئة متأخرة لا يستطيع فيها أن ينصف المرأة الأ في حقوقها الأولية . وما أظن أن الحرب أقصحت أفق حافظ ، ولو كانت فعلت لكافح عن المرأة المصرية كفاحاً أعظم ولحاول أن ينيلها من الحقوق ما نالته أحتها الغربية وفي مقدمتها حق الانتخاب ، لأن المرأة المصرية الفلاحة كانت وما زالت أحصاف وأبعد نظراً من الرجل الفلاح ، وهي المدبرة الحقيقية للأسرة المصرية ، فهي ولي من باستعمال الحق الانتخابي . ولم يكن حافظ ليقونه شيء خاص بالمرأة فسجل حركتها السياسية إيمان الثورة في نوبته المشهورة .

أما شعر حافظ الفني في المرأة فلا وجود له كأنما هو لم يعشق في حياته ، ومعنى هذا حرمان الأدب العربي كنزاً ثميناً من عواطف حافظ المقبورة . وقد قرأت له شيئاً من الشعر الغزلي بعضه موجه إلى المفرد المؤنث ومعطمه إلى المفرد المدكر ، وكله فيما أعتقد من الغزلي الصناعي الميت .

وأي هذا مما نشرته ( أبولو ) لناحي وأبي الوفا والصبري والشاذلي ولا مثاهم من شعراء العاطفة ؟ وقد اعتاد بعض الشعراء مخاطبة المرأة بضمير المدكر نوجيهاً بالخطاب إلى « المحبوب » المتسامي عن كل صفة ، ومن الجائز أن يُصحح على « بأن غزل المدكر في شعر حافظ هو غزل طبيعي في المرأة ، وقد تفرست فيه تكراراً فلم المبح ذلك فيه ، وإنما كانت الصناعة تطل من كل بيت من أبياته في حين أن أبيات ناجي التالية المذكورة الضمير تتأمة عن العاطفة الجياشة الموجهة إلى المرأة ، وهي في قصيدته « النفس » :

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| متى يرق الخط يا قلمي       | ويلتقي المنسى والناسي ؟   |
| متى ؟ وهل من حيلة في متى   | وفي خيالات وأحداس ؟       |
| هذه قراري جريها في دمي     | وهتمها في كرك ألقامي ؟    |
| وأنت مثل النجم في المتناهي | وفي السما الخاطف كالناس   |
| يرنو له الناس ويبغونه      | وما يُبالي النجم بالناس ؟ |

وانت كاسُ الحُسْنِ لَكُنَّا      مثلُ حَبَابِ حَامٍ بالكاسِ  
 طفا ! وقد قَبِلَ أنوارها      ورفءٌ مثل الطائرِ الحامِ  
 وذاب أو جفَّ على نورها      كما ينوب الطلُّ بالآسِ !

وأنا أبرشادي في أغانيه ودواوينه فوكلت بعبادة المرأة ، ومنه رامي في عزلياته  
 ( ولا أقول في أدواره لعامية فهي ليست موضوع بحث ) ، فكيف لم تؤثر المرأة في  
 في شخصية حافظ هذا التأثير ؟ ولماذا لم تؤثر كذلك في نفسية شوقي ؟ هذه خسارة  
 فسية لاشت فيها ، ولكن مهما يكن من شيء فالمرأةُ مدينةٌ الى شعر حافظ  
 بحميلٍ عظيمٍ !

نزيب سليم



## تفسيات الادارة

انتهى بصدر العدد الماضى المجلد الأول من ( أبولو ) ولكننا آثرنا إصدار هذا العدد الاضافى اكراماً لذكرى شاعر الوطنية المصرية وشاعر العربية الكبير محمد حافظ ابراهيم بك. وقد أهدينا هذا العدد الى المشتركين بدون مقابل كما أهدينا اليهم من قبل ديوان ( الشعلة ) صمة استثنائية. ونظراً لنفاد الطبعة الأولى من هذا الديوان اضطررنا الى إعادة ثمان النسخ التى ضلّت منا حديثاً ، وكذلك نفدت نسخ ديوان ( أشعة وظلال ) ، وليس فى إمكاننا إعادة طبعهما فى الوقت الحاضر نظراً لاشتغالنا بإصدار مؤلفات أخرى وفى مقدمتها ديوان ( أطيف الربيع ) .

وقد اقترح علينا بعض حضرات القراء استمرار إصدار المجلة طول السنة ورفع بدل الاشتراك ، ولكننا لم نستطع الأخذ باقتراح حضراتهم نظراً للحاجة الى استجمام القوى . وستعود ( أبولو ) الى الصدور فى أول سبتمبر المقبل مفتحة مجلدها الثانى ومحتفظة ببديل اشتراكها المعتاد ( ثلاثين قرشاً فى السنة ) وب نظامها الحاضر ( عشرة أعداد فى السنة ) مع بدل الجهد لمحافظة على مستواها الحاضر ، ن لم نردها محسناً .

وسننتهر فرصه العطلة الصيفية لاعادة طبع العدد الأول من المجلد الأول بحيث يكون ميسوراً لحضرات القراء فى أول أغسطس المقبل . ويمكن طلبه حينئذ من الادارة مباشرة أو من مكاتب البيع ، وكذلك أعداد المجلد الاول كاملاً .

## نمو الثقافة

يسرنا ان نشر اقراء أن أمنيتهما التعاونية التي نشدناها منذ تأسيس مجلة أبولو وشقيقاتها من قبل سائرة تدريجياً في سبيل التحقيق بفصل عبيرة وهمة أستاذنا الجليل خليل مطران بك — رجل الشعر والأدب والاقتصاد واستعاون .

ولا يخفى أننا مسؤولون عن تأسيس ونشر المجلات الآتية : مملكة السهل ، الدجاج ، الصناعات الزراعية ، أبولو ، الإمام . وجميعها السنة ههنا ثقافتة محترمة ، كما أن حممها فريدة في أنواعها ، وخدمتها منقطعة النظير في المسلم العربي . وقد كان لها نصيب كبير في توجيه عمالة الشباب إلى الأدب الجدوى الذي طغت عليه الصحافة المتبدلة يوماً بظفيران .

ولمّا كان من غلغل فشل الأعمال في الشرق روح الأندية والمردة — وهي ما نرى إلى الله منها — كان من أول هممنا السعى لإنشاء هيئة تعاونية شامية تدبر هذه الحركة الثقافية ونضم لها القاء في الحاضر والمستقبل . وتولى إلى جانب ذلك نشر المؤلفات الأدبية والعملية القيمة في غير تحبّيز لشخص ولا لجماعة . ولذلك استقر الرأي على أن تكون هيئة تعاونية ثقافية باسم « ندوة الثقافة » لتحقيق هذه الغاية الخيلة ، ويرجى أن يتم تأليفها قبل انقضاء السنة الحاضرة . والمنظر أن تسال هذه الهيئة التعاونية بمصداق الوارات والمصالح الحكومية ومحاسن المدرجات ومعهد التعليم المختلفة في العالم العربي لأنها ستكون من أقوى الهيئات لخدمة المعرفة العامة أدبياً واقتصادياً ، تأليفاً وشرافاً ، وستكون لها صمة شعبية عامة من كل الوجوه .

ولخصرات القراء الذين يهمهم هذا الموضوع — وما نحسبهم بالقليلين — الاتصال برئيس ( جمعية أبولو ) حضرة خليل مطران بك بالثقافة الزراعية العامة في شارع أبي الصباع بالقاهرة .





نحت الطبع

## الأعصاب

مجموعة من شعر محمود أبو الوفا

في مثل حجم ونظام « أنفاس محترقة » . يخاطب الشاعر عنه بدار  
« جمعية أبولو » بأول عمر شاه بميدان السيدة  
زينب بالقاهرة — تليفون ٤٠٤٥٦

مكتبة دار الكتب

مصدر قريباً

# مَدْرَسَةُ الْبَيْتِ وَدَائِرَةُ مَعَارِفِ الْأَطْفَالِ تُضَرِّهُمُ أَنْدَوَةُ الشَّقَاةِ

سلسلة من المؤلفات التهذيبية البيتية ، شاملة معارف عامة لأطفالنا ،  
ومحلاة بالصُّور . سيعلمن عنها بمجرد صدورها ،  
وستكون بأسعار معتدلة تيسيراً  
لانتشارها ونفعها العام .

مدور حديثاً

## الورد الأبيض

مجموعة أقاصيص مصرية  
وصور من الفن القصصى الحديث  
تأليف

محمد أمينة مرسى

يُطلب من المكاتب الشهيرة  
الثنى ٦ قروش صاغ خالص أجرة البريد

نحت الطبع

## أعلام المسرح المصرى

تأليف يوسف أحمد طيرة

اعزم الكاتب المسرحى يوسف أحمد طيرة طبع دليل يحوى تاريخ حياة  
أعلام المسرح المصرى مع صورهم ، وكذلك عن كل من له اتصال فى  
بالمسرح والسينما والغناء والموسيقى . والنقد . بدل الاشتراك اثنى  
عشر قرشاً ترسل طوابع أو اذن يريد الى المؤلف  
بعنوان شباك يريد القاهرة



نظم

أحمد زكي أبوشادي

صدر في أول

سنة ١٩٣١



ميدان محمد علي رقم ١٧ - باسكندرية

مختصة للقيام بالرسم الفنية والخرافية للمؤلفين والمصحف

والمجلات بأسعار معتدلة واثقان تام

## مهمة الشاعر في الحياة

وشعر الجيل الحاضر

بحث تحليلي عن الشعر الجدير بهذا الاسم مع دراسة لحسة من شعراء  
الشباب . ويحتوى الكتاب على المباحث الآتية :  
مقدمة في الشعر ومتراته من الفنون الجميلة ، وعلاقة الشعر بالفلسفة ،  
ومن هو الشاعر ، وكيف تقدر الشاعر ونزنه ، والخيال في الشعر ، وذوق  
الشاعر ، والشعر والتصوير الحسى ، واحساس الشاعر بالكون والحياة .

للمؤلفه

سير قطب

ويطلب من المكاتب الشهيرة

ثمن النسخة قرشان خلاف البريد

يُطلب مباشرة أو بواسطة المكاتب الأجنبية الشهيرة

“ECHOES”

A Book of Poems

by

PAULINE M. BEAZLEY

Price 2/-, of all Newsagents and Booksellers.  
Publishers : Ed. J. Burrow, Ltd., Strand, London, &  
Cheltenham



## تصويبات

| الصفحة | السطر | الخطأ             | الصواب             |
|--------|-------|-------------------|--------------------|
| ١٠٣٣   | ١١    | قال هذا           | قال هذا له         |
| ١٠٣٣   | ١٢    | وَقَفَّ لِلأَرْضِ | بَثَّ فِي الأَرْضِ |
| ١١٣٧   | ٥     | ظَلَّ             | ضَلَّ              |
| ١١٩٥   | ٢١    | والانتباهاً       | والانتباه          |
| ١٢٠٠   | ١٥    | قاصرة             | مقصورة             |
| ١٢٠٠   | ٢٩    | القارى            | القاريء            |
| ١٢٠٢   | ١٠    | الثاني            | الثانية            |
| ١٢٠٣   | ١٢    | يفيد              | يفسد               |
| ١٢٦٠   | ٨     | النظ              | النظر              |
| ١٢٦١   | ٢١    | تأثير             | تأثير              |
| ١٢٦٣   | ١٨    | تأثيره            | تأثيره             |
| ١٢٧٥   | ٣     | قدَّ              | مدَّ               |
| ١٣٠٥   | ٣     | تلتظي             | تلتظي              |
| ١٣٣١   | ١٥    | ونزي              | ونزي               |
| ١٣٧٢   | ٢١    | ايران             | ايراني             |
| ١٣٨٧   | ٤     | عدائي             | عدائي              |
| ١٤٠١   | ١٦    | المزى             | المزى              |
| ١٤٠٢   | ٧     | يانفسى            | يانفسى             |



# فهرس

كلمة المحرر

## المراثى والدراسات

|      |                              |                                          |
|------|------------------------------|------------------------------------------|
| ١٢٦٥ | بقلم أحمد محرم               | حافظ ابراهيم في الميزان                  |
| ١٢٩٨ | نظم خليل مطران               | مرثية مطران لحافظ                        |
| ١٣٠٦ | بقلم أحمد الشايب             | حافظ في رأى مطران                        |
| ١٣١١ | » عبد العزيز البشري          | حافظ ابراهيم — ناحية<br>من آثره في الأدب |
| ١٣١٥ | » حسن الخطيم                 | حافظ ابراهيم بين ظرفه ومجونه             |
| ١٣١٩ | » الدكتور زكي مبارك          | حافظ واللغة الفصيحة                      |
| ١٣٢٢ | » عبد الوهاب النجار          | صفحة مجهولة من حياة حافظ                 |
| ١٣٢٥ |                              | مثال من خط حافظ                          |
| ١٣٢٧ | » ابراهيم عبد القادر المازني | حافظ لسان عصره                           |
| ١٣٢٨ | نظم مختار الوكيل             | موكب الذكريات                            |
| ١٣٣٥ | بقلم داوود بركات             | حافظ كما عرفته                           |
| ١٣٣٩ | » ابراهيم دسوق أباظة         | » » »                                    |
| ١٣٤٦ | بقلم نظمي خليل               | حافظ الرجل وحافظ الشاعر                  |
| ١٣٥٢ | » المهدي مصطفى               | حافظ فنان كما يجب                        |
| ١٣٥٥ |                              | مختارات من شعر حافظ                      |
| ١٣٦٢ | » أحمد أنور الجندي           | ناحية في حافظ                            |
| ١٣٦٤ | نظم عامر محمد بحري           | مضى العام والذكرى . . .                  |
| ١٣٦٦ | بقلم طاهر محمد أبو فاشا      | حافظ في كفتي البؤس والمجانة              |
| ١٣٧٠ | » محمد سعيد السحراوي         | بداية حافظ                               |
| ١٣٧٢ | نظم مؤيد ابراهيم إيراني      | حافظ الخالد                              |
| ١٣٧٣ | » المهدي مصطفى               | في سماء الفن                             |
| ١٣٧٣ | بقلم ميشيل سليم كيد          | تشكرك سورية يا حافظ !                    |
| ١٣٧٧ | » بشري السيد أمين            | المدح والشكوى والثناء<br>في شعر حافظ     |
| ١٣٨٢ | » أحمد محمد عيش              | سيرة حافظ                                |
| ١٣٩٤ | » طلبة محمد عبده             | الشاعر البائس                            |
| ١٤٢٤ | » الألفة زينب سليم           | المرأة في شعر حافظ                       |